عُلماءٌ عَرَفْتُهُم

القاضي الشيخ يوسف عمرو

دار المحجة البيضاء


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

علماء عرفتهم



عُلماءُ عَرَفْتُهُم

القاضي الشيخ يوسف عَمرو

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م



حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaia.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المـقـدّمة

والحمد لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيِّدنا ونبيّنا مُحمَّد، وعلى آل بيته الطّيبين الطّاهرين، وأصحابه المنتجبين، وعلى التّابعين لهم بإحسان إلى قيام يوم الدّين.

وبعد، فلقد وفّقني الله تعالى منذ عام ١٩٩٤م، ولغاية عام ٢٠٠٣م لكتابة بعض الذّكريات عن علمائنا الأعلام من مراجعنا الكبار، ومن آيات الله العظام، وعن زملائي حجج الإسلام، ومن القضاة الأبرار منذ عام ١٩٩٤م، ولغاية عام ٢٠٠٣م. في بحوث نُشرت، وفي بحوث أخرى لم تُنشر، رتبتها ضمن الفصول التّالية:

الفصل الأوّل: هو عبارة عن بحوث يصدق عليها شبهة الاكتمال وهي: ثلاث مقالات نُشرت في مجلّة «العرفان» اللّبنانية، واثنتان منه لم تنشر بسبب الضّائقة الماديّة الّتي ألمّت بالمجلة آنذاك، وأدّت إلى توقّفها عن الصّدور في أواخر القرن العشرين، وذلك تحت عنوان: علماء عرفتهم.. والمقالة السّادسة عن الشّيخ «القبيسي» نُشرت في مجلّة «الحكمة» العدد: ١٨ السّنة الثّانية عن الجمعية الخيريّة الإجتماعيّة ـ الشيَّاح.

الفصل الثّاني: وهو عبارة عن بعض البحوث، التي اقتطفتها من

كتابي «الوحدة الإسلاميَّة في مواجهة التّحديات. النّجف الأشرف نموذجاً» وهي تتحدث عن تسعة علماء آخرين نشرتها في مجلّتي «البلاد» و «الوحدة الإسلاميَّة» الصّادرتين عن تجمّع العلماء المسلمين في لبنان. مع ملحق لهذا الكتاب لم يُطبع بعد، يتكوّن من مقالتين عن آية الله العظمى الشّيخ محمّد أمين زين الدّين (قده)، وعن العلاّمة السّيّد محمّد هادي الخرسان، في هذا الفصل بحوث تتعلّق بالوحدة الإسلاميَّة وذلك خلال سيرة أحد عشر عالماً من علمائنا الأعلام.

الفصل الثّالث: وهو بحوث مقتطفة من كتابي: «التّذكرة أو مذكّرات قاض» وهي مذكّرات عن أربع وأربعين عالماً، وهي أشبه بالخواطر والذّكريات من البحوث، حيث أتى بعضها استطراداً لحديث آخر. كالحديث عن الشّيعة في طرابلس وشمال لبنان، أو الحديث عن كتابي «أبو تراب»، أو عن الشّيعة في بلاد جبيل وكسروان. والمجموع لما تقدّم من الكلام مع إستدراك عن بعض أصحاب السماحة من حجج الاسلام حفظهم الله تعالى لكتابي، «التذكرة» الآنف الذكر. هو، عن ستين عالماً. وممّا يجدر ذكره أيضاً أنَّه في معرض ذكرياتي عن النّجف الأشرف في السّبعينيات من القرن الماضي في «مذكّراتي الآنفة الذّكر» وتحت عنوان: العائلة اللّبنانية الواحدة ذكرت أربع وسبعين عالماً من أفراد الهيئة العلمائيّة اللّبنانية في النّجف الأشرف، ومن الّذين كانوا لطلابهم، وللبنانيين من زائري العتبات المقدّسة الكهف والمرجع في بعض المسائل والقضايا، في تلك الأيّام الحزينة من تأريخ النّجف الأشرف والعراق.

وقد وفّقني الله تعالى لجمع هذه الذّكريات، والخواطر في الجزء الأوّل من هذا الكتاب مع بعض الزيادات والتنقيح والتصحيح لتكون ذُخراً لي، ولأولئك الأعلام لمقابلة الله تعالى في يوم لا ينفع فيه إلاّ

رضاه تعالى، والعمل الصّالح، ولتكون للأجيال مرآة صدق يُقتدى بها وعن أيّام عاشها أولئك الأعلام في القرن العشرين.

القاضي

الشّيخ يوسف محمّد عَمرو

بيروت ـ الغبيري في: ١٩ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ

الموافق: ٢٨ أيّار (مايو) ٢٠٠٥م.

الفصل الأوّل

سيرة كوكبة من العلماء المقدّسين

آية الله السّيّد عبد الرّؤوف فضل الله (قده)

آية الله الشّيخ حسين معتوق (قده)

آية الله الشّيخ محمّد جواد مغنية (قده)

آية الله السّيّد عبد المحسن فضل الله (قده)

آية الله السّيّد محمّد جواد فضل الله (قده)

العلاّمة الزّاهد الشّيخ محمّد حسن القبيسيّ (قده)

١ ـ آية الله السّيّد عبد الرّؤوف فضل الله(*)

أ ـ ترجمة السّيّد:

هو سماحة آية الله العلاّمة التّقيّ النّقيّ المجاهد السّيّد عبد الرّؤوف ابن سماحة آية الله السّيّد نجيب بن السّيّد محيّ الدّين بن نصر الله بن محمّد بن عليّ بن يوسف بن محمّد بن فضل الله بن الشّريف حسن بن السّيّد جمال الملة والدّين يوسف بن الحسن بن محمّد بن الحسن بن عيسى بن فاضل بن يحيى بن جوبان بن ذياب بن عبد الله بن محمّد بن يحيى بن محمّد بن داود بن ادريس بن داود بن أحمد بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ـ من أسرة آل فضل الله ـ المعروفة بالعلم والأدب[1].

وُلِد سيّدنا المترجم له في بلدة عيناثا في السّابع من شهر محرّم الحرام ١٣٢٥هـ والده سماحة آية الله السّيّد نجيب فضل الله (قده) أحد أعاظم علماء المسلمين ومراجعهم في جبل عامل، وصاحب إحدى مدارسه العلميّة العريقة والّتي تخرّج فيها الكثير من أكابر علماء تلك الفترة.

(*) عن مجلة العرفان، المجلد التاسع والسبعون، العددان السابع والثامن، أيلول وتشرين الأول ١٩٩٥ م.

(١) نقلاً عن مقدمة كتاب «الامام الصادق عليه السلام» تأليف السيد محمد جواد فضل الله، تقديم أية الله السيد محمد حسين فضل الله/ ص ٩.

والدته كريمة العلاّمة العلم الزّاهد الورع السّيّد جواد مرتضى من كبار علماء تلك الفترة.. فَقَدَ والده وهو في العاشرة من عمره في الأوّل من ربيع الأوّل سنة ١٣٣٥هـ وفي تلك السّن المبكرة بدأ بممارسة حياته الدراسيّة في مدرسة بنت جبيل، بدأ عقيبها دراسة القرآن الكريم وبعض المقدّمات العلميّة على شيوخ بلدته. واتّجه اتجاهاً أدبيًا إلى جانب الاتجاه العلمي فمارس نظم الشّعر بالإضافة إلى الاهتمام بنهج البلاغة وشروحه فضلاً عن القرآن الكريم وتفاسيره لا سيّما الكشّاف، ومجمع البيان. وقام بحفظ القرآن الكريم، ونهج البلاغة بكامله، كما حفظ ديواني المتنبي وأبي تمّام، وأكثر ديوان البحتريّ إضافة إلى غيرهم من الشّعراء.

تزوّج من كريمة العَلم الزّاهد الحاجّ حسن بزّي وهي شقيقة السّيّدة المصون أم مهدي عقيلة الإمام السّيّد محسن الطّباطبائي الحكيم (قده). وأم زوجة سيّدنا المترجم له (قده) هي كريمة آية الله السّيّد مهدي الحكيم والد سماحة الإمام السّيّد محسن الحكيم (قده)[١]. وهاجر معها إلى النّجف الأشرف في ذلك العام أيّ في ذي الحجّة سنة ١٣٤٦ هـ ورزق منها في النّجف الأشرف بخمسة ذكور وخمس إناث. والذّكور هم: آية الله المجاهد السّيّد محمّد حسين، والعلاّمة الحجّة السّيّد محمّد جواد (قده)، والعلاّمة الحجّة السّيّد محمّد عليّ، والفاضل الدّكتور السّيّد محمّد رضا، والفاضل الدّكتور السّيّد محمّد باقر حفظهم الله جميعًا وأدامهم ذخرًا للعلم، وللفضيلة، وللإسلام، ورحم الله السّيّد محمّد جواد برحمته وألحقه بآبائه الطّيبين الطّاهرين.

ب ـ في النّجف الأشرف:

إلتحق في النّجف الأشرف بشقيقه آية الله العظمى السّيّد محمّد

---

(١) مسودة التّرجمة الخطيّة لآية الله فضل الله (قده) لولده السّيّد محمّد عليّ.

سعيد فضل الله (قده) فوجد فيه الأخ، والمعلّم، والصّديق، والرّفيق، والمثل الطّيّب الطّاهر. وقد ابتدأ دراسته المنهجيّة تحت إشراف أخيه وقد درس المقدّمات والسّطوح عليه وعلى الميرزا فتّاح الشّهيدي.

ثمّ انتقل إلى دراسة الخارج فحضر عدّة حلقات لمشاهير العلماء والأعلام أمثال السّيّد أبي الحسن الأصفهاني (قده) والسّيّد محمود الشّاهرودي (قده) والسّيّد عبد الهادي الشّيرازي (قده)[١].

وقد لازم السّيّد الشّيرازي (قده) حتّى حاز قصب السّبق والاجتهاد من بين طلابه. كما كان السّيّد الشّيرازي (قده) يُرجع المؤمنين إلى سيّدنا المترجم له، في جبل عامل ولبنان في الفتوى والقضاء، وأمّهات المسائل العلميّة والاجتماعيّة. وقد تتلمذ على يدي سيّدنا المترجم له في النّجف الأشرف عدد وافر من أهل الفضيلة والاجتهاد أبرزهم السّيّد عباس أبو الحسن (قده) والسّيّد علي مهدي إبراهيم والشّيخ علي العسيلي (قده) والشّيخ حسن العسيلي والشّيخ محمّد مهدي شمس الدّين والسّيّد عبد الكريم نور الدّين والسّيّد عليّ فضل الله والسّيّد محمّد عليّ الأمين وأولاده الثّلاثة السّيّد محمّد حسين والسّيّد محمّد جواد (قده) والسّيّد محمّد عليّ[٢].

وفي سنة ١٣٧٣هـ الموافق لسنة ١٩٥٣م فجع بوفاة شقيقه آية الله العظمى السّيّد محمّد سعيد فضل الله (قده) الّذي خسر به جبل عامل وحوزة النّجف الأشرف ركنًا من أركان الاجتهاد والعلم والتّقى. وقد تكلّم سماحة آية الله المجاهد الشّيخ محمّد جواد مغنية (قده) في مذكّراته عن فضائل ومناقب أستاذه السّيّد محمّد سعيد (قده) بما فيه الشّفاء لقلوب محبّي العلماء العاملين في النّجف الأشرف.

---

(١) مستدركات أعيان الشّيعة /ج ٣/للسّيّد حسن الأمين /ص ١١٩ بتّصرف.

(٢) المصدر نفسه بتّصرف.

وقد تكلّم عن سيّدنا المترجم له ولده سماحة العلاّمة الحجّة السّيّد محمّد عليّ إذ قال: «كان في منهجه التّدريسي ذا أسلوب مميّز.. إذ كان يستدرج الطّالب إلى المناقشة ونقد الآراء العلميّة الصّادرة عنه.. أو عن كبار العلماء المجتهدين ممّا يدفعه إلى التّأمل والبحث والتّمحيص... لخلق روح منهجيّة في البحث لديه.. كان يمارس ذلك.. بأسلوب هادئ رصين.. منهجيّ.. وبروح رياضيّة عالية.. يشعر فيها الطّالب بأنّه يناقش أستاذه مناقشة النّد للنّد. هذه صورته في أسلوبه العلميّ، ممّا جعله يبلغ درجة الاجتهاد المطلق والوصول إلى مصاف طبقة التّقليد، وممّا جعل العديد من كبار علماء النّجف ينكرون عليه المجيء إلى لبنان عند عزمه على الهجرة إليه.. وإنّ مركزه العلميّ يفرض عليه المكوث في النّجف.. لكونه من القلّة الّتي تصل إلى هذه المستويات المميّزة»[١].

ج ـ العودة إلى لبنان:

وبطلب حثيث من أهالي مدينة بنت جبيل ووجهائها، وبعد مراجعات كثيرة مع سماحة سيّدنا المترجم له (قده) طالبين منه العودة إلى مدينته بنت جبيل ليكون إمامًا، ومرجعاً لهم ولسائر القرى والمدن العامليّة، وبعد مراجعات دامت لسنوات، قرّر العودة إلى مدينة بنت جبيل في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٧٥هـ الموافق ١٥ تمّوز عام ١٩٥٥م وتردّد بينها وبين الضّاحية الجنوبيّة لمدينة بيروت بقيّة حياته الشّريفة.

عمل في أوساط المسلمين المؤمنين في جبل عامل وبنت جبيل بالخصوص.. وفي بيروت والضّاحية وغيرهما بشكل عامّ على دعم وتقوية الاتجاه الإيماني فكان يمثل الغطاء الكبير للمؤمنين المخلصين.

---

(١) مسودة التّرجمة الخطيّة لآية الله فضل الله (قده) بقلم ولده السّيّد محمّد علي.

وفي جانب آخر من مسيرته. كان يمثّل الرّوحانية الصّافية ـ بالخشوع والخضوع والذّوبان في ذات الله.. فقد عاش هذا الواقع في صلاته، وصومه ودعائه.. والتزامه المستمرّ بقراءة القرآن.

وقد امتاز بطاقة الصّبر على قضاء الله. وظهر ذلك في جلده وقوّة تماسكه في الحالات الصّعبة الّتي واجهها بفقد أحد أبنائه [وهو حجّة الإسلام العلاّمة المجاهد السّيّد محمّد جواد (قده)] في حياته الخاصّة.. عاش أسلوب الزّهد بالمظاهر الخادعة.. في مختلف مجالاتها.. الّتي تمثّل لدى الكثيرين.. عاملاً من عوامل خلق الصّراعات، وسببًا من أسباب الانحراف[1].

وللسّيّد (قده) مصنفات في الفقه والأصول وهي عبارة عن تقريرات لبحوث أساتذته العظام في النّجف الأشرف وقد كتب القسم الكبير من بحوثه ونظرياته في الفقه والأصول ولده سماحة العلاّمة الحجّة السّيّد محمّد عليّ ـ دام فضله ـ وهي بالتّالي تحتاج إلى إعادة كتابة، وتبويب وإلى طباعة حتّى يستفيد منها علماء الفقه والأصول.

وقد كمنت فيه مواهب أدبيّة بالإضافة إلى علمه الجمّ. غير أنّ مواصلته للتّدريس والبحث أدّت إلى ضعف تلك القابليّة أو ذوبانها أمام توجهه الدّيني.. ولكن بين فترات متقطعة كانت تطفح خلالها بعض الخواطر.. فيندفع إلى نظمها بما يشبه العفو والارتجال، لكنه لم يكن يحرص على حفظ المقاطع الشّعريّة... بيدَ أنّه أمكن حفظ بعضها ففي بعض الإخوانيات يقول:

وما كنت أصفي بالمودة موردي	وما علقت كف امرئ بمقادتي
وإنّي إذ ما أزوَّر عنّي صاحبي	ألاطفه ما خلت فيه بقيةً
لغير فتىً أحرزت صفو ودادهِ	إذ أنا لم أملك زمام قيادهِ

(١) مستدركات أعيان الشّيعة /ج ٣/ للسّيّد حسن الأمين/ ص ١١٩ ـ ١٢٠ بتّصرف.

وخـوّلـنـي مـن هـجـره وبـعـاده   وإلاّ جعلتُ الهجر أيسر زادهِ[1].

د ـ أهمّ إنجازاته في جبل عامل ولبنان:

لسيّدنا المترجم له (قده) إنجازات كثيرة في جبل عامل خاصّة وفي لبنان عامّة عايشت بعضها، ولمستها عن كثب وأهمّها على الإطلاق:

أوّلاً: تربية طلبة العلوم الدّينيّة، والعلماء الأعلام وتوجيههم نحو تقوى الله تعالى، وأمرهم بالإلتزام بالأخلاق، والآداب الإسلاميّة. والإبتعاد عن حبّ الدّنيا والخصومات، والنّزاعات الشّخصية.

وقد تخرّج عليه (قده) الجيل الأوّل الّذي درس عليه في النّجف الأشرف والواردة أسماؤهم آنفًا، والجيل الثّاني من تلامذة طلاّبه الأوائل.

وقد استطاع (قده) وبما يملك من إخلاص ومحبّة لنا من توجيهنا نحو خدمة النّاس وتفقيههم بأمور الدّين والسّعي لقضاء حوائجهم دون انتظار أيّ أجر إلاّ من الله تعالى.

لقد كان (قده) يزورنا في المعهد الشّرعي الإسلامي في برج حمّود ـ النّبعة ـ حيث كنّا نجلس حوله حلقة واحدة. كما كنّا نزوره في منزله المتواضع في الشّياح شتاءً، وفي بنت جبيل صيفًا لنستفيد وننهل من توجيهاته، وآدابه، وأخلاقه. وعدد هؤلاء الطّلبة في الجيل الثّاني يقارب الخمسين من الّذين كانوا يترددون عليه ويراجعونه في مشكلات القضايا الفقهية، والأصولية ويستفيدون من نمير علمه وأخلاقه وتوجيهاته.

ثانيًا: توجيه طلابه الآنفي الذّكر للأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والوعظ والإرشاد في المدن والقرى اللّبنانية وفي المهجر. والإجازة الشّرعية للبعض منهم في الأمور الحسبيّة، وقبض الحقوق

---

(١) المصدر نفسه/ ص ١٢٠.

الشرعيّة وصرفها على الفقراء، والمساكين والأيتام وعلى أعمال البرِّ والإحسان تحت رعايته.

هذا وإنّ تاريخ ومسيرة المعهد الشّرعي الإسلامي في برج حمود ـ النّبعة ـ منذ نشأته الأولى على يدي ولده سماحة آية الله السّيّد محمّد حسين دام ظله في عام ١٩٦٦م ثمَّ تمّ انتقاله إلى بناء حسينية حي السّلم في عام ١٩٧٦م إلى حين وفاة سماحته في نهاية عام ١٩٨٤ يشهدان برعايته لأساتذة المعهد وطلابه توجيهًا، وتسديدًا، ونصحًا تمامًا كما تقدّم من كلام.

ثالثًا: رعايته وتربيته للمؤمنين في مدينة بنت جبيل وفي سائر القرى والمدن العامليّة وفي بيروت وضاحيتها الشّرقيّة، والجنوبيّة، وتعهدهم بالنّصح، وبالكلمة الطّيبة، والموعظة الحسنة وإعطاء الإجازة الشّرعيّة لهم في صرف الحقوق الشّرعيّة في بناء المساجد، والحسينيات وسائر المشاريع الخيريّة، وفق الضّوابط والأصول الشّرعيّة الّتي كان يشرف عليها أولاده الأعلام أو تلامذته أو تلامذة تلامذته. وأهمّ هذه الإنجازات على الإطلاق هي:

١ ـ مؤسّسات جمعيّة أسرة التّآخي الخيريّة الإسلاميّة في ضاحيتي بيروت الشّرقية والجنوبية، والّتي تأسّست عام ١٩٦٦م الموافق لعام ١٣٨٦هـ حين قام (قده) بوضع حجر الأساس في ذلك العام لمشروع حسينيّة النّبعة والّذي كان يشتمل على حسينيّة، ومستوصف، ومسجد، وقاعة صلاة للأطفال، ومكتبة عامة، وحسينيّة للنّساء، ومنزل للعالم الدّيني مع مكاتب له، وعلى حوزة علميّة وما زالت هذه المؤسّسات تؤتي أكلها في كلّ حين برعاية وإشراف ولده سماحة آية الله السّيّد محمّد حسين دام ظله وحفيده سماحة العلاّمة السّيّد عليّ.

٢ ـ توسعة حسينية بنت جبيل وترميمها وترميم أربعة مساجد أخرى في

المدينة وإصلاحها ورعاية جميع المشاريع الإسلاميّة في قضاء بنت جبيل وإقامة عدّة بنايات في مدينة بنت جبيل وقفية يعود ريعها لمساجد المدينة وحسينيّتها ولأعمال البرّ والإحسان.

٣ ـ دعم وتأييد ولديه سماحة آية الله السّيّد محمّد حسين دام ظله، والفاضل الماجد الدّكتور السّيّد محمّد باقر في مشاريع وأعمال جمعية المبرّات الخيريّة.

٤ ـ دعم وتأييد أعمالنا الخيريّة والإسلاميّة في منطقة بلاد جبيل وفتوح كسروان والّتي أثمرت فيما بعد بتأسيس جمعيّة المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان.

رابعًا: رعايته للفقراء والأيتام من خلال المؤسّسات الآنفة الذّكر ومن خلال المكتب الاجتماعي الّذي أقامه ولده سماحة آية الله السّيّد محمّد حسين دام ظلّه لهذا الغرض إذ كان رضوان الله عليه يؤثر الفقراء والأيتام على نفسه وأهل بيته أسوة بأسلافه الطّاهرين من أهل البيت عليهم أفضل الصّلاة والسّلام، وشعورًا منه بالمسؤوليّة الشّرعيّة اتجاه هذه الطّبقة الّتي أفرزها العدوان الإسرائيلي، وساعدت على ظهورها الأحداث والحرب اللّبنانية. وأذكر فيما أذكر تزويده لقرابة خمسين عائلة من الأرامل والأيتام في بلدات رياق، وحوش حالا وعلي النّهري، وحوش الغنم بالطّحين لأكثر من عامين بواسطتنا وبواسطة الأخ الحاجّ حسن عبّاس رحمه الله تعالى، ابتداءً من عام ١٩٨١م، شعورًا منه بالمسؤوليّة الشّرعيّة اتجاه هذه الطّبقة المنسيّة في قضاء زحلة من بقاعنا العزيز.

خامسًا: وقوفه في وجه الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، وللعدوان الإسرائيلي على جبل عامل واحتلاله لمسقط رأسه عيناثا ولمدينة بنت جبيل سنة ١٩٧٨ ولسائر القرى والمدن العامليّة ولمدينة بيروت وضاحيتها

الجنوبيّة سنة ١٩٨٢ وتحريضه النّاس على الجهاد، والكفاح، والمقاومة بالوسائل المتاحة لهم. «وكان في موقفه... من مأساة الجنوب يمثّل الموقف الرّافض للإحتلال الحاقد... بكلّ قوّة... وعلى هذا الأساس كان الموئل والمرجع لشبابنا المجاهدين العاملين يمدّهم... بالحكم الشّرعي... والموقف الّذي يفرضه الإسلام... في مقاومة طغيان الإحتلال.. المتمثّل في أخطر أعداء الإسلام والإنسانيّة. كان يعمل على شحن نفوس الشّباب المؤمن بروح المقاومة بكلّ أساليبها المشروعة في معاملة هذا العدو الغاصب. ويوجّه المؤمنين لدعم هذه الرّوحيّة.. بكلّ وسائل الدّعم الماديّة والمعنويّة المتاحة»[١].

سادسًا: تأييده ودعمه للثّورة الإسلاميّة المباركة الّتي قام بها الإمام روح الله الموسويّ الخمينيّ (قده) في إيران ولقيام الجمهوريّة الإسلاميّة. «وكان هذا موقفه في تأييد الثّورة الإسلاميّة المجاهدة في إيران الّتي كان يعبّر بصراحة عن ضرورة دعمها... بكلّ القوى والوسائل المتاحة من قبل المؤمنين. وقد كان يتابع انتصاراتها ويبارك خطواتها.. باعتبارها الانطلاقة الإسلاميّة الفريدة في هذا العصر ويرفض كلّ موقف ينطلق في اتجاهها.. بأسلوب الرّفض والنّقد غير الموضوعي»[٢].

سابعًا: اهتمامه بالجاليات اللّبنانية في بلاد الاغتراب والمهجر بشكل عام وفي فرنسا بالخصوص فقد شجّع ولده الفاضل الدّكتور السّيّد محمّد باقر على افتتاح مكتبة أهل البيت عليهم السلام العامة في باريس وأيّده بالحقوق الشّرعيّة وبالإجازة له بصرفها في إعلاء كلمة الله تعالى وفي الدّفاع عن حياض الإسلام ومدرسة أهل البيت عليهم أفضل الصّلاة والسّلام.. وقد كانت هذه المكتبة ومازالت الحجر الأساس للمعرفة

---

(١) مسودة التّرجمة الخطيّة لآية الله فضل الله (قده) بقلم ولده السّيّد محمّد عليّ.

(٢) المصدر نفسه.

الإسلاميّة في مذهب أهل البيتعليهم السلام في أوروبا الغربيّة بإشراف ورعاية سبطه فضيلة الدّكتور السّيّد صدر الدّين السّيّد عبد المحسن فضل الله دام حفظه.

ثامنًا: اهتمامه بالأقليّات الشيعيّة في لبنان، وإرسال المبلِّغين لهم، فقد اهتمّ (قده) بقضايا الشّيعة في بلاد جبيل وفتوح كسروان وأرسل لنا من قبله سماحة العلاّمة الشّيخ عبد الرّسول حجازي سنة ١٩٧٣ ليستقرّ في بلدة مشّان وينطلق إلى باقي القرى. وقد قام بعض الغوغاء من النّاس وبتوجيه من الفئات المشبوهة، بأعمال منافية للآداب والأخلاق استهزاء بالشّيخ حجازي ممّا اضطرّه إلى ترك المنطقة سنة ١٩٧٥م، كما قد قام (قده) بتشجيع المحسن الكريم الحاج كامل حسن كنعان رحمة الله تعالى، على متابعة جهوده معنا في خدمة بناء المساجد وترميمها وإصلاحها والإشراف عليها في منطقتنا الآنفة الذّكر، كما قد أذن لي بالتّصدّي للقضاء الشّرعي الجعفري مساعدة لي على القيام بالتّبليغ الدّيني في بلاد جبيل وفتوح كسروان، ومحافظة منه على هويّة المسلمين من الذّوبان والضّياع.

تاسعاً: قيامه برأب الصّدع، والتّوفيق بين وجهات النّظر لما فيه مصلحة الإسلام العليا، وتعزيز الدّور القيادي للعلماء في الخلاف الّذي قام بين علماء الطّائفة الإسلاميّة الشّيعيّة حول شرعيّة المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى في أواخر السّتينيات من هذا القرن.

عاشراً: استنكاره الشّديد لضرب المرجعيّة الدّينيّة العليا في النّجف الأشرف من قبل البعث العربي الإشتراكي في بغداد وللإعتداء على الإمام السّيّد محسن الطّباطبائي الحكيم (قده) وعلى ولده سماحة العلاّمة الحجّة المجاهد السّيّد مهدي (قده) عام ١٩٦٩، وبالتّالي التّطاول على مقام الإمام السّيّد أبي القاسم الموسويّ الخوئي (قده) وعلى الحوزة العلميّة وأساتذتها وطلاّبها.

حادي عشر: رفضه التّعامل مع زعماء جبل عامل السّياسيين وعدم تأييدهم بقول أو فعل. «وفي جانب آخر.. من سيرته.. رفض التّعامل مع التّقليديين.. من أهل السّياسة في لبنان.. على أساس يستشعرون من خلاله الثّقة بهم والدّعم لمواقفهم. كان يحُذِّر أن يصدر عنه أي شعار أو تصرّف يوحي لهم بالثّقة لا سيّما... في مواسم الانتخابات... الّتي كان يوحي فيها للمؤمنين.. بحرمتها.. لما تمثّله من فرض مشرّعين.. لا يمتّون.. إلى الإسلام التّشريعي المفهومي والعملي بِصِلة.. وعلى هذا الأساس كان يبتعد عن ساحة الجنوب في تلك المواسم تعبيرًا عن موقف رافض لهذا الاتّجاه.

وهذا كان موقفه وأسلوبه في المراحل الّتي سيطرت فيها الاتجاهات والأفكار الضّالة المنحرفة على السّاحة في لبنان بشكل عام، والجنوب بشكل خاص فقد واجه فكرهم وأساليبهم وظلمهم وتحدّيهم.. بأسلوب الرّفض القويّ»[١].

ثاني عشر: تسامحه مع المسيحيين من أبناء قرى جبل عامل ورفضه للتّعدّي عليهم من قِبَل بعض الأحزاب والمنظّمات اليساريّة اللّبنانية والفلسطينيّة أثناء الأحداث اللّبنانية. «وكان هذا من جملة العوامل ـ المؤدّية ـ إلى انفتاح النّاس.. من كلّ الاتّجاهات عليه.. حتّى أبناء القرى المسيحيّة.. الّتي كان يعبّر عنه بعض أبنائها بأنّه قدّيس.. فقد كان يعاملهم بخلقيّة.. ورحابة.. ممّا جعلهم يرجعون في كثير من قضاياهم ومرافعاتهم.. إليه..»[٢].

وخلاصة القول: لقد كان آية الله السّيّد عبد الرّؤوف فضل الله (قده) في زهده وتواضعه، وابتعاده عن وسائل الإعلام، وعن أهل

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

السّياسة التّقليديين في لبنان، وفي حبه للمستضعفين، وللعلم ولطلبته، وإيثاره للفقراء، والأيتام على نفسه وأهل بيته واهتمامه بدعم مقاومة الاحتلال الإسرائيلي ودعم وتأييد الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، وللمرجعيّة الدينيّة العليا في النّجف الأشرف، واستنكاره للتّعديات على الحوزة الدّينيّة من قبل النّظام الحاكم في بغداد، وفي رجوع النّاس إليه من مسلمين ومسيحيين في جبل عامل في مرافعاتعم وقضاياهم، وفي تربيته لأجيال من العلماء، ومن أهل الفضل، الامتداد الحضاري للمرجعيّة الإسلاميّة الرّشيدة في جبل عامل والّتي ابتدأت بالشّهيد الأوّل الإمام الشّيخ محمّد بن مكّي الجزينيّ العامليّ (قده).

هـ ـ وفاته:

لقد كان لخبر وفاته في يوم الثّلاثاء الواقع في ١١ ربيع الأوّل ١٤٠٥هـ المصادف ٤ كانون الأوّل ١٩٨٤م الوقع المؤلم في قلوب المؤمنين الّتي هزّها النّبأ فهرعت مؤبّنة، ومعزية إلى منزله، ومنزل ولده سماحة آية الله السّيّد محمّد حسين في محلّة بئر العبد في الضّاحية الجنوبيّة لمدينة بيروت ولم تتّسع تلك الدّارتين للوفود المعزية ففتح لها مسجد الإمام الرّضا عليه السلام القريب منهما وهو من أكبر المساجد في لبنان ـ آنذاك ـ فلم يتّسع للوفود الّتي وقفت في الشّوارع المحيطة بذلك المسجد وبتلك الدّارتين للعزاء، وللبكاء على ذلك الفقيد العظيم، ولتأبينه بكلمات، وعبارات حسينيّة حزينة. وقد نقل الجثمان الطّاهر إلى النّجف الأشرف حيث صلّى عليه الإمام السّيّد أبو القاسم الموسويّ الخوئيّ (قده) ودفن في وادي السّلام برحاب جدّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقد أُقيمت له مجالس تأبينيّة وفواتح كثيرة في النّجف الأشرف، والعراق، وفي الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، وفي الكويت ودول

الخليج، وفي فرنسا، والولايات المتّحدة الأمريكيّة، وأستراليا وكان أعظم هذه المجالس ذكرى أربعينه الّتي أُقيمت له في مسجد الإمام الرّضاعليه السلام في محلّة بئر العبد وحضرتها وفود رسميّة وعلمائيّة وشعبيّة من جميع أنحاء لبنان وأُلقيت فيها كلمات وقصائد كان أبرزها كلمة رئيس وزراء لبنان الدّكتور سليم الحصّ، وكلمة النّائب الأوّل لرئيس المجلس الإسلامي الشّيعيّ الأعلى آية الله الشّيخ محمّد مهدي شمس الدّين، وقصيدة العلاّمة القاضي السّيّد محمّد حسن الأمين، وقصيدة الشّاعر الكبير السّيّد محمّد نجيب فضل الله، وقصيدة الأستاذ محمّد فلحة وكلمة الختام لولده سماحة آية الله السّيّد محمّد حسين فضل الله دام ظلّه.

و ـ ذكرياتي عن السّيّد (قده):

زيارتي الأولى لسماحته (قده) كانت مع صديقي الأستاذ السّيّد عبد الله محمّد الحسيني عام ١٩٦٥م تقريبًا عندما حدّثني عنه. وكنت آنذاك على مقاعد الدّراسة في الرابع المتوسّط. إذ لا أنسى تلك اللّيلة الّتي زرناه بها في منزله المتواضع في الشّياح، وذلك الوجه المبارك الّذي أضاء بأنواره مجلسنا فكنّا في مجلسه وكأنّ على رؤوسنا الطّير بحضرته، ننهل من علمه، ونرتوي من نمير أخلاقه، وكؤوس الشّاي الصّغيرة تُدار علينا بين الفينة والأخرى. وقد لاحظت بأنّ ولده العلاّمة السّيّد محمّد علي يقدّم لوالده (قده) بدل الشّاي كوباً صغيراً من السّكّر والماء الحارّ ثمّ يقوم بضيافة الآخرين في المجلس بالتّرتيب ابتداءً من القاعدين إلى يمين السّيّد (قده) وانتهاءً بالقاعدين إلى يساره (قده)...

وقد التقيت بذلك المجلس المبارك بشقيقه المرحوم العلاّمة السّيّد عبد اللّطيف فضل الله (قده)، وبولديه سماحة آية الله السّيّد محمّد حسين دام ظلّه وبالعلاّمة السّيّد محمّد عليّ، وبابن عمّنا الفاضل التّاجر الحاجّ

علي حيدر وبغيرهم من الوجهاء والأعيان. وهذه كانت بداية معرفتي بسماحة السّيّد (قده) وبمن حضر من علماء، وأعيان وقد توطّدت هذه المعرفة فيما بعد لتصبح حياة مملوءة بالعلم، والخير، والعطاء.

كانت مجالس سيّدنا (قده) تفيض بالعلم، وبالهدى، وبالصّدق، وبالأدب وبالأخلاق، وبالاستدلال بآيات الكتاب العزيز، وبالسّنّة المباركة، وبالأدلّة العلميّة، وبالاستشهاد بكلام العرب وبشعرهم...

ما دخلت مجلسه مرّة إلاّ وخرجت منه بفائدة علميّة أو أخلاقيّة، أو أدبيّة واستمرّ دخولي إلى مجالسه المباركة مدّة عشرين عامًا، انقطعت عنه بهجرتي إلى النّجف الأشرف لسبعٍ من السّنين كنت انتهز عطلة الصّيف في بعضها لقضائها في لبنان ولزيارة سيّدنا (قده) في منزله في الشّياح أو في بنت جبيل وأذكر فيما أذكر أنّني قد قمتُ بزيارته (قده) في بنت جبيل في صيف عام ١٩٧٣م وقد استقبلني (قده) مع أولاده آية الله السّيّد محمّد حسين (دام ظلّه) والعلاّمة الحجّة السّيّد محمّد جواد (قده) والعلاّمة السّيّد محمّد عليّ (دام حفظه) وابن أخيه الفاضل العلاّمة السّيّد محمّد كاظم استقبالاً جيّدًا وجميلاً أنساني مشقّة السّفر من قريتي المعيصرة في فتوح كسروان، إلى بنت جبيل والّتي تتجاوز المائة والسّتين كيلو مترًا وجلست أستمع وأستفيد من كلمات سيّدنا (قده) وتوجيهاته، وكأنّني لم أسافر قطّ. وقد طلب منّي صديقي وأخي السّيّد محمّد كاظم السّيّد محمّد سعيد فضل الله أن أرافقه إلى عيناثا للتّنزّه، وللتّعرف عليها مع معالم مدينة بنت جبيل فرفضتُ ذلك - مع حاجتي إلى هذه المعرفة - مؤثرًا النّظر إلى وجه سيّدنا المقدّس والاستماع إليه على تلك المعرفة.

وبُعيد الرّجوع إلى لبنان في أواخر عام ١٩٧٨م هربًا من جلاوزة النّظام العراقي ازدادت صلتي بسيّدنا (قده) حتّى أذن لي في عام ١٩٨٤م

بالتّصدّي للقضاء الشّرعي الجعفري كما تقدّم ـ ونتيجةً لثقته بعدالتي، ولحضوري تقريرات ولده آية الله السّيّد محمّد حسين (دام ظلّه)، في كتاب القضاء مع رفاقي في تلك الدّورة من أصحاب السّماحة والفضيلة الشّيخ محمّد سعيد سرور، والسّيّد فيصل أمين السّيّد، (قده) والشّيخ حسين درويش وغيرهم ولو أردت إيراد ذكرياتي عن سماحته (قده) خلال عشرين عامًا لبلغ بي الحال حدًّا لا تتّسع له هذه الوريقات.

الغبيري
في ٢٥ أذار ١٩٩٥م
٢٤ شوّال ١٤١٥هـ

٢ ـ آية الله الشّيخ حسين معتوق(*)

هو آية الله العلاّمة التّقي المجاهد الشّيخ حسين بن يوسف بن مصطفى آل معتوق العامليّ. ولد في قرية العباسية من قرى قضاء صور عام ١٣٣٠هـ الموافق عام ١٩١٢م من أسرة عامليّة فقيرة تعمل بالزّراعة. توفي والده قبل أن يبصر النّور. كان له أخوان كبيران هما حبيب، وخليل ولكنّهما سافرا إلى الأرجنتين بعيد الحرب العالميّة الأولى. وبقيَ شيخنا المترجم له برعاية أمّه الحنون الّتي كابدت الجهد والمشقّات، لكي تؤمّن له العيش بكرامة، وقد شجّعته لطلب العلم. فتلقّى علومه الأولى من خط وحساب وقراءة للقرآن الكريم ونحو عند المرحوم الشّيخ إبراهيم ياسين ثمّ انتقل بعدها إلى طيردبا لمتابعة دراسته على يدي آية الله الشّيخ حسين مغنيه (قده).

أ ـ في النّجف الأشرف:

وقد شجّعته تلك الأمّ الحنون للهجرة إلى النّجف الأشرف لطلب العلم فهاجر إليها عام ١٣٤٧هـ. أكمل دراسة السّطوح في النّجف على يدي آية الله السّيّد حسين الحماميّ (قده) وآية الله السّيّد محمود الشّوشتري (قده) ودراسة الخارج في الأصول على يدي آية الله الشّيخ عبد الحميد ناجي (قده) وفي الفقه على يدي آية الله الشّيخ محمّد عليّ

(*) مجلة العرفان، المجلد الثامن والسبعين، العددان التاسع والعاشر، تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٩٤ م.

الخراساني الكاظميّ (قده) ثمّ خارج العروة الوثقى على يدي الإمام الأكبر السّيّد محسن الطّباطبائيّ الحكيم (قده)، حيث انقطع إليه انقطاعًا تامًا حتّى بلغ السّيّد الحكيم مرحلة المرجعيّة العظمى ـ وقد جاء في ترجمته (قده) بقلم العلاّمة الشّيخ إبراهيم سليمان: «لقد بنى نفسه بنفسه، وكوّن ذاته بذاته، من غير أب يلوذ به أو وليّ يعتمد عليه، ولقد مرَّت عليه وعلينا فترات من الضّيق، دفعت بنا إلى الاشتغال بالعلم بدلاً من أن تحطّ عزيمتنا أو تقلل من جهدنا، فكأنّها كانت حافزًا لنا لبلوغ الغاية الّتي نتوخّاها بدلاً من الاشتغال بالدّنيا، وحطامها، والأثاث، والرّياشي، والملابس الفخمة والمآكل الشّهية.

وقد كان فقر أساتذتنا وعلى رأسهم السّيّدان الحكيم، والحمامي، والشّيخ عبد الحميد ناجي، والشّيخ منصور المحتصر، والسّيّد الشّوشتري، والشّيخ غلام عليّ القمّيّ، والسّيّد الكيشوان وغيرهم، مثلاً أعلى لنا يرينا أنّ العلم لا يجتمع مع المال، وأنّ العلم قرين الفقر، والصّبر والجهد، والتّعب، والبحث، والدّرس.

وكنّا نرى التّحقيق في جانب الفقر، وغيره من جانب الغنى. لقد أخرجت النّجف أيام الفقر عشرات المجتهدين من أهل هذا الجبل الأشمّ، ولم تخرج أيام الغنى ربع أو ثمن هذا العدد»[1].

ب ـ عودته إلى لبنان:

بعد أن حاز الشّيخ (قده) على درجة الاجتهاد المطلق من أستاذه المرجع الأعلى الإمام الحكيم (قده) انتدب من قبله لممارسة مهمّة الإرشاد والتّوجيه الدّيني لمدينة بيروت وضواحيها فكان أن شدَّ الرحال إليها عام ١٣٧١هـ الموافق عام ١٩٥١م واختار منطقة الغبيري مكانًا

---

(١) عن كتاب الحسين مهاجرًا وثائرًا، المقدّمة لولده فضيلة الشّيخ أحمد معتوق بتصرف.

لإقامته ولانطلاقته في أعماله الإسلاميّة، ولترسيخ دور الإسلام في حياة النّاس في أيام كانت فيها بيروت تعاني من فراغ ديني حقيقي ومن سيطرة العلمانيّة على الجامعات والمدارس الرّسميّة، والخاصّة، ومن سيطرة مشروع الرّئيس الأميركي إيزنهاور على لبنان والشّرق الأوسط.

ج ـ إنجازات الشّيخ (قده):

ذكر ولده فضيلة الأخ الفاضل العلاّمة الشّيخ أحمد في ترجمة والده (قده) أربعة عشر إنجازًا لوالده نلخصها بما يلي:

١ ـ إحياء الشّعائر الحسينيّة وتطويرها، والحثّ عليها واختياره (قده) للخطيب الألمعي الشّيخ عبد الوهّاب الكاشي كخطيب مميّز للمجالس الحسينيّة بعد أن استقدمه (قده) من النّجف الأشرف وحتّى أصبح الكاشي تلميذًا مخلصًا للشّيخ (قده) وأستاذًا للخطباء في لبنان دون منازع.

٢ ـ إحياء شعائر شهر رمضان المبارك والحثّ عليها والتّرغيب فيها وممارسة المستحبّات والمندوبات في هذا الشّهر المبارك وتصنيف كتاب خاصّ بذلك.

٣ ـ إغاثة الأيتام، والأرامل، والفقراء، ومعاقي الحرب والأحداث اللّبنانية في أصعب الحالات الّتي مرَّت على المسلمين أيام تهجير النّبعة وبرج حمّود والدّكوانة وغيرها من مناطق. وقد تبنّى (قده) أربعمائة عائلة من ذوي الفقر والمسكنة وساعد الكثير منهم في نفقات التّطبيب والعلاج وخاصة مشوّهي الحرب داخل البلاد وخارجها. ولا زال ما سنَّهُ (قده) صدقة جارية يقوم بذلك صهره سماحة آية الله الشّيخ حسن طراد (دام ظله)، وولده فضيلة الشّيخ أحمد بهدوء وصمت بالتّعاون مع بعض المحسنين من طلاّب الرّاحل الكبير (قده).

٤ ـ المشاركة في بناء المشاريع العامّة في عدّة مناطق من مساجد، ونوادٍ حسينيّة، ومستوصفات طبيّة، ومكتبات عامّة وأهمّ ما تركه (قده) مشروعه الضّخم في الغبيري وهو يضمّ المسجد الجامع، والنّادي الحسيني، ومكتبة عامّة.

٥ ـ تعيين مدرّسين دينيين من قِبله في المدارس الرّسميّة والخاصّة في بيروت وبعض المناطق حيث كان (قده) يقوم بدفع رواتبهم من نفقاته.

٦ ـ دعم التّجمعات الدّراسيّة الدّينيّة في لبنان وذلك بدفع الرّواتب لطلاّب العلوم الدّينيّة، وتأمين السّكن لهم في بعض الأحيان لكي لا يضطرّوا للهجرة إلى الحوزات العلميّة في الخارج في وقتٍ مبكر.

٧ ـ حلّ الخصومات والنّزاعات العائليّة، والسّياسيّة، كما كان (قده) يتوسّط لتطويق الخلافات بين قيادات الطّائفة الشّيعيّة نظرًا لما يتمتّع به من احترام وتقدير عند الجميع ولما ينفرد به من الاستقلال عن جميع الأطراف.

٨ ـ مكافحة تسلّط الزّعامات السّياسيّة والأحزاب في جبل عامل حيث كان يقف بالمرصاد لكلّ زعيم ورجل سياسة يحاول إثارة الفتن بين النّاس، ويستغلّ نفوذه لمصالحه الشّخصية.

٩ ـ الإرشاد الدّيني والوعظ الأخلاقي الّذي كان يقوم به من خلال إمامة الجماعة في مسجده في الغبيري، وفي مجالس العزاء الّتي كانت تقام تحت رعايته في أماكن كثيرة.

١٠ ـ التردّد على الكثير من المناطق اللّبنانية للقيام بمهمّة الإرشاد الدّيني في جبل عامل عامّة وفي قضاء النّبطية خاصّة وتردّده على القرى الشّيعيّة في منطقة كسروان وبلاد جبيل.

١١ ـ الإجابة على الاستفتاءات الّتي كانت توجّه إليه كمجتهد وكممثّل للمرجع الأعلى.

١٢ ـ القضاء بين النّاس بحكم الله تعالى وحلّ المشاكل الشّرعيّة والإشراف على المعاملات، والوقفيّات، والأمور المتعلّقة بالأحوال الشخصية.

١٣ ـ دوره في الأحداث اللّبنانية حيث وقف (قده) ضدّ أمراء الحرب وطروحاتهم السّياسيّة، والطّائفيّة ووقوفه بالمرصاد لهم وفضحهم أمام النّاس لأنّهم حملوا راية الدّين، والطّائفة وهم أبعد النّاس عن القِيَم والمبادئ الدّينيّة.

١٤ ـ إحياء شعائر يوم الجمعة حيث كان (قده) يولّي هذا اليوم اهتمامًا خاصًا، ويعدّ له إعدادًا فريدًا، حيث كانت خطبة الجمعة في كلّ أسبوع محطّة إسلاميّة كبرى يبيّن فيها للنّاس أمور دينهم ودنياهم ويحثّهم فيها على تقوى الله تعالى والإلتزام بتعاليمه.

وأستطيع أن أضيف لإنجازاته (قده) الآنفة الذّكر ومن خلال معرفتي الشّخصية لسماحته (قده)، مرجعيته العلميّة للمحاكم الشّرعيّة الجعفريّة في لبنان حيث كان رؤساء المحكمة الشّرعيّة الجعفريّة العليا وهم آية الله الشّيخ محمّد جواد مغنية (قده)، والعلّامة الشّيخ حسين الخطيب (قده)، وآية الله الشّيخ عبد الله نعمه (قده) يرجعون إليه في أمّهات المسائل الّتي تعترضهم ويتباحثون معه فيها كما كان كثير من القُضاة يرجعون إليه أيضًا.

الثّاني: كان منزله في الغبيري محط رحال كبار علماء النّجف الأشرف الّذين يزورون لبنان، كما كان ملتقى لرجال العلم، والفكر، والسّياسة، والأدب والشّعر.

الثّالث: كما كان المسلمون الشّيعة في لبنان، ودار الإفتاء

الجعفري، ورئاسة المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى يرجعون إليه في معرفة ثبوت هلال شهر شوّال خاصّة وفي الكثير من القضايا الدّينيّة والسّياسيّة عامّة. حيث كان حكمه (قده) بثبوت هلالي رمضان وشوّال نافذًا عند جميع علماء الشّيعة في لبنان دون استثناء وكذلك كانت سائر أحكامه الشّرعيّة الّتي تصدر عنه في الخصومات وغيرها.

د ـ معرفتي بسماحته:

منذ نعومة أظافري طرق سمعي اسم سماحته رضوان الله تعالى عليه يتردّد على لسان المرحوم والدي وشيوخ عشيرتي في بلدتي المعيصرة في منطقة فتوح كسروان ويتحدّثون عنه باحترام وتقدير. وهو أوّل فقيه كبير يزور بلدتي منذ عقود من السّنين إذ زارها (قده) في الخمسينيات من هذا القرن وحلّ ضيفًا في منزل شيخ عشيرتي المرحوم الحاجّ عليّ الحاجّ مسلم عَمرو لمدّة أسبوع.

ومعرفتي للرّاحل الكبير (قده) عن قرب ابتدأت من خلال مسجده في الغبيري سنة ١٩٦٥م إذ كنت أتردّد على هذا المسجد للصّلاة جماعة بإمامته (قده) ولأستفيد من دروسه، ومواعظه، وخطبه.

تدخّل رضوان الله عليه في حلِّ نزاع بين عشيرتي وعشيرة آل زعيتر الجبليّة ونجح في ذلك نجاحًا كبيرًا. كما كان رضوان الله عليه المرجع الرّوحي للعشائر الوائليّة في كسروان وبلاد جبيل وهم عشائر آل عَمرو وآل أبي حيدر وآل قيس وآل مرعب.

كان (رض) يحبّ طالب العلم المشتغل بدروسه المنصرف إلى عبادة الله تعالى المعتزل عن مجالس الغيبة والبهتان والتّنافس على حطام الدّنيا. كما كان يكره بعض طلاّب العلوم الدّينيّة من أهل العمائم الّذين تصدّوا للرّئاسة وللوجاهة وهم لا يفقهون تكليفهم الشّرعي. وهم فتنة للنّاس في ضعف عقولهم، وضعف دينهم. وكان يُعبّر عن بعض العلماء

من أهل الفضل والتّقوى أنّه يحسن السّكوت عنهم ولا تجوز غيبتهم. ويُعبّر عن أولئك الجهلة من أهل العمائم أنّ أولئك لا يحسن السّكوت عنهم. وبعد فلقد كان الشّيخ حسين معتوق (قده) المثل الأعلى للعلم، وللتّقوى، وللزّهد، وللورع، وللعمل الصّالح، وللشّجاعة في كلمة الحقّ أمام أهل السّياسة، وحملة الشّعارات، وأصحاب العمائم الّذين اتّخذوا الدّين وسيلة للدّنيا.

لقد كانت حياته (رض) غنيّة بالعطاء كحياة علماء السّلف الصّالح إذ لم يكن عنده سيارة أو سائق خاصّ، أو مرافق خاصّ، أو خادم أو مكتب خاصّ لأنّه كان (رض) يؤثر الفقراء والأيتام على نفسه وعلى أهل بيته. لقد انتقل (رض) إلى جوار الله تعالى في ١٧ صفر ١٤٠١هـ الموافق ٢٢ كانون أوّل ١٩٨٠م في بلدته صير الغربيّة حيث دُفن في باحة الحسينيّة الّتي شيّدها، وشُيع جثمانه الطّاهر في موكب قلّ أن تشهد مثله البلاد. وقد جاء في رثائه كلمات كثيرة لكبار علماء لبنان، وقصائد جميلة منها ما قاله ولده الأستاذ الحاجّ حسن:

يا فقيد الشّرع الشّريف سلامًا   كنسيم الصّبا لدى الإصباح
نفحة من سموّ فكر وروح   ترشد الرّاغبين نحو الفلاح

٣ ـ آية الله الشّيخ محمّد جواد مغنية(*)

أ. ترجمة الشّيخ:

هو العلاّمة الحجّة الفقيه المجاهد رئيس المحكمة الشّرعية الجعفرية العليا في بيروت آية الله الشّيخ محمّد جواد بن العلاّمة الشّيخ محمود بن العلاّمة الشّيخ محمّد بن العلاّمة الشّيخ مهدي بن محمّد بن عليّ بن حسن بن حسين بن محمود بن محمّد بن عليّ آل مغنية العامليّ. ولد في سنة ١٩٠٤م الموافق لسنة ١٣٢٢هـ في قرية طيردبا قضاء صور من بلاد جبل عامل. أمّه من أسرة هاشميّة علميّة من آل شرف الدّين ماتت رحمها الله تعالى وولدها المترجم له دون الرّابعة من عمره فهاجر به أبيه إلى النّجف الأشرف ومكث هناك أربع سنوات تعلّم بها القراءة، والخط، والحساب ومبادئ النّحو ثمّ عاد به أبيه إلى جبل عامل، وقد توفي والده وولده المترجم له في العاشرة من عمره. فعاش في رعاية أخيه الأكبر الشّيخ عبد الكريم مع شقيقه الأصغر أحمد، وبقي في رعاية أخيه لمدّة عامين حتّى انتهاء الحرب العالميّة الأولى عند ذلك تركه أخوه وهاجر إلى النّجف الأشرف لطلب العلم. وبقي شيخنا في قريته مع شقيقه الصّغير أحمد يعانيان اليتم، والفقر، وشظف العيش. حتّى كان شيخنا (قده) يمضي بعض اللّيالي لا يذوق فيها طعامًا، وقد قرَّر بعد ذلك الهجرة إلى بيروت للعمل والاكتساب مع بعض أبناء قريته. وبقي هناك

(*) مجلة العرفان، المجلد الثامن والسبعين، العددان الخامس والسادس، تموز و آب ١٩٩٤م.

مدّة أربع سنوات جمع خلالها بعض النّقود الّتي ساعدته للسّفر إلى النّجف الأشرف.

لقد افتخر (قده) في مذكراته أنّه عمل في بيروت بصناعة الحلوى وببيعها وأنّه كان يأكل من كدّ يمينه وعرق جبينه وأنه جمع من ريعها نقودًا سافر بها لطلب العلوم الدّينيّة، ولم يعتمد في ذلك على أحد سوى الله سبحانه وتعالى.

ب ـ في النّجف الأشرف:

التحق بالنّجف الأشرف بشقيقه الأكبر العلاّمة الشّيخ عبد الكريم (قده) ودرس عليه المقدّمات والسّطوح كما درس المقدّمات والسّطوح أيضًا على كبار علماء النّجف الأشرف وأساطنيها وهم آية الله السّيّد محمّد سعيد فضل الله (قده) والإمام السّيّد أبو القاسم الموسويّ الخوئيّ (قده) وآية الله الشّيخ محمّد حسين الكربلائيّ (قده). كما درس قسمًا من السّطوح والخارج على آية الله السّيّد حسين الحماميّ (قده). يقول (قده) في مذكراته: «درست ست سنوات متوالية عن السّيّد الحماميّ لم أحضر خلالها على أستاذ غيره ولازمته ملازمة الظّلّ لصاحبه. كان أستاذي أفقر أستاذ في النّجف، وكنت أنا أفقر تلميذ فيها. وكنت أشعر أنّني من أحبّ تلاميذه إليه وأقربهم لديه، كان أستاذي على حاجته وكثرة عياله يبدو منطلقًا دائمًا مرحًا ساخرًا، وكثيرًا ما كان يتّخذ من حاجته موضوعًا للتّفكهة والتّسلية إلى أن قال: لقد كافح السّيّد الحماميّ بقوّة، وتقى، وصبر على الفقر والألم مجاهدًا في سبيل العلم والدّين أكثر من خمسين سنة، وكان من نتيجة هذا الصّبر الطّويل، والجهاد المتواصل أن ابتسمت له الأيام بعد النّشوز، فأصبح عالمًا، وأستاذًا، ورئيسًا، ومرجعًا للطّائفة. وآتاه الله سبحانه من فضله ما يرضيه ويكفيه، فوفى ديونه، ووسّع على عياله، واشترى دارًا، وأعان تلاميذه بما تيسّر»[1].

---

(١) تجارب الشّيخ محمّد جواد مغنية بقلمه/ ص ٤٤.

ج ـ العودة إلى جبل عامل:

أمضى الشّيخ مغنية (قده) في النّجف الأشرف أحد عشر عامًا قضاها في الدّرس والتّحصيل وطلب العلم حتّى نال الحظّ الأوفر من الفضيلة والاجتهاد على يدي أستاذه السّيّد الحماميّ (قده) عاد بعدها إلى جبل عامل سنة ١٩٣٦م الموافق لعام ١٣٥٥هـ إلى قرية معركة في قضاء صور ليحلّ إماماً لتلك القرية مكان شقيقه الرّاحل العلاّمة الشّيخ عبد الكريم مغنية (قده). بقي في قرية معركة قرابة الثّلاث سنوات قضاها في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وفي إصلاح ذات البين، استطاع خلالها من حثّ أهالي قرية الجِبِّين وتشجيعهم على بناء مسجد لهم وقد انتقل بعدها إلى قرية طير حرفا من سنة ١٩٣٩ ولغاية سنة ١٩٤٨.

قضى شيخنا (قده) سنواته الاثنيّ عشر في جبل عامل من عام ١٩٣٦ ولغاية ١٩٤٨ بتوعية القرويين وحثّهم على التّمسّك بالأخلاق والفضيلة وفي محاربة زعماء الإقطاع في جبل عامل الّذين تعاونوا مع الاستعمار الفرنسي ومع حكومة بشارة الخوري على إهمال حقوق جبل عامل وقد كتب أراؤه تلك ونشرها في مجلّة العرفان وفي كتابه الوضع الحاضر في جبل عامل. كما كان يستغلّ أوقاته بمطالعة مؤلفات وكتابات طه حسين، وعبّاس محمود العقّاد، وتوفيق الحكيم، وأحمد أمين، ومحمّد حسنين هيكل، وشكيب أرسلان، وجبران خليل جبران، وتولستوي، ونيتشه، وولز، وشبنهور، وشكسبير، وبرنارد شو ولغيرهم كما اشتغل بالتّصنيف والتّأليف في الفقه والأصول والنّحو والأدب وغير ذلك من مواضيع.

ومن طريف ما كتبه في العرفان حول رفضه لصدقات القرويين في قرية معركة عندما كان إمامًا لها:

«إنّ الّذي عنده دين ومعرفة — لا يستخفّ بأهل العلم والدّين
وما تحمّلت آلامًا على ألمي — وعشت مدّة عمري عيش مسكين

حتّى أخادع فلاحًا ليشحذني مدًّا من القمح أو رطلاً من التّين
أذلُ نفسي والعرفان مشرفها فإذن لست على دين بمأمون»[1].

د ـ في القضاء الشّرعي الجعفري:

انتقل الشّيخ مغنية من طير حرفا إلى بيروت سنة ١٩٤٨ قاضيًا شرعيًّا جعفريًّا في محكمة بيروت الشّرعيّة الجعفريّة لما يتحلّى به من علم، وتقوى، وفضيلة، وفي سنة ١٩٤٩ عُيّن مستشارًا في المحكمة العليا وفي سنة ١٩٥١ عُيّن رئيسًا للمحكمة الشرعيّة الجعفريّة العليا وبقي رئيسًا لها حتّى سنة ١٩٥٦ وبعدها أُقيل من الرّئاسة العليا وبقي مستشارًا حتّى بلغ السّن القانوني.

ولقضية إقالته من رئاسة المحكمة الشّرعيّة الجعفريّة العليا قصة رواها في مذكّراته وخلاصتها: «إنّ رئيس مجلس النّواب في أيامه غضب على الشّيخ مغنية (قده) لأنّ مرشّح ذلك الزّعيم في القضاء الشّرعي الجعفري قد سقط في الامتحان. كما أنّ وزير الزّراعة كاظم الخليل وهو محام ومن زعماء الإقطاع كان وكيلاً في قضيّة إرث عن والدة المتوفى وأرادَ ذلك الوزير أن يحرم أولاد المتوفى في تشيلي من إرث أبيهم ويورث جدّتهم حتّى يكون شريكًا لها في التّركة بموجب اتفاق ثنائي فيما بينهما وقد راجع ذلك الزّعيم الشّيخ مغنية عدّة مرّات مُرغّبًا تارة، ومُرهبًا أخرى وحاول الشّيخ أن يقنعه أنّ ما يطلبه منه حرام، ومستحيل في شرع الله ولكن ذلك الزّعيم لم يقتنع إلاّ بمصلحته وقد قال (قده) في مذكّراته: «ولكن هل أنفي الابن اليتيم من ميراث أبيه لأنّ الزعيم الخطير يريد ذلك؟ وهل هذا عذر عند الله سبحانه؟... وأصدرت الحكم... وهو مسجّل في المحكمة الجعفريّة العليا برقم ١٠٨ أساس ٢٣ تاريخ ٢٨/ ١٢/ ١٩٥٥».

(١) نفس المصدر/ ص ٨٢.

وقد حيّاه صديقه العميد محمّد جواد دبوق بهذه الأبيات:

«عابوا عليك طريق الحقّ تسلكه	وكلّ من ضلّ نهج الحقّ فهو عمي
وحاربوك لعدل ما حكمت به	إلاّ لتنصف أهل الحقّ والذّمم
ما زلت في عون مظلوم تناصره	فالله عونك رغم الظّالم الآثم»[1]

وأثناء وجود شيخنا (قده) في رئاسة المحكمة العليا استطاع أن ينظّم شؤون القضاء الشّرعي الجعفري، ويجعل الامتحان ضروريًّا لاختيار القضاة. كما قد صنّف في شؤون القضاة وكتب في المجلاّت القضائيّة. ومؤلّفاته في شؤون القضاء تعتبر مرجعًا محترمًا للقضاة، المدنيين والشّرعيين والمحاميين ومن أهمّها: الفصول الشّرعيّة، وأصول الإثبات في الفقه الجعفري، والأحوال الشّخصيّة في المذاهب الخمسة وقد صنّف بعد إقالته من الرّئاسة موسوعته الشّهيرة: فقه الإمام جعفر الصّادق عليه السلام.

هـ ـ مؤلّفات الشّيخ ومصنّفاته:

لقد استطاع الشّيخ محمّد جواد مغنية من خلال مؤلّفاته ومصنّفاته الّتي ناهزت السّتين أن يعطي الصّورة الصّادقة عن الشّيعة والتّشيّع في شتّى بلاد العالم وبأسلوبه الفريد في الكتابة الّذي امتاز بالوضوح، وبسحر البيان. لقد أصبحت مؤلّفات الشّيخ (قده) في الفقه، والأصول، والتّفسير، والعقيدة، والفلسفة الإسلاميّة، والسّياسة، والاجتماع وغيرها مرجعًا للقضاة الشّرعيين، والمدنيين، وللمحامين، ولأساتذة الجامعات وطلاّبها وتمتاز كتبه (قده) بالوضوح التّام، والخلوّ من التّعقيدات، والإشكالات. وقد حدّثني (قده) في النّجف الأشرف إنّ وظيفة طالب العلم والعالم أن يفكّر ويبحث ويناقش ليفهم كلام الله تعالى وكلمات المعصومين عليهم السّلام ويشغل حياته وعمره في فهمها وتذوّقها. وأمّا

---

(١) نفس المصدر/ص ١٠٣ ـ ١٠٤ بتصرف.

أن يشغل طالب العلم وقته بفهم وشرح كلمات العلماء والتّعليق عليها فهذا تضييع للوقت وللعمر معًا. كما أخبرني (قده) أنّه ذات يوم كان سائرًا في شارع أسعد الأسعد في الشّياح وكان منزله هناك فرأى شابًا راكبًا دراجة وهو يأكل السّندويش رافعًا صوته بالغناء وهو يصفّق فرحًا مسرورًا؟ ففكّر في قضيّة ذلك الشّاب وكيف نستطيع القيام بهدايته وتزويده بالمعرفة الإسلاميّة ولأنّ غالبيّة شباب هذا العصر مثل هذا الشّاب يريدون أن يتزوّدوا بالمعرفة الدّينيّة وغيرها من معارف بطريقة واضحة للفهم ومختصرة تمامًا كما يأكلون السّندويش ويهضمونه وهم في الطّريق. ومن هذه النّظرة أتت مؤلّفاتي واضحة للقارئ، ومختصرة، ومحبّبة لنفسه تمامًا كالسّندويش.

ومن أهمّ مؤلّفات شيخنا (قده): التّفسير الكاشف للقرآن الكريم في سبع مجلّدات، والتّفسير المبين للقرآن الكريم في مجلّد واحد، وفي ظلال نهج البلاغة أربع مجلّدات، وشرح الصّحيفة السّجاديّة، وأصول الفقه في ثوبه الجديد، وموسوعة فقه الإمام جعفر الصّادق عليه السلام وأصول الإثبات في الفقه الجعفري، والفقه على المذاهب الخمسة، والأحوال الشّخصيّة على المذاهب الخمسة، وعقليّات إسلاميّة، وفلسفات إسلاميّة، والشّيعة والتّشيّع، ومع الشّيعة الإماميّة، ومع علماء النّجف الأشرف، والإسلام مع الحياة... وغيرها من مؤلّفات ومصنّفات، ومحاضرات ألقاها على طلاّبه في الجامعة اللّبنانيّة، وعلى طلاّب دار التّبليغ الإسلامي في قمّ المقدّسة وخطب وكلمات ألقاها في مناسبات كثيرة من الإذاعة اللّبنانيّة ومن التّلفزيون اللّبناني ومن على منابر المساجد والحسينيات في لبنان وفي البحرين وفي إيران وفي سوريا، أضف إلى هذا عشرات المقالات، والرّدود الّتي كتبها في الصّحف اللّبنانيّة، والمصريّة، والإسلاميّة.

وبعد، فإنّ الشّيخ محمّد جواد مغنية في كتبه، ومصنّفاته،

ومحاضراته، وردوده الكثيرة على الأعداء مدرسة قائمة بذاتها والخطّ الّذي اعتمده (قده) في حياته، وفي مصنّفاته، وفي توعيته للأمّة هو خطّ أهل البيت عليهم السّلام حيث يقول (قده): «أنّه لا بُدَّ لنا من التّخطيط ولا يجوز اعتماد العفويّة والارتجال والعامل الحاسم لنجاح الإسلام هو التّخطيط المحكم الدقيق بالإضافة إلى قِيَمِه الحسيّة الفنيّة، التّخطيط لعلاقة العبد بربّه، والفرد بمجتمعه، ولجهاد العدو وردعه، وللحكم العادل، وللتّربية والثّقافة، وللقضاء، وفصل الخصومات، والتّأديب والعقوبات، والأسرة والتّجارة.

التّفاخر بالماضي لا يجدينا كثيرًا ولا قليلاً ما دمنا في الدّرك الأسفل من الانهيار، ولا بدّ في التّخطيط من الصّبر على الأذى في سبيل العقيدة لترسيخها وإثبات الشّخصيّة الإسلاميّة، والمقاومة الرّوحيّة كما فعل الأولون، وكما فعل الكثيرون من مصلحي العالم في القديم والحديث، حتّى تتكوّن القوّة الرّادعة للشّر والعدوان، وينبلج بعد ذلك فجر الانبعاث والسّلام. لأنّه لا حياة للدّين، والحقّ والعدل بلا قوّة ترهب الطّغاة، والبغاة. فالحقّ يصرع الباطل بالبرهان والحجّة في سجلاّت التّاريخ ويوم تقوم السّاعة، أمّا في الدّنيا فلا يفلَّ الحديد إلاّ الحديد»[١].

و ـ لمحات من مواقف الشّيخ مغنية (قده):

١ ـ وقوفه بوجه حلف بغداد الّذي كان يجمع ما بين الولايات المتّحدة الأمريكيّة وبريطانيا، وتركيا، وإيران، وباكستان، والعراق والّذي كان من أبرز زعمائه نوري السّعيد في العراق والّذي كان من أهدافه السّيطرة على موارد النّفط في البلاد الإسلاميّة لمصلحة أمريكا وإسرائيل. ووقوفه بوجه العدوان

---

(١) نفس المصدر/ص ٥٤٨ ـ ٥٤٩.

الإسرائيلي والفرنسي والبريطاني على مصر واحتلالهم لقناة السّويس ولبور سعيد عام ١٩٥٦ ولمشروع ايزنهاور في لبنان والمنطقة والّذي كان من دعاته الرّئيس اللّبناني كميل شمعون، وتأييده بالتّالي لثورة الشّعب العراقي في شهر تمّوز ١٩٥٨ ضدّ نوري السّعيد وحلف بغداد ولثورة الشّعب اللّبناني ضدّ مشروع ايزنهاور وكميل شمعون عام ١٩٥٨.

٢ ـ وقوفه مع الشّعب الجزائري المسلم في ثورته ضدّ فرنسا ومع الشّعب الفيتنامي ضدّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ومع جميع حركات التّحرّر في العالم ضدّ الاستعمار.

٣ ـ وقوفه بوجه إسرائيل ومخطّطاتها التّوسعيّة مندّدًا بها وبعملائها وبالعلماء السّاكتين عن باطل اليهود... وقد اتّهم (قده) من قبل عملاء إسرائيل في لبنان بالشّيوعيّة نتيجة لمواقفه تلك.

٤ ـ تأييده الكبير للوحدة الإسلاميّة بين المسلمين ومساهمته الكبيرة في تأسيس دار التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة في مصر وكتابته في مجلّتها رسالة الإسلام. ونبذه، ومحاربته للتّعصّب وللمذهبيّة بين المسلمين.

٥ ـ اهتمامه بقضايا النّجف الأشرف، وبتاريخها، وبحاضرها، وبمستقبلها، وبمشاكلها، وبقضاياها، وكتابته عنها في كتبه ومصنّفاته وقد أفرد كتابًا خاصًّا لعلمائها سمّاه مع علماء النّجف الأشرف.

٦ ـ محاربته للوهّابية ولدعوتها للتّفرقة بين المسلمين ولتكفيرها كلّ من لا يرى رأيها. واعتداؤها على مقامات أئمة أهل البيت عليهم السّلام وعلى قبور الصّحابة، وعلى جميع الآثار الإسلاميّة في مكّة المكرّمة، والمدينة المنوّرة وسكوت الوهّابيين عن جرائم

اليهود في فلسطين، وعن فريضة الجهاد ضدّ إسرائيل وأمريكا وحثّهم لأتباعهم على الجهاد بوجه الدّولة العثمانيّة وولاتها في القرن التاسع عشر الميلادي، وبوجه محبّي أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم في العراق وفي الإحساء والقطيف والحجاز. وقد صنّف في ذلك كتابه الشّهير «هذه هي الوهّابيّة».

٧ ـ شجبه للعدوان الإسرائيلي على بيت المقدس وعلى الضّفة الغربيّة وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء وعلى هضبة الجولان في الخامس من حزيران ١٩٦٧ ولعدوان إسرائيل على جنوب لبنان عام ١٩٧٨ وتشجيعه للأعمال العسكريّة الّتي قام بها الفدائيون ضدّ إسرائيل.

٨ ـ وقوفه إلى جانب الإمام الشّهيد السّعيد السّيّد محمّد باقر الصّدر (قده) في طروحاته الفكريّة، والفقهيَّة، والسّياسيّة، والاجتماعيّة، وتطوّعه لكتابة فتاوى الإمام الشّهيد (قده) الجزء الأوّل من رسالته العمليّة وهي الفتاوى الواضحة بأسلوب الشّيخ مغنية السّهل الممتنع..

٩ ـ وقوفه إلى جانب الإمام الخميني (قده) وللشّعب الإيراني المسلم في ثورتهم المباركة ضدّ أمريكا، والشّاه وكتابته عن ذلك في الصّحف وتصنيفه كتابًا خاصًّا بذلك.

وهناك للشّيخ (قده) مواقف أخرى تعرفها من خلال ما صنّف وكتب.

ز ـ وفاة الشّيخ (قده):

بعد معاناته الطّويلة من مرض القلبّ انتقل الشّيخ محمّد جواد مغنية إلى جوار الله تعالى في السّاعة العاشرة من ليلة السّبت في الثّامن من شهر كانون أوّل ١٩٧٩م والموافق ١٩ محرّم ١٤٠٠هـ عن عمر يناهز

السّادسة والسّبعين وقد نعى الرّاحل الكبير للأمّة المرجع الأعلى الإمام الخوئيّ (قده) وجامعة النّجف الأشرف والحوزات العلميّة في لبنان، والعراق، وإيران، والمحاكم الشّرعيّة الجعفريّة في لبنان، والمجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى وآل الفقيد، والكثير من الهيئات العلميّة، والسّياسيّة، والأدبيّة، وقد شيّعت جنازته إلى النّجف الأشرف حيث عُطلت الدّروس في المدارس الدّينيّة وخرجت جموع النّجف الأشرف في تشييع جثمانه الطّاهر وقد أمّ المصلّين الإمام السّيّد أبو القاسم الموسويّ الخوئيّ (قده) وأقام فاتحة عن روحه الطّاهرة في مسجد الخضراء في جوار الحرم المقدّس لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام..

ح ـ ذكرياتي عن الشّيخ (قده):

لقد عرفت الشّيخ مغنية (قده) من خلال مؤلّفاته وأنا على مقاعد الدّراسة في المرحلة المتوسّطة والثّانويّة في الضّاحية الجنوبيّة وفي بيروت الغربيّة وقد ازددتُ من خلالها معرفة، وعقيدة، وإيمانًا بالإسلام وبمحبّة وولاية أهل البيت عليهم السّلام، كما عرفته بعد ذلك عندما كنت أراه يخطب ويتكلّم في ليالي عاشوراء من على منبر حسينيّة الحاجّ أبو رياض الخنساء في الغبيري ومن على منبر وحسينيّة الشّياح، وعندما كنت أراه في شارع سوريا في بيروت القديمة يتجوّل ما بين المكتبات هناك. لم أتوفّق بالتّعرّف عليه والتّكلّم معه في ما تقدّم إلاّ في عام ١٩٧٥ في النّجف الأشرف في منزل أستاذي العلاّمة الشّيخ محمّد مفيد الفقيه إذ اجتمع في ذاك المنزل قرابة الأربعين ما بين طالب وأستاذ من اللّبنانيين اجتمعنا للتّرحيب بالشّيخ مغنية، وللسّلام عليه، وللاستفادة منه. وقد ألقى بنا كلمة مؤثّرة عن واجبات طالب العلم ـ على ما أظنّ ـ وقد طرحت عليه (قده) بعض الأسئلة مستفسرًا ومستفيدًا فأجابني (قده) على ذلك ثمّ سألني عن اسمي، وعن مسقط رأسي، وعن دراستي فأجبته. وبعد مدّة زرت أستاذي الإمام الشّهيد محمّد باقر الصّدر (قده) حسب العادة إذ

كنت أتردّد عليه أحيانًا وأزوره في أيام الخميس والجمعة في منزله في منطقة العمارة فأخبرني (قده) أنّ الشّيخ محمّد جواد مغنية قد أُعجب بذكائي وهو يتوسّم منّي خيرًا... وقد توطّدت العلاقات بيني وبين الشّيخ مغنية (قده) بعد ذلك فقد كنت أزوره دائمًا في غرفته المتواضعة في مدرسة دار الحكمة للإمام الطّباطبائيّ الحكيم (قده) مع ثلّة من الطّلبة اللّبنانيين منهم العلاّمة الشّهيد الأديب السّيّد عليّ بدر الدّين (قده) والعلاّمة السّيّد محمّد مرتضى، والعلاّمة الشّيخ عليّ جعفر (قده) وغيرهم لنستفيد منه علمًا، وثقافة، وتقى، وأدبًا. وقد قرّر (قده) أنّه يجب على كلّ طالب لبناني يزوره أن يخضع لامتحان في الفقه أو الأصول في الباب الّذي يختاره الطّالب؟؟... فقبلت بهذا الطّلب، وقد اخترت كتاب القضاء من موسوعته فقه الإمام جعفر الصّادقعليه السلام.

وفي الموعد المقرّر أجرى لي امتحانًا شفهيًّا في ذلك الكتاب فكانت النّتيجة هي النّجاح ولكن بعد جهد كبير وقد أعطاني (قده) ٥٠٪ مشجّعًا لي على المثابرة، والدّراسة. وقد شجّعني ذلك الامتحان لإجراء مذاكرة، ومباحثة مع زميلي في الدّراسة الشّيخ أسد الله الحرشي في الجزء الأوّل من كتاب تكملة منهاج الصّالحين للإمام الخوئيّ (قده) في كتاب القضاء واستمرّت عدّة أشهر.

كما قد أطمعني كرم سماحة الشّيخ مغنية (قده) ورحابة صدره، وحبّه لي أن أعرض عليه مسودّة كتابي «أبو تراب» قبل طباعته في مطبعة القضاء في النّجف الأشرف، فوافق عليه، وبيّن لي أسباب موافقته (قده) وهو أنّني تكلّمت عن أمير المؤمنينعليه السلام بلغة يفهمها جيلنا ولم أتكلّم عنهعليه السلام بلغة الغيب والأوهام والخرافات.

كما قد تشرّفت مرّة بدعوته على الغداء في بيتي في محلّة الجديدة في النّجف الأشرف فاشترط على أن لا أصنع له إلاّ طعامًا واحدًا وهو:

اللّحم المشوي أو ماء اللّحم لأنه لا يأكل كلّ أربع وعشرين ساعة إلاّ مرّة واحدة وهو لا يأكل إلاّ من أحد هذين ولا يتعدّاهما إلى ثالث. فوافقت على ذلك وقد استجاب لتلك الدّعوة الّتي لم تكلّفني إلاّ القليل من الدّراهم..

لقد كان الشّيخ مغنية (قده) زاهدًا في ملبسه، ومأكله، وحياته مُحبًّا للمعرفة وحاملاً لواء أهل البيت عليهم السّلام ومدافعًا عنهم وعن فقههم، كما كان رائدًا من رواد الحريّة في العالم العربي والإسلامي ومدافعًا عن حقوق الإنسان. هذا ولو أردت استقصاء ذكرياتي عنه (قده) في النّجف الأشرف، وفي بيروت لبلغ بي الأمر إلى كتابة عشرات الصّفحات سائلاً الله تعالى أن يوفّقني إلى ذلك من خلال بعض المجلاّت والصّحف الإسلاميّة.

٤ ـ آية الله السيد عبد المحسن فضل الله (قده)
أيّوب العلماء في جبل عاملة

أ ـ ترجمة السّيّد:

* هو سماحة آية الله التّقي النّقي المجاهد السّيّد عبد المحسن بن آية الله السّيّد صدر الدّين بن السّيّد محمّد بن السّيّد محي الدّين آل فضل الله الحسنيّ العامليّ.

* والده سماحة آية الله السّيّد صدر الدّين (قده) كان من فقهاء جبل عامل الكبار المعروف بتقواه واجتهاده كان يحمل خمس إجازات بالإجتهاد من مراجع زمانه وهم: الشّيخ الغروي النّائيني (قده)، والآغا ضياء الدّين العراقي (قده)، والسّيّد أبو الحسن الأصفهاني (قده)، والسّيّد كاظم اليزدي (قده)، والشّيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (قده).

* سكن قرية عيناثا.. من مواقفه في الثّلاثينات فتواه المشهورة في جبل عامل وفلسطين بحرمة بيع الأراضي لليهود. توفي سنة ١٣٦٠هـ ودفن في قرية عيناثا.

* والدته الحاجّة فاطمة كريمة الأديب الكبير والشّاعر العامليّ الشّيخ عليّ شمس الدّين (قده).

* وُلد سيّدنا المترجم له في النّجف الأشرف سنة ١٣٥٠هـ المصادف

لسنة ١٩٣٢م بعد ولادته عاد به والده مع أفراد الأسرة إلى عيناثا سنة ١٣٥١هـ.

وقد وجد ولده سماحة العلاّمة الحجّة السّيّد عبد الصّاحب ورقة بخطّ والده يترجم فيها لنفسه (قده) قائلاً: «أنَّه وُلد في النّجف الأشرف سنة ١٣٥٠هـ ١٩٣٢م، وعاد به والده إلى بلدته عيناثا، وعمره على رواية والدته أربعة أشهر، توفي والده وله من العمر تسع سنوات، بعد أشهر قليلة من وفاة والده تولّد في سيّدنا المترجم له شعور وإحساس أدرك فيه أنّه أكبر من عمره، وإحساس ملح أيضاً للخروج من قريته، ولم يملك سبباً له أو يحدّد له هدفاً باعثاً له، وأثناء هذا الشّعور الضّاغط دخل المدرسة لتعلّم القراءة والكتابة، وقراءة القرآن الكريم، وكان فيها امرأة متقدّمة في السّن من عائلة لها مراس طويل في تعليم الكتاب الكريم، قرأ عليها القرآن الكريم.

ولم يطل مقامه عندها أكثر من ثلاثة أشهر ختم فيها القرآن الكريم حيث كان يسهر اللّيالي الطّوال يقرأ فيها القرآن على مصباح الزّيت. وليدخل مكتباً آخر لتعليم الخطّ، وكان المعلّم فيه سيّد من آل جعفر، وقد كان جميل الخطّ، أديباً شاعراً ساخراً ناقداً منطوياً، شديداً على طلاّبه، سلط اللّسان في تأنيبه المقذع، وكان هذا أهون ما يعامل به المتخلّفين من طلاّبه، ومن حسن الحظّ كان سيّدنا المترجم له يقارب خطّه خطّ الأستاذ لما كان يقوم به، بما كنت من تقليد نقش حروف الكلمات الّتي يكتبها كقاعدة، إلى أن نال رضاه في مدّة لا تزيد على السّتّة أشهر. إلى أن يقول: وعند انتهائه من تعلّم الخطّ، دخل المدرسة الرّسميّة في بنت جبيل، بقيَ فيها ثلاث سنوات، تحدّدت فيها أبعاد ذلك الشّعور القديم، وتولّد فيه شوق ملحّ ليعدَّ نفسه إلى النّجف الأشرف لِطلب العلم الدّيني، مرتسماً خطى أبيه وأجداده، فخرج من المدرسة وله من العمر خمس عشر سنة. وما أن بلغ السّادسة عشر توجّه إلى النّجف

الأشرف بعد أن لاقى معارضة شديدة أشار إليها في قصيدة «صفحة من حياتي» وهي مثبّتة في ديوانه مطلعها:

صـارعـت دهـري ولـمّـا صـرعـتـه بـاقـتـدار»[1]

ب ـ في النّجف الأشرف:

توجّه إلى النّجف الأشرف بصحبة ابن عمّه السّيّد عبد اللّطيف فضل الله (قده) الّذي يكبره سنّاً وكان ذلك عن طريق حلب في ٢٢ صفر ١٣٦٦هـ. وكان وصولهما إلى النّجف الأشرف في أوائل ربيع أوّل من تلك السّنة.

في النّجف الأشرف حظي برعاية وعطف ابني عمّه آية الله العظمى السّيّد محمّد سعيد فضل الله (قده)، وآية الله السّيّد عبد الرّؤوف فضل الله (قده)، وقد اختصّ بالسّيّد عبد الرّؤوف (قده) دراسة وتحصيلاً حيث درس عليه المقدّمات والسّطوح ولغاية كتابي المكاسب والرّسائل للشّيخ الأعظم مرتضى الأنصاري (قده) وحضر قسماً من شرح منظومة السّبزواري على سماحة آية الله الشّيخ محمّد تقي آل صادق (قده).

وأمّا أساتذته في بحوث الخارج هم أئمة الفقه والأصول في النّجف الأشرف وهم الإمام السّيّد محسن الطّباطبائي الحكيم (قده)، وآية الله العظمى السّيّد عليّ العلاّمة الفاني الأصفهاني (قده)، وآية الله العظمى الشّيخ عبّاس الرّميتي حيث حضر عليهم في بعض أبواب الفقه. وكان حضوره المستمرّ، على يدي أستاذه الإمام السّيّد أبو القاسم الخوئيّ (قده) فقهاً وأصولاً في مدّة تنوف على العقدين من السّنين حيث كان يشار إليه بالبنان من بين تلامذة السّيّد الخوئيّ (قده) تحصيلاً واجتهاداً.

---

(١) عن مخطوطة لولده السّيّد عبد الصّاحب فضل الله عن حياة والده (قده) نقلت عنها بتّصرف.

«ومع بزوغ نجمه العلمي والرّوحي، وفي وقت توجّه أقرانه وكلاء إلى بعض مناطق العراق من قبل المراجع، عرض عليه الإمام السّيّد الحكيم (قده) ـ والّذي كان يعرفه عن كثب ـ بأن يكون وكيلاً عنه في بعض المناطق؟ فاعتذر منه لعدم وجود الوقت، وأنّه يرغب بتفريغ أوقاته للبحث والتّحصيل فما كان من السّيّد الحكيم (قده) إلاّ أن قال أتركوه إنّه عاشق للعلم وله مستقبل زاهر.

حاز على مرتبة الاجتهاد في وقت مبكر من حياته، كما تنطق بذلك كتاباته الفقهيَّة والأصوليَّة والّتي طبع بعضها وبقيَ الآخر مخطوطاً. وكما يشهد بذلك أيضاً بزوغ نجمه العلمي بحيث أصبح من الوجوه البارزة والمعتمدة في حلِّ كثيرٍ من المسائل العلميّة بين الطّلبة العامليين اللّبنانيين. بل وحتّى في أجواء بعض النّجفيين. فأصبح في آخر عهده في النّجف قطب رحى العامليين ويعرف ذلك كل من عاصره ومن تتلمذ على يديه، وقد تخرّج عليه ثلّة من العلماء الأعلام»[١] من أبرز طلاّبه اللّبنانيين في النّجف الأشرف سماحة العلاّمة الحجّة الزّاهد الشّيخ حسين عوّاد (قده)، وسماحة العلاّمة الحجّة الشّيخ حسين قازان، وأولاده الثّلاثة الأعلام العلاّمة الحجّة السّيّد عبد الصّاحب، والعلاّمة السّيّد عليّ، والعلاّمة الدّكتور السّيّد صدر الدّين وغيرهم من العلماء الأعلام من لبنانيين وعراقيين.

قضى من عمره الشّريف في النّجف الأشرف ثلاثًا وعشرين سنة ولم يغادرها إلاّ مرّتين حيث أمضى وقته بالدّرس والتّدريس، والبحث والتّحقيق..

وفي النّجف الأشرف اقترن بكريمة ابن عمّه السّيّد عبد الرّؤوف فضل الله (قده).

---

(١) المصدر السّابق.

«وفي الفترات الأخيرة من وجوده في النّجف الأشرف توجّهت الأنظار إليه من بعض المناطق اللّبنانيّة، طالبين منه أن يحلَّ بين ظهرانيهم. عالماً ومرشداً. كما وصلته رسالة موقّعة من سبعة وثلاثين توقيعاً من وجهاء بلدة خربة سلم، لسانها الدّعوة للإقامة بينهم لإنقاذ دين جدّه، بحيث أنّهم كسفينة بدون رُبَّان»(١).

ج ـ العودة إلى لبنان:

غادر النّجف الأشرف في شهر شباط سنة ١٩٦٩م الموافق لشهر ذي الحجّة ١٣٨٨هـ تلبية لنداء أهالي خربة سلم في قضاء بنت جبيل من جبل عامل «وعندما استقرَّ في البلدة وجد أنّ التّيارات اليساريّة والحزبيّة ناشطة بها كسائر المدن والقرى العامليّة وقد عانى الكثير الكثير من انحرافهم وقت كانت توجيهات قيادتهم ضدّ رجال الدّين ومحاربة المفاهيم الإسلاميَّة ولذا رأى (قده) أنّ العمل لا بُدَّ وأن ينحو نحواً آخر بتربية الجيل الطّالع فأنشأ سنة ١٩٧٣م رابطة بين الشّباب سمّاها (رابطة الشّباب المؤمن) أخذت تنمو شيئاً فشيئاً كما أرسى لهم مركزاً كان فيما بعد مركزاً (لجمعيّة التّضامن الإسلامي) الّتي رُخصت من الدّولة سنة ١٩٧٩م وما إن دخلت سنة ١٩٨٢م حتّى كانت سنة الامتحان الإلهي لكلّ مؤمن في جنوب لبنان بالاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان ثمّ إلى العاصمة بيروت تحرق الأخضر واليابس، وقد كان لسماحته (قده) الدّور القياديّ الفعّال في استعمال روح الثّورة والعداء لهذا العدو العقائدي باتّخاذ قرار حاسم ومسؤول بالصّمود والبقاء على أرض جبل عامل الأبيّ مع شعبه قائداً وموجّهاً، ومصحّحاً، رغم كل الضّغوط الماديّة والمعنويّة الّتي تعرّض لها من قبل العدو تارة، ومن قبل العملاء أخرى، فقد صمد انطلاقاً من التّكليف الشّرعيّ وقد حاول العدو إخراجه بوسائل عدّة منها:

---

(١) المصدر السّابق.

سبعة عشرة محاولة قصف على منزله كان العدو يستعمل فيها أسلحته الخفيفة، والثّقيلة وحتّى أنّه أطلق صواريخ مدمّرة وكانت تنحرف عن منزله برؤيا العين وبوجودنا. وقد أُصيبت في إحدى المحاولات هذه زوجه الطّاهرة وأمّ أولاده ممّا أوجب نقلها إلى مستشفى في الجنوب ومن ثمّ إلى بيروت، وتسبّب لها بشلل نصفيّ عاشت معه مجاهدة صابرة حوالي الثّلاث سنوات.

ومنها: وضع إنفجار على مدخل منزله دمّر ما دمّر والسّلامة كانت من الله تعالى.

ومنها: توجيه صاروخ حارق على سريره الّذي ينام عليه والّذي كان قد غادره قبل فترة قصيرة.

ومنها: عرض القوّات الدّوليّة عليه الموجودة في المنطقة بأن يخرج من هذا الأتون بواسطة طائرة مروحيّة، تؤمّن من قبلهم فرفض ذلك.

هذا وقد كانت تصدر كلمات التّأييد بصورة مباشرة على التّلفون أو بصورة غير مباشرة من قيادات روحيّة وزمنيّة في بيروت مشيّدة بصموده، فكان جوابه شاكراً لهم، طالباً منهم المجيء إلى أرض الجنوب لتوجيه النّاس والعيش معهم، ولتفويت الفرصة على العدو الّذي يريد الأرض خالية من أهلها.

وقد كان منزله في تلك الفترة محطّ رحال المجاهدين من شباب المقاومة ومن أهل العلم والفضيلة، وقد أقام لهم مجلس عزاء حسينيّ أسبوعي كان يزدحم بهم تقام بعد مجلس العزاء النّدبات الحسينيّة، ثمّ كلام لسماحته موجّهاً ومبيّناً الواجب الشّرعيّ تجاه المستحدثات على الأرض، وقد كان لهذا المجلس الّذي استمرّ أكثر من سنة وحتّى إعلان العدو القبضة الحديديّة الأثر الفعَّال في تربية وتوجيه جيل المجاهدين من العلماء، والشّباب. وهكذا بقيَ في جنوب لبنان لم يغادره وحتّى عام ١٩٨٨م الموافق لشهر مُحرَّم الحرام ١٤٠٨هـ عام وقوع الفتنة العمياء بين

أبناء الطّائفة الإسلاميّة الشّيعيّة في لبنان، وذلك بعد أن وصلته أخبار أن هناك محاولة لاغتياله من بعض أبناء الطّائفة لاغتياله...»[1].

د ـ مؤلّفاته:

لسماحته (قده) مصنّفات كثيرة في الفقه والأصول والفلسفة والأدب منه ما طُبع، ومنها ما لم يُطبع، ومنها تعليقاته على بعض الكتب الأصوليّة، ومنها تعليقته على الجزء الأوّل من كفاية الأصول للإمام الشّيخ محمّد كاظم الخراساني الأخوند (قده). ومؤلّفاته هي:

١ ـ مستند الفقيه وهو بحوث فقهيّة استدلاليّة على كتاب العروة الوثقى وهي عبارة عن تقريرات أستاذه الإمام الخوئيّ (قده) مع مناقشة السّيّد (قده) لبعض آراء أستاذه الخوئيّ (قده) وهي لا زالت مخطوطة تحتاج إلى تنقيح وإخراج.

٢ ـ شرح مكاسب الشّيخ الأنصاري (قده) وهو سبعة أجزاء طُبع منه ستّة تحت عنوان بلغة الطّالب في شرح المكاسب. والسّابع قيد الإعداد للطّبع إن شاء الله تعالى. وهو كتاب فقهيّ استدلاليّ الكثير من بحوثه عبارة عن تقريرات أستاذه الإمام الخوئيّ (قده).

٣ ـ كتاب الشّركة: بحث استدلاليّ لباب الشّركة، بحثاً واستدلالاً.

٤ ـ كتاب الوصية. على نسق كتاب الشّركة، بحثاً واستدلالاً.

٥ ـ الإسلام وأسس التّشريع حاول من خلاله بيان لبعض الأصول والأسس الّتي يبتنى عليها التّشريع الإسلامي.

٦ ـ نظريّة الحكم والإدارة عند الإمام عليّ عليه السلام في عهده للأشتر.

---

(١) المصدر السّابق.

٧ ـ كتاب ولاية الفقيه لم يكتمل بسبب المرض الّذي ألمَّ به آخر حياته.

٨ ـ دليل الفتوى: محاولة لبيان دليل ومستند كلّ فتوى مبتدأ بأول أبواب الفقه، ولم يكتمل هذا الكتاب بسبب المرض الّذي ألمَّ به آخر حياته.

٩ ـ بحوث فلسفيّة وهو عبارة عن مناقشات فلسفيّة عقائديّة ناقش بها بعض فلاسفة الغرب، والمستشرقين. وهو عبارة عن أوراق مبعثرة تحتاج إلى جمع وإخراج.

١٠ ـ الإسلام شكلاً ومضموناً ـ كرّاس صغير طُبع تحت عنوان (من واقع الإسلام).

١١ ـ ديوان شعر: أسماه (السّراب) يحتوي على ثلاثة آلاف بيت.

هـ ـ أهمّ إنجازاته:

أوّلاً: أهمّ إنجازاته (قده) في النّجف الأشرف تربية جيل من طلبة العلوم الدّينيّة من اللّبنانيين من الّذين يحملون هموم الإسلام، والمسلمين ويتحمّلون المسؤوليّة الشّرعيّة الملقاة على عاتقهم ويقتدون بسماحته (قده) في الخُلق والعمل.

ثانياً: تأسيس حوزة علميّة في خربة سلم «فقد كان يطمح (قده) بأن تكون نواة لإعادة الحياة العلميّة إلى جبل عامل. وقد بذل جهده (قده) لإنجازها لمدّة سنوات عدّة في مرحلتها الأولى، وقد انتسب إليها مجموعة كانوا نموذجاً للطّلاب الملتزمين الواعين، وقد توقّفت أثناء الظّروف الأمنيّة الّتي عصفت بجبل عامل وممّا يجدر ذكره أيضاً أنّه في فترة ازدهار هذه المدرسة طُلب من المترجم له إقامة بحث خارج لتتمّ الفائدة، فكان جوابه، التّرحيب بذلك، ولكنّ الجو العلميّ المسيطر في

تلك الفترة لا يساعد على ذلك فاعتذر قائلاً: بأنّ من يحضر ليس أهلاً في تلك الفترة، ومن هو أهل لذلك لا يحضر باعتبار مسؤولياته العلمائيّة ـ والوقت أثمن من أن يضيع في درس ربما لا ينتج فائدة»[1].

ثالثاً: الوقوف في وجه المدّ اليساري في جبل عامل وتربية جيل من الشّباب المؤمن كانوا فيما بعد من قادة المقاومة الإسلاميَّة وأبطالها مقابل العدوّ الإسرائيلي، وقد استشهد بعضهم زوداً عن حياض الدّين والوطن.

رابعاً: الوقوف في وجه العدوان الإسرائيلي على جبل عامل، والصّمود فوق تلك الرّبى الطّاهرة وعدم مغادرتها ودعوته للعلماء، وللنّاس للصّمود ولعدم النّزوح عن الأرض لأنّ إسرائيل تريد أرضاً بلا شعب، وتشجيعه لعمليّات المقاومة ضدّ العدو إسرائيل، وتأييدها بالفتوى الشّرعيّة وبالدّعم المعنويّ والماديّ.

خامساً: دعوته الدّائمة لرأب الصّدع وللإصلاح بين ذات البين بخصوص القضايا الّتي أثيرت حول تأسيس المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى وغيرها من قضايا حدثت في جبل عامل.

سادساً: تأييده، ودعمه لأطروحة الجمهوريّة الإسلاميّة الّتي نادى بها وقام بقيادتها الإمام الخميني (قده)، وله مواقف كثيرة تعبّر عن موقفه هذا رضوان الله تعالى عليه.

سابعاً: تأسيسه لجمعيّة التّضامن الإسلاميّ سنة ١٩٧٩م لترعى مشروعه الخيريّ الّذي أقامه سنة ١٩٧٧م ولتقوم بالتّالي بعدّة مشاريع برعايته وإرشاده وهذه المشاريع هي:

١ ـ المشروع الخيري الاجتماعي وهو يتألف من أربعة طوابق الطّابق

---

(١) المصدر السّابق.

الأرضي مدرسة إسلاميّة للأطفال كما استغلّ أيضاً كمركز للنّشاطات الكشفيّة، والرّياضية أيام العطل المدرسيّة، وعند توقّف المدرسة لأسباب أمنيّة، الطّابق الثّاني عبارة عن حسينيّة للنّساء تقام فيه النّشاطات الإسلاميّة النّسائية، الطّابق الثّالث يحتوي على مشغل للخياطة للنّساء مع قاعة محاضرات ومكتبة عامّة مع دار للتّوليد. والطّابق الرّابع يتألّف من عدّة غرف وقاعات وهو عبارة عن حوزة علميّة دينيّة.

٢ ـ سعيه (قده) لحفر بئر ارتوازي بعد أن رأى بلدته بحاجة ماسّة لهذا المشروع، فقد سعى لحفر بئر خرج الماء منه على عمق ٥١٥م وهو قائم يعمل حتى الآن.

٣ ـ مشروع إقامة مستشفى في المنطقة للحاجة الماسّة لذلك ولدعم صمود العاملين فوق أرضهم، ولأنّ المريض قد يموت في الطّريق قبل وصوله لأقرب مستشفى معتبر... فاشترى الأرض الصّالحة لذلك في منطقة بئر السّلاسل التّابعة لبلدة كفردونين، وشقّ إليها الطّريق وبإشراف لجنة من المهندسين أقام الخرائط الفنيّة لذلك وسعى لوضع حجر الأساس وللبدء بالعمل غير أنّ الفتنة في جبل عامل سنة ١٩٨٨م قد حالت دون إتمامه لهذا المشروع.

٤ ـ إنشاء تعاونيتين زراعيتين مسجّلتين في الدّوائر الرّسميّة ولا زالتا تعملان لغاية تأريخه.

و ـ وفاته:

قال ولده سماحة العلاّمة الحجّة السّيّد عبد الصّاحب فضل الله يصف حال والده (قده) بعد تركه لبلدته خربة سلم وسكناه في بئر العبد نتيجة للفتنة العمياء الّتي وقعت في جبل عامل بين أبناء الطّائفة: «عاش حياته كلّها عملاً وجهاداً حتّى أصبح مثالاً يحتذى في سلوكيّته،

ومنهجيّته، لا يترك فرصة إلاّ ويدعو قولاً وعملاً إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال متأسّياً بسيرة أهل البيت﴿ع﴾ إلى أن ألـمّ به مرض عضال شغله عن كلّ ممّا تصبوا له نفسه وهو في قمّة عطائه العلميّ والاجتماعيّ إلى أن يقول: وقد أخذ المرض منه مأخذه وفي فترة أقلّ من السّنة، إلى أن أقعده الفراش في المستشفى فاقد النّطق والحركة، إلى أن أسلم الرّوح إلى بارئها في ٢٣ شعبان ١٤١٢هـ الواقع في ٢٦ شباط ١٩٩٢م وبوفاته فقدت الطّائفة ركناً مكيناً، وحصناً منيعاً. وقد اهتزّت لهذا الحدث الجلّ قلوب المؤمنين فهرعت مؤبّنة ومعزية، وحملت جثمانه الطّاهر مشيّعة إلى البلدة الّتي سكنها منذ عام ١٩٦٩م خربة سلم، والّتي جاهد وكافح بها ثمّ وري الثّرى في مقبرتها في اليوم التّالي.

هذه المقبرة الّتي تضمّ رفّات عالمين جليلين من علماء الطّائفة أعني بهما المرحوم المقدّس الشّيخ محمد دبوق المتوفى سنة ١٨٩٧هـ والمرحوم المقدّس السّيّد حسن محمود الأمين المتوفى سنة ١٩٤٩م. وقد أقيم على ضريحه مقاماً يخلد ذكراه»[1].

ز ـ ذكرياتي عن السّيّد (قده):

أثناء دراستي في المعهد الشّرعي الإسلامي في النّبعة ـ برج حمود منذ سنة ١٩٦٧م ولشهر آب ١٩٧١م كنت أسمع رئيس جمعيّة أسرة التّآخي المحسن الكبير الحاجّ خليل حويلي (رحمه الله تعالى) وبعض رفاقي في المعهد يتكلّمون عن سماحة آية الله السّيّد عبد المحسن فضل الله (قده) بإعجاب وإكبار، وزاد إعجابي به وإكباري له عندما التقيت بسماحته (قده) في منزل ولده سماحة العلاّمة الحجّة السّيّد عبد الصّاحب في النّجف الأشرف إذ قمت بزيارته مع بعض رفاقي من اللّبنانيين لتهنئته

(١) المصدر السّابق.

بالسّلامة وللتّعرف عليه، وللاستفادة من علمه وتوجيهاته. إذ أتى من لبنان زائراً لمقام جدّه ومولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.. كما لا أنسى تلك الأمسيات الّتي عكفنا في محرابه نأخذ العلم، والحكمة، والأدب منه، معجبين بشخصيته الفذّة وتواضعه، ومحبّته لنا، كما كان تقرّبه منَّا بالموعظة الحسنة يشدَّنا إليه..

وقد انطبعت صورته في ذهني، وخيالي حتّى أنّني رأيت في ما يرى النّائم وأنا ما زلت في النّجف الأشرف رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ينهاني عن أشياء، وكأنّ صورة السّيّد عبد المحسن (قده) مأخوذة من صورته.. ولا عجب في ذلك فإنّ من يطالع سيرة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله ويرى سماحة سيّدنا المترجم له (قده) عن قرب يعرف صدق الرّؤيا من حيث الشّمائل والصّفات والأخلاق... والله تعالى أعلم...

هذا وبعيد رجوعي إلى لبنان في خريف عام ١٩٧٨ كنت أقوم بين الفينة والأخرى بزيارته لأستفيد من علمه وأخلاقه وتوجيهاته. وكنت ولا زلت أكنُّ له الحبّ والتّقدير والإعجاب، وكان (قده) يبادلني بالنّصح والحنو، والمحبّة إذ كان كالأبّ الغيور على أبنائه، يأخذ بيدي نحو البحث، والتّحقيق، والثّقة بالله تعالى والتّوكل عليه في كلّ حال. كما كان (قده) يسألني عن بلاد جبيل وفتوح كسروان، وعن الوضع الحاضر بها، وعن قضايا التّبليغ والإرشاد، وعن ما يعاني المسلمون هناك من آلام، وإشكالات... وكنت أجيبه عن ذلك بصدق، وصراحة. وكان في ختام كلّ مجلس من مجالسه يدعو لي، وكنت أسرُّ بدعائه، وأحاول تقبيل يده فكان يمنعني من ذلك.

وعندما أُدخل إلى المستشفى في أواخر حياته، وأصابه ما أصابه من مرض عضال، كنت أزوره متبرّكاً بطلعته البهيَّة، طالباً منه الدّعاء فكان يجيبني بعينيه المباركتين، لأنّه كان لا يستطيع الكلام أو الحراك، وكأنّه يقول بلسان جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن وقف أهل الطّائف منه

موقفهم المعروف في بدء الدّعوة: اللّهم إن لم يكن بِكَ غضبٌ عليَّ فلا أُبالي...

وبعد فلقد كان سماحة آية الله السّيّد عبد المحسن فضل الله (قده) يمثّل بشخصه، وهديه، ومواقفه تجاه العدو الإسرائيلي، العالم الرّباني، والفقيه السّياسي، والمجاهد المحمّدي، والمؤمن الغيور على وطنه وكرامته، والزّاهد بالدّنيا وبمظاهرها. وقد ابتلاه الله تعالى بأشدِّ البلاءِ في نفسه وفي أهل بيته، فما زاده ذلك إلاّ إيماناً، وتسليماً لقضاء الله تعالى، وإعلاناً للمؤمنين أنّ طريق الجنّة لا ينال إلا بالصّبر وبالابتلاء وبالجهاد... وبَعدُ فلا غرو أن يَصُحَّ في وصفه أنَّه كان من علماء جبل عاملة، كما كان كالنبي أيّوب (عليه السَّلام) في الأنبياء صبراً واحتساباً وتقرّباً إلى الله تعالى.

الغبيري
في ٢٧ شوال ١٤١٥هـ
٢٨/٣/١٩٩٥م

٥ ـ آية الله السيد محمد جواد فضل الله (قده)

أ ـ ترجمة السّيّد:

هو حجّة الإسلام العلاّمة المجاهد الأديب الزّاهد السّيّد محمّد جواد نجل آية الله السّيّد عبد الرّؤوف بن آية الله السّيّد نجيب بن السّيّد محي الدّين بن نصر الله بن محمّد بن عليّ بن يوسف بن محمّد بن فضل الله بن الشّريف حسن بن السّيّد جمال الملّة والدّين يوسف بن الحسن بن محمّد بن الحسن بن عيسى بن فاضل بن يحيى بن جوبان بن ذياب بن عبد الله بن محمّد بن يحيى بن محمّد بن داود بن ادريس بن داود بن أحمد بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنّى بن الإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، من أسرة آل فضل الله المعروفة بالعلم والأدب[(١)].

وُلِدَ في النّجف الأشرف في ٢٣ شوّال سنة ١٣٥٧هـ.

والدته هي كريمة الحاجّ الفاضل حسن بزّي وهو من أعيان المؤمنين في بنت جبيل.

درس المقدّمات والسّطوح على شقيقه سماحة آية الله السّيّد محمّد حسين فضل الله (دام ظله).

---

(١) «الإمام الصّادق عليه السلام خصائصه ـ مميّزاته» تأليف السيد محمّد جواد فضل الله ـ تقديم آية الله العظمى السّيّد محمّد حسين فضل الله/ ص ٩.

أساتذته في الخارج هم من كبار أئمّة الفقه والأصول في النّجف الأشرف وهم آية الله العظمى السّيّد نصر الله المستنبط (قده). وآية الله العظمى السّيّد محمّد الرّوحاني (قده). والإمام السّيّد أبو القاسم الخوئيّ (قده) المرجع الأعلى للطّائفة الإسلاميّة الشّيعيّة الإثنيّ عشريّة في العالم، والذي اختصّ به حتّى كان من ألمع طلاّبه الّذين يشار إليهم بالفضل والتّقوى، والاجتهاد. «كان قريباً إلى المرجعيّة الدّينيّة العليا المتمثّلة بآية الله العظمى السّيّد أبو القاسم الخوئيّ (قده)، وكان يثق برأيه في كثير من الشّؤون المتعلّقة بالحوزة وبغيرها ويعتمد عليه في بعض الأمور المهمّة في النّجف، وفي لبنان»[1].

«وقد مارس التّدريس في الحوزة العلميّة في النّجف الأشرف، وفي المعهد الشّرعي الإسلامي في برج حمّود في مختلف العلوم الّتي تدرّس هناك، وتتلمذ عليه الكثيرون من الطّلبة اللّبنانيين، والعراقيين، والسّعوديين، والإيرانيين، وكانت علاقته بأساتذته وتلامذته علاقة مميّزة في طبيعة الأجواء الحميمة الّتي يعيشها معهم، وفي الممارسات العلميّة الوفيّة الّتي كانت تتمثّل في حياته معهم، بالمستوى الّذي جعل لهذه العلاقة صلة روحيّة عميقة منفتحة واسعة..»[2].

«وقد أدّت به مواقفه المبدئيّة إلى الدّخول في سجون النّظام العراقي كنتيجة لمساعي بعض المنتسبين إلى الدّين فيما قدّموه عنه من وشايات، وفيما أبلغوه من أخبار تتعلّق بنشاطه الدّيني الإسلامي. وقد مكث في السّجن مدّة أسبوعين عانى فيها الكثير من التّعذيب الجسديّ والنّفسي، وخرج منه على أساس بعض المداخلات العالية من قبل المرجعيّة الدّينيّة العليا في النّجف الأشرف وغيرها. وقد نقل لي أنّه لم يواجه المحقّقين الّذين حقّقوا معه بأيّ مظهر ضعف بل وقف أمامهم بكلّ قوّة تماماً كما

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠.

هي مواقفه في الحياة الإجتماعيّة العامّة...»[1].

ب. العودة إلى لبنان:

بعد تعرّضه للسّجن وللتّعذيب من قبل النّظام العراقي وإطلاق سراحه بعد شفاعة المرجعيّة الدّينيّة العليا له. وبعد اشتداد الظّلم والطّغيان على عامّة الشّعب العراقي وعلى الحوزة العلميّة في النّجف الأشرف بالخصوص. واستجابة لطلب والديه، وآل فضل الله، والمؤمنين قرّر العودة إلى لبنان مع عائلته حيث استقرّ في حارة حريك بمحلّة بئر العبد وذلك عام ١٩٧٢م وقد اختار (قده) أفقر منطقة في الضّاحية الجنوبيّة وهي حيّ السّلم والّتي تشكّل حزام البؤس للضّاحية، ولمنطقة الشّويفات ليبلّغ بها ويعظ النّاس، وليبني فيها رجالاً لا تأخذهم في الله لومة لائم، «وقلوباً تقف بعد ذلك بسنين» بوجه العدوان الإسرائيلي الغاشم عام ١٩٨٢، ولتفجّر الأرض بمقاومة لا تخضع، ولا تلين، ولبناء مشروع هناك يشتمل على معهد للفتيات لتعليم الخياطة والتّدبير المنزلي، ومستوصف، ونادٍ حسيني، ومسجد، ومكتبة عامّة، وحوزة دينيّة وليكون هذا المشروع فيما بعد مصدر إشعاع حضاري، وثقافي لتلك المنطقة ولسائر أبناء الضّاحية الجنوبيّة...

ج. أهمّ إنجازاته:

كانت حياة السّيّد محمّد جواد (قده) في لبنان من سنة ١٩٧٢م إلى تأريخ وفاته في أوّل آب ١٩٧٥م الواقع في ٢٣ رجب ١٣٩٥هـ مليئة بالعطاء العلمي، والفكري، والأدبي، والاجتماعي، وغنيّة بالأخلاق الفاضلة. وقد تعرّض سيّدنا الأستاذ (قده) للاتّهامات الباطلة، والأكاذيب الملفّقة من قبل عملاء النّظام العراقي في لبنان ممّن لبسوا مسوح أهل

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٢.

العلم وأطالوا لحاهم وألسنتهم بقول السّوء به، حسداً وبغياً على ذريّة نبيِّنا محمّد ﷺ...

وقد وفّقه الله تعالى في حياته القصيرة في العراق ولبنان لإنجاز ما يلي:

أوّلاً: تربية طلبة العلوم الدّينيّة وتوجيههم نحو الفضيلة والأخلاق العالية في النّجف الأشرف. وفي لبنان حيث كان يدرّسهم السّطوح العالية في الفقه والأصول، ويؤثر الفقراء وذوي الحاجة منهم على نفسه وأهل بيته.

ثانياً: تأسيس المشروع الإسلامي الكبير في حي السّلم والّذي تقدّم الكلام عنه.. وقد تابع العمل في هذا المشروع، وإمامة الصّلاة فيه من بعده شقيقه سماحة العلاّمة المجاهد السّيّد محمّد عليّ فضل الله (حفظه الله تعالى)، وبرعاية ودعم والده آية الله السّيّد عبد الرّؤوف فضل الله (قده)، وشقيقه سماحة آية الله العظمى السّيّد محمّد حسين فضل الله (دام ظلّه).

ثالثاً: مساعدة الفقراء والأيتام والأرامل والمستضعفين من الحقوق الشّرعيَّة.

رابعاً: الدّفاع عن أئمة أهل البيت (عليهم السَّلام)، وعن مدرستهم في العقيدة والفقه وعن أصحابهم. وقد صنَّف في ذلك عدّة كتب تعتبر من أفضل ما كتب في هذا الباب، ومؤلّفاته هي:

١ ـ صلح الحسن عليه السلام، يردُّ فيه عن الشّبهات الّتي أُثيرت قديماً، وحديثاً حول صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية.

٢ ـ الإمام عليُّ الرّضا عليه السلام.

٣ ـ حِجر بن عُديّ (رض).

٤ ـ الإمام الصّادق عليه السلام ـ خصائصه ـ مميّزاته.

٥ ـ ديوان شعر ـ غير مطبوع.

خامساً: إهتمامه الكبير بالسّعي إلى إعادة تشييد مقام الصّحابي الشّهيد حِجر بن عُديّ في منطقة مرج عذراء السّورية، مع بعض الأثرياء المؤمنين في إيران وقد أتى سعيه نتيجته الجميلة بعد وفاته، رحمه الله تعالى.

سادساً: إهتمامه بقضايا المسلمين التّحرريّة ولا سيّما بقضية فلسطين وتسجيل ذلك بشعره البليغ وممّا قاله:

يا فلسطين.. وهل يحلو لنا ... بعد أن ضرّجك العار عناء
لم نزل نلعق من آلامنا ... ما به يصعب للجرح شفاء
الشّعارات ضباب خلفه ... يصطفي للمطمع الغرّ خباء
أحرف جوفاء كم راح بها ... يتغنّى للفتوح الشّعراء
طالما صفّقت الأيدي لها ... طرباً واهتزّ للحلم رجاء
خدعوها أمة ما نُكبت ... لو رعى درب علاها الأمناء
سلبوها مجدها وانتهبوا ... فيئها وانتهبوها وأساؤوا
وأدالوها علينا دولاً ... يحكم الأمّة فيها الخلطاء
ذنب يصرع منهم ذنباً ... وهم في شرعة العذر سواء
بعثروا الطّاقات هل من أجلنا ... أم لأطماع لهم فيها امتلاء
إنّها سخرية أن تنطلي ... خدعة هل آمنت بالذئب شاء

❀ ❀ ❀

يا فلسطين ولا يجدي البكاء ... فثبّي يحتم للنّصر قضاء
وزني الخطو فقد بعثر من ... زلّة فيها إنخذال وانطواء
وأرقبي المسرى ولا تأتي فقد ... يلغز المسرى عليك الدّخلاء
إنّهم في الدّرب ما زالوا ومن ... همّهم أن يجهد الرّكب عناء
عبيء منّا القوى والتّحمي ... بالمنايا الحمر وليصمد إباء

فجّري الطّاقات من مكمنها وانشريها يلهب الأرض إصطلاء
إنّنا نار وإعصار إذا ضامنا في غمرة الجلى بلاء
فالهبي معركة الحقّ فإن خلصت يهتف بالنّصر دعاء[1]

❁ ❁ ❁

د ـ أولاده:

«خلف أربعة ذكور.. وقد حدّثني رحمه الله قبل وفاته بأنّه رأى رسول الله ﷺ في المنام وقال له: بأنّه سيرزق بأربعة أولاد ذكور، وأذكر أنّه حدّثني بأنّ رسول الله ﷺ ذكر له أسمائهم وقال له: بارك الله في هادي ومهدي وعلاء ويوسف، ولم يكن عنده آنذاك إلاّ هادي، ولهذا فقد كان يقول بأنّه لن يأتيه إناث... وتوفي ـ وكانت زوجته حاملاً ـ فانتظرنا صدق المنام، هل يكون المولود ذكراً يتمُّ عدد الأربعة أو يكون المولود أنثى.. وكانت المفاجأة أنّ المولود ذكر، وصدق المنام، الّذي كان قد رآه في أوّل عهده بالزّواج ـ كما أذكر ـ»[2].

وقد حكى لي (قده) هذا الحلم حيث كنت أحضر عليه درساً في السّطوح مع ثلّة من الطّلبة اللّبنانيين والعراقيين في حلقته الدّراسيّة بجوار مولانا أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام في النّجف الأشرف وذلك بعد الانتهاء من الدّرس ـ وكان من هؤلاء الطّلبة أصحاب السّماحة الشّيخ علي ياسين، والشّيخ يوسف دعموش، والشّيخ محسن عطوي ـ على ما أذكر ـ كما زاد (قده) على ذلك بمقدمة وهي أنّه في ذلك الحلم رأى نفسه يزور المقابر المقدّسة في البقيع ثمّ زار قبر الرّسول ﷺ وأخذ بزيارته والشّكوى له ﷺ بما شاهده في البقيع، من هتك واعتداء على قبور أهل البيت عليهم السَّلام. فخرج رسول الله ﷺ من حجرته الشّريفة،

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٧و١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥و١٦.

فما كان من سيّدنا المترجم له إلاّ أن تقدّم منه وقبّل يده (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وكرّر شكواه طالباً الفرج؟. فبشّره النّبي ﷺ بالفرج بعد الصّبر، وبأولاده الأربعة الآنفي الذّكر، مباركاً له فيهم..

هـ ـ شعره:

يعتبر السّيّد محمّد جواد فضل الله (قده) من كبار شعراء النّجف الأشرف، وجبل عامل قال عنه شقيقه آية الله السّيّد محمّد حسين فضل الله (دام ظله): «... فكان يمارس الشّعر من طفولته، وربّما بدأ قول الشّعر في العاشرة من عمره وكان يتلوه في بعض محافل النّجف، وكان ينال الاستحسان عليه آنذاك»[1].

«يتميّز شعره بالجزالة والسّلاسة والأسلوب الّذي يقترب من أسلوب شعراء العراق الكبار، وقد كان متأثّراً بشعر الشّاعر الجواهري. وربّما يبدو ذلك من شعره، وقد خاض الشّعر في أغراض متنوّعة، دينيّة، وإجتماعيّة، ووجدانيّة، وسياسيّة. وسنحاول أن نقدّم في هذه المقدّمة نماذج من كلّ لون من أجل إعطاء الصّورة الصّادقة عن شعره»[2].

ثمّ أورد سماحته (دام ظلّه) نماذج لطيفة وجميلة من شعر أخيه ومنها قصيدته عن فلسطين الّتي أوردناها آنفاً. فمن أراد المزيد فليراجع.

و ـ وفاته:

توفّاه الله تعالى إثر نوبة قلبيّة حادّة في أثناء نومه في ٢٣ رجب ١٣٩٥هـ الموافق لأوّل آب ١٩٧٥ في منزله في بئر العبد عن ثمانية وثلاثين عاماً، حيث كان لخبر وفاته وقع مؤلم في قلوب المؤمنين إذ فقدوا بوفاته ركناً من أركان العلم، والفضيلة، والتّقوى، والطّهارة، والإخلاص.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦.

وقد ازدحمت الوفود في حسينيّة جمعيّة أسرة التّآخي الخيريّة الإسلاميّة في برج حمود معزية والده وأشقاؤه وتلامذة الفقيد الكبير، وآل فضل الله بهذا المصاب الأليم[١].

وانطلقت الجماهير المعزية بالنّعش بموكب مهيب إلى مدينة بنت جبيل، وقد رافق ذلك الموكب الحزين عشرات السّيارات الّتي أتت من مدينة بيروت وضاحيتها الشّرقيّة والجنوبيّة، ومن البقاع في مشهد يوم لم تشهد مدينة بنت جبيل في تأريخها الطّويل مثله من الحزن والأسى ـ وقد راعني خروج الحرائر والمخدرات في المدينة وراء ذلك النّعش، وخلف تلك الجموع وهن يندبن ويلطمن على سيّد شباب آل رسول الله ﷺ في عصره بشعر عاملي حزين، أبكى العيون، وأدمى القلوب، وأرجع ذاكرة النّاس إلى أيّام الحسين عليه السلام في كربلاء ـ وقد كان لي شرف القدوم من فتوح كسروان بموكب صغير للمشاركة مع آل الفقيد، وأهالي مدينة بنت جبيل في ذلك المصاب الأليم يوم تشييع الجثمان الطّاهر، وفي الصّلاة عليه. وللمشاركة أيضاً في ذكرى أسبوعه في حسينيّة بنت جبيل، وفي ذكرى أربعينه في حسينيّة حيّ السّلم ـ الشّويفات.

«أقيمت له في أسبوعه وأربعينه حفلات تأبينيّة في العراق وإيران ولبنان، وكانت أيّاماً مشهودة دلّت على عمق المأساة في نفوس النّاس وألقيت فيها الخطب والقصائد الّتي لا يتّسع المجال لإثباتها هنا»[٢].

وممّا ورد في رثائه قصيدة لشقيقه سماحة آية الله العظمى السّيّد محمّد حسين فضل الله (دام ظلّه) رثاه بها وسجّلها في مقدّمته لكتاب أخيه (قده) عن الإمام الصّادق عليه السلام جاء فيها:

---

(١) وقد صادف وجود رفيقه وصديقه سماحة العلاّمة آية الله السّيّد محمّد رضا الخرسان في ضيافة السّيّد (قده) ليلة وفاته.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧.

«لي في الذّكريات زهو فتون بعثرت خطوه رياح المنون
أنت ذكراي أنت حلم نجاواي العذارى في رائعات الفنون
يا حبيبي يا حبّة القلب في روحي ويا فرحة السّنا في جفوني
كنت أنت - إبتسامة الأريحيات - بقلبي - في داجيات السّنين
حيث نخطو - معاً - على الرّبوات البيض في ملتقى صبانا الحنون
واللّيالي مجنّحات - مع الأحلام - بالشّعر - رعشاً بالحنين
وللرّسالات تستفزّ خطانا لغدٍ هادر بوحي الدّين

❁ ❁ ❁

أأناديك ؟ أين ضحكاتك الحلوة ما بين سامر وخدين
أين ذاك الوجه الصّبوح يرفّ الحبّ فيه كأغنياتِ الفتون
أين دنياً لا تستفزّ نجاواها اللّيالي - عبر الغد المحزون
وحيها النّور، في خطى الشّمس تهفو للأعالي على جناح أمين
أين ذاك الرّوح الطّهور، كما البسمة في لهفة الصّبا المفتون»[١]

❁ ❁ ❁

ز - ذكرياتي عن السّيّد (قده):

معرفتي بسماحة السّيّد محمّد جواد فضل الله (قده) كانت أيّام دراستي الأولى في المعهد الشّرعي الإسلامي في النّبعة - برج حمود -، عندما كان يزور لبنان في أشهر الصّيف، حيث كان يزور شقيقه سماحة آية الله السّيّد محمّد حسين فضل الله (دام ظلّه) وينزل في ضيافته أيّاماً، متنقّلاً ما بين برج حمود ومنزل والده آية الله السّيّد عبد الرّؤوف (قده) الصّيفي في بنت جبيل، أو منزل والده في الشّياح.

لقد كنت في المعهد أُسرُّ برؤيته لما أرى فيه من البهاء والجمال

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٧و١٨.

خَلقاً وخُلقاً، ومنطقاً، ومظهراً، وملبساً. إذ رأيت بشخصه (قده) العالم، الفاضل، الزّكيّ، المهذّب، الفقيه، الخطيب، التّقي، النّقي الّذي لا يَمِلُّ سامعه من حديثه، بل يطلب المزيد من كلامه. بل أنَّ النّاظر إلى وجهه المبارك يرى فيه هيبة وجمال جدّه الإمام السّبط الحسن بن عليّ عليه السلام. وعندما هاجرت إلى النّجف الأشرف مع عائلتي في نهاية صيف عام ١٩٧١م تعرَّضت بعد أسبوع من إقامتي هناك إلى ضائقة نفسيّة وماليّة، فوجهت وجهي نحو سماحة سيّدنا الأستاذ (قده) طالباً منه العون والمساعدة، والمخرج من هذه الضّائقة.. فما كان منه (قده) إلاّ أن قام بإغاثتي خير قيام مستعيناً بالإمام الخوئيّ (قده)، طالباً منّي الصّبر والتّوكل على الله تعالى.

كما كان لي شرف تلقّي العلم على يديه، وحضور حلقاته في إحدى الحجرات القريبة من باب العمارة لمشهد مقام مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حيث كان يفيض علينا من نمير علمه، ونستقي من نمير أخلاقه. وقد استمرّت دراستي عليه لستّة أشهر تقريباً، انقطعت بإلقاء القبض عليه من قبل النّظام العراقي الجائر، ومن ثُمَّ بعودته بعد الإفراج عنه إلى لبنان بعد مدّة قصيرة.

وخير كلام نختم فيه الكلام عن شخصيّة سيّدنا الأستاذ (قده) هو ممّا قاله عنه شقيقه الأكبر سماحة آية الله العظمى السّيّد محمّد حسين فضل الله (دام ظلّه) عن أخلاقه حيث أصاب الحقيقة، وأجاد في وصف ذلك إذ قال: «كان يتميّز بالرّوح المرحة المنفتحة على الآخرين، وبالقلب الكبير الّذي يعيش آلام النّاس ومشاكلهم، وبالوفاء في الصّداقة إلى حدّ التّضحية... وبالسّخاء في الإنفاق فيما يملكه من مال، وبالسّعي في حوائج النّاس مهما أمكنه ذلك، وقد عرف عنه تلامذته وأصدقاؤه، ومعارفه الكثير من ذلك فيما كان يقدّمه إليهم حتّى الإيثار، وفيما يسعى فيه من حوائجهم إلى المستوى الّذي قد يكلّفه الكثير من بذل ماء وجهه،

ومن الصّبر على كثير من السّلبيات الّتي تستتبع ذلك... وكان يحدث ـ في بعض الحالات ـ أن يأتيه المال ـ وهو بحاجة إليه ـ فيلتقيه بعض طلاّب العلم من المحتاجين فيشكو إليه بعض حاجته فيقاسمه ما عنده أو يؤثره على نفسه، وكان، رحمه الله، يحدّثني بذلك وبأنّ الله يعوّضه عمّا أنفق من حيث لا يحتسب بشكل يلفت النّظر، في سرعة التّعويض وفي طبيعته.

وقد امتدّ ذلك حتّى بعد مجيئه إلى لبنان حيث كان يستثمر علاقته بالتّجار المؤمنين وثقتهم به في قضاء حوائج كثير من الفقراء من طلاّب العلم الدّيني وغيرهم»[1].

الغبيري
في ٢٦ آذار ١٩٩٥م.
٢٥ شوال ١٤١٥هـ

(١) المصدر نفسه، ص ١٠و١١.

٦ ـ أشعة الإشراق من حياة القبيسي(*)

تمهيد:

قبيل عودة العلاّمة الزّاهد التّقيّ المجاهد الشّيخ محمّد حسن القبيسي إلى قريته أنصار في جبل عامل من النّجف الأشرف سنة ١٩٦٣م، صنَّف كتابه الأوّل أشعة الإشراق في ثلاثة أجزاء وطبعه في النّجف الأشرف لخَّص في كلّ جزءٍ منه الموسوعات الإسلاميّة الثّلاث: مروج الذّهب ومعادن الجوهر للمؤرّخ الكبير المسعودي، وجامع السّعادات للشّيخ الزّاهد النرّاقي، والكشكول لحكيم الإسلام الشّيخ البهائي العاملي.

وذلك بإيراد مقتطفات جميلة منها، ولتصبح تلك الأجزاء الثّلاث بإشراقاتها القبيسيّة فيما بعد زاد خير للشّباب وللأجيال في المعرفة، والعقيدة، والتّأريخ، والأخلاق بأسلوب شيخنا الواضح والمميّز. وقد أتى بذلك الكتاب النّفيس إلى لبنان وجعله في أيدي طلاّب العلم والمعرفة وسائر النّاس رحمة بهم، وإشفاقًا عليهم لنيل تلك المعارف، والمعاني العظيمة من تلك الموسوعات بالمقتطفات المختارة من قبل شيخنا لهم[1].

(*) مجلة «الحكمة» الصّادرة في: تشرين أول ١٩٩٩، العدد: ١٨ ـ عن الجمعية الخيريّة الاجتماعية ـ الشّياح.

(١) إنّ أهمّ ما يعانيه الطّلاب والشّباب من صعاب في هذا العصر هو عدم الفهم

وما أجدرنا اليوم عند الحديث عن حياة ذلك الزّاهد العابد إلاّ أن نستعير من أشعّة إشراقه عنوانًا للحديث عنه بعد أن فارقنا (رضوان الله عليه) مُلتحقًا بالله تعالى في ٩ جمادى الثّانية عام ١٤١٤هـ الموافق ٢٦/١١/١٩٩٣م مجاورًا لمولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام في النّجف الأشرف.

وأستطيع أن أتكلّم عن حياة شيخنا وأفكاره، وإنجازاته العلميّة، والثّقافيّة، والاجتماعيّة من خلال معرفتي الشّخصيّة له منذ سنة ١٩٦٥م عندما حلَّ إمامًا لجامع الشّياح القديم بطلب من لجنة الوقف في الشّياح، ومن بعض المؤمنين الصّالحين، ولغاية توجّهي لطلب العلوم الدّينيّة والشّرعيّة سنة ١٩٦٧ والتحاقي بالمعهد الشّرعيّ الإسلامي في برج حمود ومن ثمّ عندما تابعت دراستي في النّجف الأشرف سنة ١٩٧١م. حيث كنت أزوره بعيد رجوعي إلى لبنان من النّجف الأشرف في العطل الصّيفيّة كلّ مرّة. كما كان (رحمه الله) يزوّدني ويزوّد بعض زملائي من الطّلبة الآخرين العائدين إلى النّجف الأشرف للدّراسة في أواخر العطل الصّيفيّة بإرشاداته وببعض ما تيسّر معه من أموال وحقوق شرعيّة.

ومن خلال موسوعته الكبيرة الصادرة في خمس وسبعين مجلّدًا «ماذا في التّاريخ» والّتي سلك في معظمها سلوكه في كتابه أشعّة الإشراق في تلخيصه لبعض الموسوعات القديمة والحديثة، وفي ردّه على جميع الشّبهات الّتي أثيرت قديمًا وحديثًا حول الإسلام عقيدة وشريعة، وحول الشّيعة والتّشيّع وإلى غير ذلك من قضايا وأمور، وذلك تحت عناوين كثيرة نورد بعضها على الشّكل التّالي:

للمصطلحات العلميّة واللّغويّة للكتب القديمة، وغلاء أسعارها وقد اختصر الشّيخ القبيسي (قده) الطّريق عليهم في كتابه أشعة الإشراق بأسلوبه الواضح والمميّز وبالسّعر الرّمزي الّذي كان يباع به ذلك الكتاب بأجزائه الثّلاث وهو ستّ ليرات لبنانيّة تقريبًا أيّ ما يعادل دولارين لا غير.

أ ـ الكفاح لحفظ البقاء والكرامة:

ولد شيخنا في أواخر سنة ١٩١٤م لأسرة عامليّة فقيرة، ملتزمة بالإسلام وآدابه الفاضلة، مؤلّفة من أب وأمّ وأربع بنات. وقد فوجئت تلك الأسرة، وسائر العائلات العامليّة واللّبنانيّة بالحرب العالميّة الأولى، وبحصار الحلفاء للشّواطئ اللّبنانيّة، والفلسطينيّة، ومنعهم للمواد الغذائيّة، وللأدوية والعقاقير الطّبيّة من دخول هذه البلاد. وبالغلاء الفاحش، والجوع، والأمراض الّتي انتشرت في تلك الأيّام السّوداء. وبأفواج الجراد الّتي كانت تزاحم الفلاّحين في لقمة عيشهم، وفي قضمها للأخضر واليابس.

وبعد بلوغ شيخنا الثّالثة من عمره اختار الله تعالى له اليتم والبلاء بفقده لأبيه. قال شيخنا (قده) في ترجمة نفسه، تحت عنوان: الولد اليتيم، أو الرّجل المجهول: «وأصبحت تلك العائلة حزينة كئيبة على فقد حارسها وراعيها وكافلها من كلّ ما يحوجها ويؤذيها».

خصوصًا في تلك السّنين المجدبة والغلاء الفاحش ـ وفي تلك الحرب عامّة ـ الّتي شمل فسادها وبلاؤها ما بين المشرق والمغرب، حتّى أصبح الإنسان يموت جوعًا، وإذا مات لا يوجد من يواريه في التّراب[1].

ثمّ يتكلّم (رحمه الله تعالى) عن كفاح والدته الحنون، وانتقالها به وبشقيقاته إلى قرية أنصار، وسهرها على راحة هذه الأسرة، وعن وفاة إحدى شقيقاته هناك، وعن تزويج والدته لشقيقاته الثّلاث برجال صالحين من شباب تلك البلدة تقدمن لخطوبتهن. ومن ثمّ عن دراسته للقرآن الكريم، ولمبادئ القراءة في تلك القرية، وعن انتقاله مع والدته إلى

---

(١) ماذا في التّاريخ/ج ١٤/ص ٥٣٩.

بيروت للعيش معها وعن كفاحه لتثقيف نفسه بالقراءة والكتابة والمطالعة، وعن تعلّمه لمهنة النجارة، وعن زواجه بابنة عمّته سنة ١٩٣٣م وعن مولوده البكر العلاّمة الفاضل المرحوم الشّيخ أحمد الّذي رزقه الله تعالى إياه في سنة ١٩٣٦م، وعن رجوعه إلى قريته أنصار مع أسرته الصّغيرة ووالدته الحنون، واستئجاره لدكّان أخذ يتعاطى فيه عمل النجارة كمعلّم ماهر، وعن إقبال أهل البلدة عليه لحُسن معاملته، وصدق لهجته، وشدّة أمانته.

ب ـ الكفاح لأجل طلب المثل العليا في الإسلام:

بعد أن وفّق الله تعالى شيخنا القبيسي (قده) في إيجاد أسرة صغيرة، ذات رزق كريم، ومورد عذب، وسمعة طيبة بين النّاس لحُسن معاملته، وصدق لهجته «فجعل يخاطب نفسه بنفسه فيقول لها: افرضي أنّك قد ازدادت ثروتك حتّى أصبحت أغنى مخلوق في العالم. وسما شأنك بين النّاس حتّى أصبح الأمر والنّهي بيدك، وسجد لك جميع الخلائق فضلاً عن إطاعتها لك فما هو نهاية الأمر أليس إلى الموت مالك.؟ فما الّذي أعددته لما بعد الموت كما أعددت لما قبل الموت»[1].

ثمّ تبدأ رحلة شيخنا في البحث عن نجاة نفسه وتهذيبها، حيث يقول: «وفعلاً لقد سيطر هذا الغلام الباسل ـ الّذي فقد أباه قبل أن يحسن تمييز صورته ـ على نفسه الأمّارة بالسّوء، وألجمها بلجام من حديد وأصبحت بطبيعة الحال مُطيعة منقادة له يديرها كيفما شاء وأراد».

إلى أن يقول: فرأى ـ هذا المفكّر العظيم ـ أنّ هذه الأوصاف الحميدة والمزايا النّبيلة لا تنطبق تمام الانطباق ـ دون أدنى تفاوت ـ إلاّ على المعارف الإلهيّة والعلوم والرّوحيّة.

---

(١) المصدر السّابق ص ٥٤٢.

فتوجّه لنيلها والسّعي في طلبها والجدّ والاجتهاد في الحصول عليها فجعل يجول البلدان من مكان إلى مكان ويقصد الفضلاء والعلماء عالمًا بعد عالم حتّى حصّل قسطًا وافرًا من المبادئ والمقدّمات، وأخيرًا قرّر وعزم على ترك الأوطان ـ في طلب المعالي والكمال ـ وسافر إلى قطر العراق، إلى النّجف الأشرف ـ إلى مرقد البطل العظيم سيّد البلغاء والوصيين، ورئيس الحكماء والمتبتّلين ـ مورد طلاّب الحكمة والفضيلة، ومنهل العلوم الرّوحيّة والمعارف الإلهيّة وكان قد منح الله تعالى ـ هذا المفكّر العظيم ـ من الأولاد بنتًا وثلاثة صبيان وأصبح لديه عائلة مؤلّفة من سبعة أشخاص: هو وعياله ووالدته وأولاده الأربعة فتوكّل على الحيّ القيّوم.

وتوجّه نحو العراق لتنفيذ ما قرّره وعزم على طلبه والوصول إليه مهما كلّفه الحال من تعبٍ وعناءٍ فوصل بحول الله وقوّته سالمًا.

وانكبّ على طلب العلوم ـ بعد أن رتّب جميع الدّروس ـ لا يتعرّف على ملل ولا يعتريه سأم ولا يتعرّف على النّوم إلاّ حينما يتغلّب على جوارحه. إلى أن يقول: حتّى وصل إلى مراده ونال بغيته ومرامه، وهو الغنيّ العزيز ليس لمخلوق عليه مِنّة أو جميل سوى العليّ العظيم الّذي هو متوكّل عليه ومخلص في جميع أعماله وأفعاله له، وهكذا قضى هذا الرّجل مدّة حياته في كبره وشبابه.

ج ـ الولد اليتيم، أو الرّجل المجهول:

لقد عاش شيخنا القبيسي (قده) في النّجف الأشرف، وشهد ثلاثة عهود توالت على العراق وهي: العهد الملكي، والعهد الجمهوري بمدّه الشّيوعي أيّام عبد الكريم قاسم، والعهد العارفي بمدّه القوميّ العربيّ أيّام عبد السّلام عارف. كما عاصر الكثير من المراجع الأعلام، والأئمة الكرام في النّجف الأشرف كان أشهرهم على الإطلاق الإمامين السّيّدين

الحكيم والخوئي (رضي الله عنهما) حيث أخذ عنهما في الأصول والفقه كما كان وكيلاً شرعيًّا لهما في لبنان. كما عاصر في لبنان عدّة أحداث وقضايا مرّت على تأريخ هذا الوطن منذ سنة ١٩٦٥ ولغاية سنة ١٩٩٣ أهمّها كان الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان عدّة مرّات كان آخرها سنة ١٩٨٢م حيث وصلت جحافله إلى مدينة بيروت. كما عاصر الأحداث اللّبنانيّة المشؤومة الّتي دمّرت قدرات الوطن والمواطن منذ سنة ١٩٧٥م ولغاية سنة ١٩٩٠م وغير ذلك من قضايا يطول شرحها وبيانها في هذه العجالة. حيث ترى شيخنا يصف نفسه فيها بالرّجل المجهول حيث يقول: «وفي الحقيقة أنّ تسمية هذا الرّجل (بالرّجل المجهول) من أوضح صفاته الخاصّة به، لأنّه نشأ يتيمًا مجهولاً، وعاش طيلة حياته ـ قبل طلبه للعلم وحال طلبه للعلم وبعد رجوعه من طلب العلم إلى بلاده (رجلاً مجهولاً) والآن لم يزل مجهولاً عند جميع عارفيه ومجاوريه حتّى عند عشيرته وأهل بيته من عياله وأولاده أو لم يعرف حقيقة ما ينطوي عليه فؤاده إلاّ خالقه»[1].

وأستطيع التّعليق على ما جاء بقلمه من نعته لنفسه بالرّجل المجهول بما يلي:

أوّلاً: إنّ شيخنا (قده) كان مجهولاً عند جميع وسائل الإعلام من صحف وإذاعة، وتلفزيون، وندوات، ومؤتمرات في العراق وفي لبنان لابتعاده عنها ولإيثاره الجلوس مع طلبة العلوم الدّينيّة، والفقراء والمساكين على الجلوس أمام وسائل الإعلام أو مع الأغنياء، والزّعماء، والأعيان.

ثانيًا: إنّ شيخنا (قده) كان من الأبدال المجاهدين لأنفسهم، والمؤمنين أنّ جهاد النّفس وتحريرها من عبادة الشّيطان هو الصّراط

---

(١) المصدر السّابق ص ٥٤٧ ـ ٥٤٨.

المستقيم بطلب المثل العليا في الإسلام وأيّ طريق غير هذا فهو كلام من نسج الخيال... وإنّ هذا الصّراط لا يستطيع المؤمن بلوغه إلاّ بعد استنارته بكتاب الله تعالى وسنّة رسوله وأهل بيته الطّيبين الطّاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ومن خلال رجوعه إلى تقليد الأعلم من المجتهدين المعاصرين أو أن يعمل بأحوط الأقوال.

ثالثًا: إنّ من يقرأ آثار الشّيخ الّتي تركها يجد أنّ المُثل العليا الّتي جاهد لأجلها وطبّقها على نفسه وأهل بيته، وطلاّبه ومرّ يديه بكل حزم وإيمان جعلت منه صاحب مدرسة في لبنان كما كان سماحة آية الله العظمى الشّيخ حسين الحُلّي (قده) صاحب مدرسة خاصّة في النّجف الأشرف في علمه وتقواه وفي ابتعاده عن وسائل الإعلام غير أنّ مدرسة الشّيخ الحلّي قد حظيت بتأييد المرجع الأعلى الإمام السّيّد الحكيم (قده) لها ومساعدته لطلاّبها واعترافه بها. بينما مدرسة شيخنا القبيسي بقيت مجهولة كصاحبها وذلك كما تكلّم هو عن نفسه (رحمه الله تعالى).

د. الاحتياط سبيل النّجاة:

لقد كانت حياة الشّيخ القبيسي (قده) وأفكاره وأقواله أنموذجًا صالحًا للآمرين بالمعروف والنّاهين عن المنكر من طلاّبه ومريديه، غير أنّه ألزم نفسه بالاحتياط الشّديد، وبالابتعاد عن كلّ شبهة سواء كانت حكميّة أو موضوعيّة. وكان لا يسكت عن مُنكر أبدًا سواء صدر ذلك المنكر من عالم أو غيره أو غنيّ أو فقير كما كان لا يهاب أحدًا في ذلك أبدًا.

كان عنده بعض الآراء والفتاوى الّتي أبعدتني عنه، وأبعدت الكثير من العلماء والطّلبة عنه، ومن تلك الفتاوى:

١ ـ تحريمه للدّخان واعتباره منكرًا من المنكرات.

٢ ـ تحريمه خوض الانتخابات النّيابيّة، والتّنافس لأجلها.

٣ - تحريمه على العلماء والطّلبة الوظيفة في الدّولة اللّبنانيّة من قضاء وإفتاء ونحو ذلك مهما كانت الأسباب والعناوين. وغير ذلك من آراء علميّة تستحقّ النّقاش والتّعليق عليها. وما هذا إلاّ لسلوك شيخنا (رحمه الله) تعالى طريق الاحتياط الّذي كان يعتبره الطّريق الوحيد المبرء للذّمّة أمام الله تعالى تأسّيًا ببعض علمائنا من السّلف الصّالح.

هـ - إنجازات شيخنا المترجم له:

وأهمّ إنجاز تركه لنا شيخنا المترجم له هو:

أوّلاً: مدرسته الفكريّة والعلميّة، والعرفانيّة والّتي سبق الكلام عنها، وعن سلوكه طريق الاحتياط في جميع الشّبهات الحكميّة أو الموضوعيّة تأسّيًا ببعض علمائنا من السّلف الصّالح (رضوان الله تعالى عليهم).

ثانيًا: موسوعته الكبرى «ماذا في التّاريخ» والّتي سبق الكلام عنها وهي تستحقّ من طلاّب شيخنا ومريديه الاهتمام بالعكوف عليها وتلخيصها في ستّة مجلّدات حتّى تصبح في متناول طلاّب العلم والمعرفة والفضيلة وبالتّالي يسهل عليهم اقتناؤها ودراستها والاستفادة منها.

ثالثًا: تفقّده لقرى المسلمين الشّيعة في كلّ مناسبة يُدعى إليها، واهتمامه بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بينهم فقد زار قريتي المعيصرة في فتوح كسروان في ٢٢ آذار ١٩٦٧ الموافق للحادي عشر من شهر ذي الحجّة سنة ١٣٨٦هـ. للصّلاة على جثمان المرحومة ياسمين ضاهر عقيل عَمرو زوجة شيخ القرية المرحوم الشّيخ حسين الحاجّ مسلم عقيل عَمرو حيث كان الشّيخ يؤدّي مناسك العمرة والحجّ في مكّة المكرّمة، آنذاك.

رابعًا: تأسيسه للجمعيّة الخيريّة الاجتماعيّة في منطقة الغبيري

الشّياح سنة ١٩٧٠م الموافق لسنة ١٣٨٩هـ لتكون العين الصّافية، واليد البيضاء لكلّ أرملة، ويتيم، وفقير، والأستاذ والرّاعي الصّالح لطلبة العلوم القرآنيّة. وقد تابع مسيرة الجمعيّة من بعده تلميذه الوفيّ العلاّمة الفاضل الشّيخ عليّ البغدادي، ومن ثمّ حفيده العلاّمة الفاضل الشّيخ قاسم الشّيخ حسن نجل سماحة الشّيخ محمّد حسن القبيسي. حيث خطى بها هذا الحفيد المبارك خطوات طيبة نحو القرن الواحد والعشرين بإنشائه لجنة لكفالة اليتيم، وصندوق خاصّ للصّدقات والزّكاة، ومعهد خاصّ بعلوم القرآن الكريم، ومكتبة متخصّصة بالعلوم القرآنيّة وغيرها تحت إسم مكتبة الإمام الحسين عليه السلام العامة، ومركز للبحوث والدّراسات القرآنيّة، وبإنشاء فرع لهذه الجمعيّة المباركة مع مستوصف خيري في منطقة شعبيّة بائسة هي منطقة القبّة في مدينة طرابلس. وبمجلّة الحكمة الشّهريّة الّتي تصدر في الوقت الحاضر كنشرة داخليّة للجمعيّة.

الفصل الثّاني

انطباعات عن جملة
من العلماء ووقفة عند بعض أفكارهم

آية الله العظمى الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر (قده)
آية الله العظمى الشّهيد السّيّد محمّد محمّد صادق الصّدر (قده)
آية الله الشّهيد السّيّد محمّد باقر الحكيم (قده)
آية الله العظمى السّيّد عليّ الحسينيّ السّيستانيّ (دام ظلّه)
آية الله العظمى السّيّد محمّد سعيد الحكيم (دام ظلّه)
آية الله العظمى السّيّد روح الله الخمينيّ (قده)
آية الله العظمى السّيّد عليّ الحسينيّ الخامنئيّ (دام ظلّه)
آية الله العظمى السّيّد محمّد حسين فضل الله (دام ظلّه)
العلاّمة المؤرّخ السّيّد حسن الأمين (قده)
آية الله العظمى الشّيخ محمّد أمين زين الدّين (قده)
أسرة آل الخرسان العلميّة في النّجف الأشرف

المقالة الأولى:

الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر
سطور من الذّاكرة(*)

هو السّيّد محمّد باقر ابن آية الله السّيّد حيدر ابن آية الله السّيّد إسماعيل ابن العلاّمة السّيّد صدر الدّين شرف الدّين الموسويّ العامليّ، المعروف عند العامّة والخاصّة بالسّيّد الصّدر، من قرية شحور في قضاء صور من جبل عامل. وقد هاجر (قده) من شحور إلى العراق مع من هاجر من علماء جبل عامل هربًا من طغيان وبطش أحمد باشا الجزّار والي عكّا الّذي حكم جبل عامل بالحديد والنّار، وسكن (قده) في مدينة الكاظميّة القريبة من بغداد بجوار جدّه الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

والدته هي كريمة الشّيخ عبد الحسين آل ياسين إمام الكاظميّة وشقيقة المرجع آية الله الشّيخ محمّد رضا آل ياسين، وآية الله الشّيخ مرتضى آل ياسين مؤسّس جماعة العلماء في النّجف الأشرف.

فَقَدَ سيّدنا الشّهيد (قده) والده وهو ابن أربع سنين فعاش في كنف أمّه الحنون وبرعاية شقيقه آية الله السّيّد إسماعيل الصّدر (قده)، الّذي

(*) صحيفة العهد الصادرة في بيروت ـ يوم الجمعة في: ٨/٤/١٩٩٤م.

درس عليه وأخذ منه ومن خاليه الشّيخ محمّد رضا والشّيخ مرتضى الكثير من العلم والتّقى والمعرفة والاهتمام بقضايا المستضعفين في الأرض، وكانت أكثر دراسته للمقدّمات والسّطوح على نفسه مستعينًا بشقيقه.

هاجر إلى النّجف الأشرف لمتابعة دراسته وهو بعد في أوائل سني بلوغه، وقد امتاز (رضوان الله عليه) منذ طفولته بالذّكاء والنّبوغ، كما امتاز أثناء تتلمذه على يدي الإمام السّيّد أبو القاسم الموسويّ الخوئيّ (قده) وعلى خاله آية الله الشّيخ محمّد رضا آل ياسين (قده) بالتّحقيق والتّدقيق حتّى بلغ رتبة الإجتهاد وهو دون العشرين من عمره الشّريف. وإلى جانب دراساته التّخصّصيّة، أطلع وبصورة واسعة على العلوم الحديثة والنّظريّات العصرية إلى الحدّ الّذي جعله مؤهّلاً لتحدّي أصحاب الفلسفات والنّظريّات الملحدة أمثال كارل ماركس، وأنجلز، وكانت، وديكارت وغيرهم، وإظهار تهافت نظرياتهم.

بدأ بإلقاء دروسه على مستوى بحث الخارج في الفقه والأصول وهو في الخامسة والعشرين من عمره الشّريف سنة ١٣٧٨هـ ونهل من علمه وفضله العشرات من طلاّب العلم والفقه، وتخرّج على يديه العديد من أفاضل العلماء وجهابذة المجتهدين.

بعد وفاة الإمام السّيّد محسن الطّباطبائي الحكيم (قده) سنة ١٩٦٩ رجع إلى الشّهيد الصّدر (قده) جمع كبير من المؤمنين بالتّقليد في العراق وإيران وأفغانستان ولبنان وسوريا وفي بلاد الخليج.

كانت مرجعيّة الشّهيد السّيّد الصّدر (قده) للأمّة الإسلاميّة من سنة ١٩٦٩ إلى حين استشهاده عام ١٩٨٠م، هي مرجعيّة الأمل بنصر الله تعالى للإسلام والمسلمين، ومرجعيّة التّحدّي للماركسيّة، وللعلمانيّة وللعفالقة، وقد تحقّق هذا الأمل في حياته رضوان الله عليه بانتصار أطروحة الإسلام في إيران على يدي الإمام الخميني (رض) وبمواكب

الشّهداء الّذين قدّمتهم الأمّة في العراق وفي جبل عامل وفي فلسطين، وفي تحدّيه للماركسيّة، وللتّيارات العلمانيّة والقوميّة من خلال كتبه الّتي كانت كعصا موسى عليه السلام في وجه أطروحات الضلال والتضليل، وأهمّها: فلسفتنا، واقتصادنا، والأسّس المنطقيّة للإستقراء، والمدرسة الإسلاميّة، وسلسلة: الإسلام يقود الحياة، والبنك اللاربويّ في الإسلام وغيرها، والّتي عرّفت الإسلام لأساتذة الجامعات وطلاّبها من المسلمين وغير المسلمين أنّه أطروحة الله تعالى لإنقاذ الإنسان في كلّ زمان ومكان من رجس الشّيطان ومن عبوديّة الإنسان للإنسان، وأنّه الدّواء الّذي لا شفاء إلاّ به.

في عام ١٩٧٨ وعندما كنت أحضر عليه درسًا من دروس الفقه على العروة الوثقى في مسجد الطّوسي في النّجف الأشرف، قرأ علينا برقيّة وصلته من أحد وكلائه في مدينة صور وهو العلاّمة السّيّد محمّد الغروي يصف فيها لسيّدنا الأستاذ الشّهيد الصّدر (قده) همجيّة الإعتداء الصّهيوني على جبل عامل والإحتلال الإسرائيلي لتلك البقاع المقدّسة، وقتل اليهود للشّيوخ وللنّساء والأطفال وهلع الآباء وبكاء الأمّهات وأنين الأيامى والثّكالى، فبكى (رضوان الله تعالى عليه) حتّى كاد يُغمى عليه وبكينا كثيرًا لبكائه، لقد كان من الباكين معنا الشّهيد العلاّمة السّيّد عبّاس الموسويّ، الّذي أضاء بشهادته فجر المقاومة الإسلاميّة في لبنان وفلسطين، والشّهيد العلاّمة السّيّد عماد التّبريزي الّذي أضاء بشهادته ليالي العراق، وغيرهما من العلماء الأبطال الّذين التزموا بوصيّة الشّهيد بالإلتزام بمرجعيّة الإمام الخميني (قده) الّتي جسّدت آمال الإسلام في إيران اليوم، والّتي لا بُدّ من الإلتفاف حولها والإخلاص لها وحماية مصالحها والذّوبان في وجودها العظيم بقدر ذوبانها في هدفها العظيم.

لقد كان لإستشهاد آية الله العظمى السّيّد محمّد باقر الصّدر وشقيقته المجاهدة السّيّدة بنت الهدى (رضوان الله عليهما) في ١٨ شوّال ١٤٠٠هـ

الموافق ٩ نيسان من عام ١٩٨٠م على يدي طاغوت العراق الأثر الكبير على قلب الإمام الخميني (رض) ـ حيث أبّنه ورثاه ببيان تاريخي عظيم ـ وعلى قلوب علماء الإسلام من شيعة وسُنّة في شتّى بقاع الأرض.

وقد عطّلت الحوزات والمعاهد العلميّة في العراق وإيران ولبنان وسوريا والهند وباكستان، وخرجت الجماهير بقيادة العلماء من طلاّب الشّهيد الصّدر (قده) وأصدقائه في مسيرات تطوف الشّوارع مندّدة بتلك الجريمة النّكراء، ومعاهدة الله تعالى على متابعة الطّريق، وكانت أبرز تلك التّظاهرات تظاهرة الضّاحية الجنوبيّة في بيروت حيث تصدّت الجماهير الغاضبة لأوكار الحزب الحاكم في العراق وللصّحيفة النّاطقة بإسمه ـ جريدة بيروت ـ وأخرجتهم من الضّاحية الجنوبيّة وبيروت الغربيّة بعد سقوط بعض الشّهداء والجرحى آنذاك.

المقالة الثانية:

آية الله العظمى الشّهيد السّعيد السّيّد محمّد باقر الصّدر (قده) في ذكرى استشهاده؟(*)

تطلّ علينا الذّكرى الثّالثة والعشرين لاستشهاد سيّدنا الأستاذ الإمام السّيّد محمّد باقر الصّدر (قده) والعالم الإسلامي والعراق يلفّها الحزن نتيجة الهجوم الأمريكي والبريطاني والصّهيوني على العراق. فتزيد الحزن حزنًا. وتكون بابًا لنتذكّر كلماته، وتوجيهاته، ووصاياه الّتي دأب على توجيهها للشّعوب الإسلاميّة بشكل عام، وللشّعب العراقي المظلوم بشكل خاصّ. ومواقفه الجهاديّة اتجاه النّظام العراقي السّابق الّذي أودى بحياته مع شقيقته الفاضلة السّيّدة آمنة الصّدر المعروفة ببنت الهدى في التاسع من شهر نيسان ١٩٨٠م الموافق للعشرين من شهر جمادى الأولى لعام ١٤٠٠هـ.

أ ـ مع سيرة الشّهيد الذّاتيّة:

هو السّيّد محمّد باقر ابن آية الله السّيّد حيدر بن السّيّد إسماعيل بن

(*) مجلّة الوحدة الإسلاميّة الصّادرة عن تجمع العلماء المسلمين في بيروت، العدد رقم: ١٧ في: نيسان ٢٠٠٣م.

السّيّد صدر الدّين ابن السّيّد صالح من آل شرف الدّين الموسويّ العامليّ من ذريّة الإمام موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ ابن أبي طالب عليهم أفضل الصّلاة والسّلام.

وُلِدَ رضوان الله تعالى عليه في مدينة آبائه «الكاظميّة»، وهي قضاء من محافظة بغداد في يوم الأحد في الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة من عام ١٣٥٢هـ، الموافق للثّامن والعشرين من شهر شباط في عام ١٩٣٥م.[١]

فَقَدَ الشّهيد السّيّد محمّد باقر والده آية الله السّيّد حيدر الصّدر (قده) في الثّالثة من عمره الشّريف حيث عاش في كنف خاله المرجع الدّيني آية الله الشّيخ محمّد رضا آل ياسين (قده)، وقد أشرف على تربيته وتعليمه شقيقه الأكبر آية الله السّيّد إسماعيل الصّدر (قده)، كتب الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر مترجمًا لشقيقه قائلاً عن علاقته به: «.... رافقته أكثر من ثلاثين سنة كما يرافق الابن أباه، والتّلميذ أستاذه، والأخ أخاه في النّسب، وأخاه في الآمال والآلام، وفي العلم والسّلوك...».[٢]

هاجر سيّدنا الشّهيد إلى النّجف الأشرف لطلب العلوم الدّينيّة في عام ١٣٦٥هـ مُلتحقًا بشقيقه آية الله السّيّد إسماعيل الصّدر حيث درس عليه وعلى كبار جهابذة النّجف الأشرف مرحلتي السّطوح والخارج. ومن أهمّ أولئك الأساتذة الأعلام خاله آية الله الشّيخ محمّد رضا آل ياسين (قده)، والإمام السّيّد أبو القاسم الخوئيّ (قده). وقد تميّز (رض) بالنبوغ والاجتهاد في علمي الأصول والفقه والتّأريخ قبل بلوغه الحلم حيث لم يرجع إلى أحد في التّقليد طيلة حياته، كما صنّف كتبه الثّلاثة ما بين ١٩٥٠م ولغاية ١٩٥٢م وهي:

---

(١) محمَّد باقر الصدر، لنخبة من الباحثين، من ص: ٤٧ إلى ص: ١٠١ بتصرف.

(٢) نفس المصدر.

١. تعليقه على الرّسالة الفقهيّة لخاله الشّيخ محمّد رضا آل ياسين (بلغة الرّاغبين).

٢. فدك في التّأريخ.

٣. غاية الفكر في الأصول.

ب ـ إنجازات السّيّد الشّهيد العلميّة:

وأمّا الحديث عن إنجازات سيّدنا الشّهيد العلميّة فحديث طويل يستدعي تصنيف كتاب خاصّ غير أنّه يمكننا الإشارة إلى بعضها، ففي عام ١٣٨١هـ الموافق لعام ١٩٦١م تطوى لسيّدنا الشّهيد الوسادة في حوزة النّجف الأشرف، ويقصده طلاّب علمي الأصول والفقه طالبين منه فتح دورة لهم وتزويدهم بآرائه وتعليقاته في هذين العلمين الشّريفين، ويستمرّ الشّهيد الصّدر في العطاء العلميّ لمدّة تسعة عشر عامًا ليتخرّج عليه أكثر من مائة وخمسين عالمًا من جهابذة العلم والفكر والنّهضة في العالم الإسلامي.[١]

كما قام الإمام الشّهيد السّيّد الصّدر (قده) منذ عام ١٩٦١م ولغاية عام ١٩٨٠م بتطوير الدّراسات الشّرعيّة الإسلاميّة حيث كان له الفضل الكبير واليد الكبرى في إدخال بعض العلوم الجديدة على الحوزة واستنباطها وتطويرها، وهي العلوم الآتية:

١ ـ الفلسفة الإسلاميّة:

حيث اتّخذ من الأسس الصّحيحة للفلسفة الإسلاميّة القديمة، ومن علم المنطق القديم وعلى ضوء الكتاب والسُّنّة منطلقًا لتأسيس فلسفة إسلاميّة حديثة في نظرية المعرفة، وفي فلسفة التّأريخ، وفي علم

---

(١) انظر كتاب تلامذة الإمام الشهيد الصدر للسَّيِّد مُحمَّد الفرويّ.

الاجتماع الإسلاميّ، وفي الأسس المنطقيّة للإستقراء، وفي نقض مبادئ المنطق الدّيالكتيكي، والفلسفات الماديّة الحديثة. ومن أهمّ كتبه في هذا الباب: فلسفتنا، الإنسان المعاصر والمشكلة الاجتماعيّة، الأسس المنطقيّة للإستقراء، التّفسير الموضوعي والسّنن التّأريخيّة في القرآن الكريم، بحث حول المهديّ، فدك في التّأريخ.

٢ ـ الاقتصاد الإسلامي:

فقد قام (رحمه الله تعالى) باستنباط مذهب إقتصاديّ حديث بعد أن بيّن تهافت وتناقض المذهب الإقتصاديّ الإشتراكيّ والماركسي، والمذهب الإقتصاديّ الرّأسمالي. كما بيّن مخاطر الرّبا وضرره على شعوب العالم المستضعَفة والفقيرة داعيًا إلى إيجاد بنك إسلامي وفق قواعد الإقتصاد الإسلامي المنزَّه عن الرّبا والغش والاحتكار. ومن أهمّ كتبه في هذا الباب: إقتصادنا، ماذا تعرف عن الإقتصاد الإسلامي، البنك اللاّربويّ في الإسلام.

٣ ـ علم الكلام الإسلامي الحديث:

كما ونراه (رحمه الله تعالى) في كتبه الآتية: تعليقات على كتاب الأسفار للملاّ صدرا، والمرسل والرّسول والرّسالة، وبحث حول الولاية، وبحث حول المهديّ، وأهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف، وفدك في التّأريخ، يتوجّه فيها إلى مقارعة الأفكار والطّروحات الماديّة في المذاهب السّياسيّة العلمانيّة القديمة والحديثة، وإلى الدّعوة للوحدة الإسلاميّة تحت راية القرآن الكريم وسُنّة رسول الله وأهل بيته الطّيبين الطّاهرين، وبناء العقيدة الإسلاميّة في شخصيّة المُسلم المعاصر إنطلاقًا من الأدلّة العقليّة القديمة والحديثة، والابتعاد عن لغة التّكفير والسّباب والشّتائم بين المذاهب الاسلاميَّة، أو بين المسلمين وغيرهم.

٤ ـ فلسفة الأخلاق:

إهتمّ سيّدنا الأستاذ الشّهيد بالأخلاق الإسلاميّة لما لها من دور كبير وعظيم في صياغة شخصيّة الفرد والجماعة، فكان (رحمه الله تعالى) المثل الأعلى في الأخلاق لزملائه في جماعة العلماء في النّجف الأشرف، ولطلاّبه الأعلام في الرّضا والغضب، وفي الصّبر والقناعة، وفي محاضراته وكلماته الأخلاقيّة الّتي كان يوجّهها لطلاّبه ومقلّديه. وقد صنّف سيّدنا الأستاذ آية الله العظمى السّيّد كاظم الحائريّ (دام ظلّه)، مُصنّفًا ضخمًا من ٦٧٦ صفحة في فلسفة الأخلاق تعرّض فيه إلى آراء ونظريّات سيّدنا الأستاذ الإمام الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر بأمانة وإخلاص.

٥ ـ فلسفة التّاريخ:

قام الدّكتور محمّد عبد اللاّوي أستاذ الفلسفة الجزائري بدراسة آثار الشّهيد ومحاضراته التّأريخيّة، واستنبط من خلالها فلسفة التّأريخ، والّتي اعتمدها الشّهيد من وحي القرآن الكريم وهديه في تأريخ الأمم والشّعوب. وهي بالتّالي تختلف عن فلسفة التّأريخ عند العلاّمة ابن خلدون، وعند فلاسفة أوروبا. وتسعى لوحدة المسلمين من خلال نظرتهم إلى تأريخهم المجيد. راجع كتاب: «محمّد باقر الصّدر» لنخبة من الباحثين، دار الإسلام، لندن.

٦ ـ علم أصول الفقه في ثوبه الجديد:

لقد كان لسيّدنا الأستاذ الإمام الشّهيد اليد البيضاء، والفضل الكبير على علم أصول الفقه وتطويره وتهذيبه وإدخال حساب الاحتمالات إليه وجعله بمتناول طلبة العلوم الشّرعيّة، وطلاّب القانون بعد أن كانت معظم مصادره وكتبه القديمة كالطّلاسم والأحاجي الّتي لا يفهمها إلاّ ذو حظٍ عظيم.. وكتبه في علم الأصول خير شاهد على ما تقدّم وهي: غاية الفكر

في الأصول، والمعالم الجديدة في الأصول، ودروس في علم الأصول في أجزائه الأربعة.

وأمّا محاضراته في بحث الخارج في أصول الفقه في مباحث الألفاظ والأصول العمليّة فقد كتبها وأخرجها العديد من طلاّبه الأعلام في عدّة مجلّدات، ومن أبرزهم كان سماحة آية الله السّيّد محمود الهاشمي الشّاهرودي (دام ظلّه). رئيس مجلس القضاء الأعلى في الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران.

٧ ـ إنجازات سيّدنا الأستاذ الشّهيد في الفقه الإسلامي وتطويره وفي علوم الدّراية والحديث والرّجال:

أمّا إنجازات سيّدنا الأستاذ الشّهيد في الفقه الإسلامي وتطويره، وفي علوم الدّراية، والحديث، والرّجال، فالحديث عنها طويل ويحتاج إلى تصنيف كتاب خاصّ بذلك وخير ما نختم به كلامنا حول هذا الباب هو أنّ إنجازات الشّيخ الرّئيس ابن سينا في عَالمَي الطّب والفلسفة في عصره بقيت المصدر الأكبر، والمرجع الأوثق للعلماء في العالم الإسلامي، وفي أوروبا لمدّة أربعة قرون. وكذلك آثار الشّهيد السّيّد الصّدر العلميّة والفكريّة سوف تبقى المصدر الأوثق للطّروحات الإسلاميّة الحديثة.

ج ـ مرجعيّة الإمام السّيّد الشّهيد الصّدر:

بعد وفاة الإمام السّيّد محسن الطّباطبائي الحكيم (قده) في سنة ١٩٦٩م والفراغ الكبير الّذي تركه في النّجف الأشرف بشكل خاصّ وفي العالم الإسلامي بشكل عام، وبناء على طلب كوكبة جليلة من طلاّبه، ومريديه، ومقلّديه، تصدّى الإمام السّيّد محمّد باقر الصّدر (قده) للمرجعيّة وهو في الخامسة والثّلاثين من عمره الشّريف، ومن القضايا الّتي دفعته لهذا التّصدّي هو قيام إحدى المرجعيّات الدّينيّة في النّجف

الأشرف ـ وعن خوف وتقيّة ـ بالإفتاء بجواز الانتماء إلى حزب البعث العربي الاشتراكي، وسكوت بعض المرجعيّات الدّينيّة عن الممارسات البعثيّة في النّجف الأشرف ضدّ العلماء وطلبة العلوم الدّينيّة وأمر قسم منهم بالرّحيل عن العراق مع عائلاتهم، ومطاردة الطّلبة العراقيين بحجّة تأدية الخدمة العسكريّة.

إنّ السّلطة لم تجرؤ في زمن مرجعيّة الإمام الحكيم (قده) على ارتكاب هذه الجرائم لأنّ الإمام الحكيم كان لها بالمرصاد، ليس فقط لأنّ مرجعيّته كانت مرجعيّة عامّة بل لأنّه كان يملك الشّجاعة الكافية لمواجهة السّلطة، هذه الشّجاعة الّتي كانت تجعل السلطة تحسب له ألف حساب، وكان بحقّ أن يعبّر السّيّد الشّهيد الصّدر عنه بـ (الإمام المجاهد) لأنّه كان يقف بحسب ما تمليه عليه المسؤوليّة الشّرعيّة من دون ملاحظة لأوضاعه الشخصيّة، وكان السّيّد الحكيم (قده) يعلم يقينًا أنّ أيّ مواجهة مع السّلطة لن تكون لصالحه شخصيًّا قطعًا ولكنه مع ذلك حرص أن يبذل كلّ ما في وسعه للحفاظ على الكيان الإسلامي مهما كانت الأضرار الشّخصيّة[1].

ومن أعظم إنجازاته (رحمه الله تعالى) خلال إحدى عشر عاماً من مرجعيّته الشّريفة (١٩٦٩م ـ ١٩٨٠م):

أوّلاً: استنباطه لتلك العلوم في ثوبها الجديد، وإدخالها في المناهج الدّراسيّة والثّقافيّة للحوزات والجامعات الإسلاميّة وقد تقدّم الكلام حول ذلك آنفًا.

ثانيًا: تحريمه للنّاس الانتساب إلى حزب البعث العربي الاشتراكي وكانت تلك الفتوى من الأسباب الّتي أودت بحياته واستشهاده (رضوان الله تعالى عليه).

---

(١) شهيد الأمة وشاهدها ـ القسم الأوّل. للشيخ محمد رضا النعماني، ص: ٢٧٥.

ثالثًا: وضعه للأسس الصّحيحة للمرجعيّة الموضوعيّة عند الشيعة الإماميّة في العالم وذلك بوضعه مخطّطًا شاملاً، ونظامًا دقيقًا لها لإخراجها من الطّابع الخاصّ إلى النّظام المؤسّساتي الثّابت الّذي لا يتغيّر بتبدّل الشّخص. ومن هنا نرى تأييده المطلق لمرجعيّة أستاذه الإمام السّيّد أبو القاسم الخوئيّ (قده) ووضع جميع إمكانيّاته في خدمة هذه المرجعيّة والمحافظة عليها. وأمره لطلاّبه ومقلّديه في الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران بتأييد مرجعيّة الإمام السّيّد الخميني (قده) حيث قال: «ويجب أن يكون واضحًا أنّ مرجعيّة السّيّد الخميني الّتي جسّدت آمال الإسلام في إيران اليوم لا بدّ من الالتفاف حولها، والإخلاص لها، وحماية مصالحها والذّوبان في وجودها العظيم بقدر ذوبانها في هدفها العظيم»[1].

رابعًا: العلاقة المميّزة الّتي كانت تربطه بطلاّبه، حيث كنّا نشعر في أيّام حياته بأبوّته الرّوحيّة والعلميّة لنا، وتفقّده الدّائم لشؤوننا الفكريّة، والثّقافيّة، والاجتماعيّة، وبالتّالي كان وكلاؤه من طلاّبه في العراق وخارجه يرتبطون به ويأخذون بتوجيهاته.

خامسًا: اهتمامه الشّديد بدعم المقاومة الإسلاميّة والوطنيّة في فلسطين، وفي جنوب لبنان في وجه العدو الصّهيوني، وفي دعم حركات التّحرّر في العالم الإسلامي وعلى رأسها حركة الإمام الخميني (قده) في إيران. وغير ذلك من إنجازات يطول الحديث عنها.

د ـ عقبات التّصدّي للمرجعيّة:

أمّا المشاكل والعقبات الّتي واجهها (رضوان الله تعالى عليه) بعد التّصدّي للمرجعيّة، فلا تكاد تُحصى، لكثرتها وتنوّعها، بعضها مصدره السّلطة، والآخر مصدره المجتمع الّذي عاش فيه وبعض الجهات في الحوزة.

---

(١) نفس المصدر.

إلاّ أنّ أهمّ معاناة كان يعيشها الشّهيد الصّدر (قده) هي عدم قدرة الحوزة على استيعابه، وفقدان الفهم الكافي له في مجتمعه. فكان يشعر بغربة قاتلة في ظلّ تلك الأجواء الّتي جعلته بين الحين والآخر يتمنّى الموت حينما تتراكم عليه المشاكل النّاشئة من هذا الوضع. وكان يقول: «لقد بلغت من العمر ما بلغه أبي وأخي، فلمَ لا يعاجلني الموت ويريحني».

وكان (رضوان الله تعالى عليه) صبورًا كتومًا، لا يشتكي، ولكن في بعض الأحيان كان الصّبر يعيا أمام عِظم تلك المشاكل، فتصدر منه تلك الأنّات اللّوعات، والله يعلم إلى أيّ مدى كان الهمُّ يتصاعد إلى الشّكوى، بل أيّ مشاكل كانت تلك الّتي لا يطيقها ذلك القلب الكبير.

كان الشّهيد الصّدر (رضوان الله تعالى عليه) يسعى لإحداث تغيير كيان الحوزة والمرجعيّة من الأساس، بما يلبّي الحاجات الحاضرة والمستقبليّة، وبما ينسجم مع متطلّبات العصر والحياة، ويحقّق للمرجعيّة والحوزة الحماية الكاملة والاستقرار الثّابت(١).

هـ ـ نداءات الإمام الشّهيد للشّعب العراقي المظلوم:

صدرت نداءات الإمام الشّهيد للشّعب العراقي المظلوم مسجّلة بصوته على أشرطة الكاسيت في عام ١٣٩٩هـ الموافق لسنة ١٩٧٩م وقد حفظ لنا التّاريخ ثلاثة من تلك النّداءات والّتي تأخذ بيد الشّعب العراقي للمطالبة بحقوقه في الحريّة، والكرامة، والسّيادة، وممارسة شعائره الدّينيّة فوقه ترابه الوطني، وقد تضمّنت تلك النّداءات الحقائق التّالية:

أوّلاً: تأكيده للشّعب العراقي المظلوم أنّه معه وأنّ كلّفه هذا النّداء حياته بقوله: «وإنّي أودّ أن أؤكّد لك يا شعب آبائي وأجدادي أنّي معك

---

(١) المصدر السابق، ص ٧٧٢ و ٧٧٣.

وفي أعماقك ولن أتخلّى عنك في محنتك، وسأبذل آخر قطرة من دمّي في سبيل الله من أجلك»[1].

ثانيًا: طلبه من المسؤولين في بغداد رفع حالة الطّوارئ عن العراق والّتي مضى عليها عشر سنوات منذ استيلائهم على الحكم منذ عام ١٩٦٩م ولغاية صدور تلك النّداءات في عام ١٩٧٩م والّتي عطّلوا فيها جميع القوانين والأنظمة الّتي تحترم حقوق المواطن العراقي وأجبروا النّاس على الانتساب إلى حزب البعث حيث يقول: «وقالوا إنّها فترة انتقال يجب تجنيد الشّعب فيها فصبرنا، ولكن إلى متى، إلى متى تستمرّ فترة الانتقال، إذا كانت فترة عشر سنين من الحكم لا تكفي لإيجاد الجو المناسب لكي يختار الشّعب طريقه فأيّة فترة تنتظرون؟ وإذا كانت فترة عشر سنين من الحكم المطلق لم تتح لكم أيّها المسؤولون إقناع النّاس بالانتماء إلى حزبكم إلاّ عن طريق الإكراه فماذا تأملون؟ وإذا كانت السّلطة تريد أن تعرف الوجه الحقيقي للشّعب العراقي لتجمد أجهزتها القمعيّة أسبوعًا واحدًا فقط، ولتسمح للنّاس أن يعبّروا خلال أسبوع واحد كما يريدون»[2].

ثالثًا: طلبه من المسؤولين إعادة الآذان، وخطبة الجمعة إلى الإذاعة العراقيّة، والسّماح للعراقيين بممارسة شعائرهم الدّينيّة في إقامة المآتم والمجالس الحسينيّة وفي زيارة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام وفي رفع عيونهم وآذانهم التّجسّسيّة عن المساجد، وبإطلاق حريّة الشّعائر الدّينيّة لجميع المواطنين.

رابعًا: إطلاق جميع السّجناء السّياسيين وجميع العلماء وطلبة العلوم الدّينيّة، وجميع زوّار الإمام الحسين عليه السلام والّذي سُجنوا وأُخضعوا

---

(١) محمد باقر الصدر لنخبة من الباحثين، ص: ٧٦١.

(٢) المصدر السابق.

لأقسى عمليّات التّعذيب، وأُعدم بعضهم ظلمًا وعدوانًا.

خامسًا: الدّعوة لإجراء انتخابات حرّة نزيهة يُترك فيها القرار للشّعب العراقي نفسه دون ممارسة أيّة ضغوط عليه من الدّاخل أو الخارج.

سادسًا: الدّعوة إلى الوحدة الإسلاميّة بين أبناء الشّعب العراقي المظلوم حيث يقول (رحمه الله تعالى): «إنّ الطّاغوت وأولياءه يحاولون أن يوحوا إلى أبنائنا البررة من السُّنّة أنّ المسألة مسألة شيعة وسُنّة ليفصلوا السُّنّة عن معركتهم الحقيقيّة ضدّ العدوّ المشترك.

وأريد أن أقولها لكم يا أبناء عليّ والحسين وأبناء أبي بكر وعُمر أنّ المعركة ليست بين الشّيعة والحكم السُّنّي، إنّ الحكم السُّنّي الّذي مثّله الخلفاء الرّاشدون والّذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل حمل عليّ عليه السلام السّيف للدّفاع عنه، إذ حارب جنديًّا في حروب الرّدّة تحت لواء الخليفة الأوّل أبي بكر، وكلنا نحارب تحت راية الإسلام مهمّا كان لونها المذهبي، إنّ الحكم السُّنّي الّذي كان يحمل راية الإسلام قد أفتى علماء الشّيعة قبل نصف قرن بوجوب الجهاد من أجله، وخرج الآلاف من الشّيعة وبذلوا دمهم رخيصًا من أجل الحفاظ على راية الإسلام ومن أجل حماية الحكم السُّنّي الّذي كان يقوم على أساس الإسلام. إنّ الحكم الواقع اليوم ليس حكمًا سُنّيًّا وإن كانت الفئة المتسلّطة تنتسب تاريخيًّا إلى التّسنّن فإنّ الحكم السُّنّي لا يعني حكم شخص وُلد من أبوين سنيين بل يعني حكم أبي بكر وعُمر الّذي تحدّاه طواغيت الحكم في العراق اليوم في كلّ تصرّفاتهم وهم ينتهكون حرمتهم للإسلام وحرمة عليّ وعُمر معًا في كلّ يوم وفي كلّ خطوة من خطواتهم الإجراميّة.

ألا ترون يا أولادي وأخواني أنّهم أسقطوا الشّعائر الدّينيّة الّتي

دافع عنها عليّ وعُمر معًا؟ ألا ترون أنّهم ملأوا البلاد بالخمور وحقول الخنازير وكلّ وسائل المجون والفساد الّتي حاربها عليّ وعُمر معًا؟ ألا ترون أنّهم يمارسون أشدّ ألوان الظّلم والطّغيان اتجاه كلّ فئات الشّعب؟ ويزدادون يومًا بعد يوم حقدًا على الشّعب وتفنّنًا في امتهان كرامته والإنفصال عنه والاعتصام ضدّه في قصورهم المحاطة بقوى الأمن والمخابرات، بينما كان علي وعُمر يعيشان مع النّاس وللنّاس وفي وسط النّاس ومع آلامهم وآمالهم. ألا ترون إلى احتكار هؤلاء السّلطة احتكارًا عشائريًّا يضفون عليه طابع الحزب زورًا وبهتانًا؟ وسدَّ هؤلاء أبواب التّقدّم أمام كلّ جماهير الشّعب سوى أولئك الّذين رضوا لأنفسهم الذّلّ والخضوع وباعوا كرامتهم وتحوّلوا إلى عبيد أذلاّء، إنّ هؤلاء المتسلّطين قد امتهنوا حتّى كرامة حزب البعث العربي الاشتراكي حيث عملوا من أجل تحويله من حزب عقائدي إلى عصابة تفرض الانضمام إليها والإنتساب إليها بالقوّة والإكراه. وإلاّ فأيّ حزب حقيقي يحترم نفسه في العالم يطلب الانتساب إليه بالقوّة؟ إنّهم أحسّوا بالخوف حتّى من الحزب نفسه الّذي يدّعون تمثيله، إنّهم أحسّوا بالخوف منه إذا بقي حزبًا حقيقيًّا له قواعده الّتي تبنيها، ولهذا أرادوا أن يهدموا قواعده بتحويله إلى تجمّع يقوم على أساس الإكراه والتّعذيب ليفقد أيَّ مضمون حقيقي له.

يا إخواني وأبنائي من أبناء الموصل والبصرة، من أبناء بغداد وكربلاء والنّجف، من أبناء سامرّاء والكاظميّة.. من أبناء العمارة والكوت والسّليمانيّة... من أبناء العراق في كلّ مكان:

إنّي أعاهدكم بأنّي لكم جميعًا، ومن أجلكم جميعًا، وأنّكم هدفي في الحاضر والمستقبل، فلتتوحّد كلمتكم ولتتلاحم صفوفكم تحت راية الإسلام ومن أجل إنقاذ العراق من كابوس هذه الفئة المتسلّطة وبناء عراق حرّ كريم تحكمه عدالة الإسلام وتسوده كرامة الإنسان ويشعر فيه المواطنون جميعًا على اختلاف قومياتهم ومذاهبهم بأنّهم أخوة يساهمون

جميعًا في قيادة بلدهم وبناء وطنهم وتحقيق مُثلهم الإسلاميّة العليا المستمدَّة من رسالتنا الإسلاميّة وفجر تاريخنا العظيم»[1].

و ـ عود على ذي بدء:

ونحن في هذه اللّحظات الحرجة والحاسمة من حياة شعبنا المُسلم في العراق لا يسعنا إلاّ أن نتوجّه إليه وإلى قياداته الوطنيّة طالبين منهم الوحدة والإتّحاد والإتّخاذ من النّداءات الثّلاث للإمام الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر ميثاقًا وطنيًّا لعراق الغد. واعتبار مدرسة الشّهيد الصّدر مصدرًا للحريّة والإبداع.

والحمد للّه ربّ العالمين.

---

(١) المصدر السابق، ص: ٧٦٤ و ٧٦٥.

المقالة الثالثة:

كرامة كاظميّة لذي نفسٍ زكيّة(*)

أ ـ الحديث عن الإمام الشّهيد السّيّد الصّدر (قده):

الحديث عن سيّدنا الإمام الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر (قده) ذو شجون؛ فقد جمع أعظمَ الصّفات وأزكاها قبل بلوغه العشرين من عمره الشّريف. إذ جمع النّسب العلويّ الشّريف، مع تربية الأمّ الحنون والأخ العطوف، والفضيلة والتّقوى، مع العلم والنّبوغ، والاجتهاد في الفقه والأصول والفلسفة الإسلاميّة، مع التّحقيق والتّصنيف والإبداع والابتكار، والاهتمام بأمور المسلمين والحوزات العلميّة والجامعات الإسلاميّة، مع التّخطيط لبعث الرّوح في الأمّة من جديد، والاطّلاع التّام على الآراء الفكريّة والفلسفيّة والإقتصاديّة والسّياسيّة والأدبيّة في القرن العشرين، مع مناقشتها والرّدّ عليها.

وخير حديث ودليل على ما تقدّم من كلام، كتبه الأربعة الّتي صنّفها قبل بلوغه العشرين وهي:

١ ـ تعليقه على (بُلغة الرّاغبين) لخاله الفقيه الشّيخ محمّد رضا آل

(*) عن كتابنا: «التّذكرة أو مذكّرات قاض» ج١ من ص: ٢٩٩ ولغاية ص: ٢٧٣ ـ المؤسسة اللبنانيّة للإعلان ـ بيروت ـ الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.

ياسين (قده). وفيها تتّضح آراء الإمام الشّهيد الفقهيّة. وهذه التّعليقة لم تُطبع، ويعود تأريخها إلى ما بعد سنة (١٣٧٠هـ الموافق ١٩٥٠م).

٢ ـ تعليقات على كتاب الأسفار الأربعة لفيلسوف الإسلام الكبير صدر الدّين الشّيرازي (قده) وفيها تتّضح آراء الإمام الشّهيد الفلسفيّة. وهذه التّعليقات لم تُطبع.

٣ ـ فدك في التّاريخ (طبعت سنة ١٩٥٥م الموافق لسنة ١٣٧٥هـ) وقد كتبها الإمام الشّهيد قبل هذا التّاريخ. وتلك الأطروحة أفضل ما كتب عن قضيّة فدك لغاية أيّامنا هذه.

٤ ـ غاية الفكر في الأصول، طُبع سنة ١٩٥٥م أو سنة ١٩٥٢م كتبه قبل هذا التّاريخ بثلاثة أعوام ومن خلال هذا الكتاب نقرأ بحوثًا جديدة في علم أصول الفقه[١].

فلو قلنا إنّ سيّدنا الإمام الشّهيد (قده) كان في ما تقدّم من علوم كالشّيخ الرّئيس ابن سينا في نبوغه وعبقريّته في علميّ الفلسفة والطّبّ، حيث صنّف الشّيخ الرّئيس كتابه القانون في الطّبّ وهو في السّادسة عشرة من عمره لما أنصفناه. ولو قلنا إنّ سيّدنا الإمام الشّهيد كان في ما تقدّم من علوم وفي نفخه من روح في الحوزات العلميّة الشّيعيّة بشكل عامّ، وفي النّجف الأشرف بشكل خاصّ كالسّيّد جمال الدّين الحسينيّ الأسد آباديّ الأفغانيّ في عصره وبعثه للرّوح في الأزهر الشّريف لما أنصفناه. وأمّا لو قلنا إنّ سيّدنا الإمام الشّهيد (قده) كان يسير على هُدى وخُطى جدّه الأعظم الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في كلّ شيء،

(١) الإمام الصّدر سيرة ذاتيّة للسّيّد محمّد الحسينيّ بحث كتبه للكتاب السّنويّ الأوّل عن الإمام محمّد باقر الصّدر، دراسات في حياته وفكره، الصّادر عن دار الإسلام في لندن، سنة ١٤١٦هـ، الموافق لسنة ١٩٩٦م، ص ٧٤ و٧٥ بتصرّف.

ولا سيّما في أجوبته عليه السلام - وهو في نعومة أظافره - على مسائل الإمام أبي حنيفة في الجبر والاختيار، والقضاء والقدر، وبالتّالي لتصدّيه لجبروت هارون الرّشيد واستبداده وقوله له عليه السلام أمام جمع من النّاس: أنت إمام الجُسوم، وأنا إمام القلوب. وفي تعرّضه بعد ذلك من قبل هارون للسّجن أكثر من مرّة، ولتعرّضه خارج السّجن أيضًا لبثّ العيون والرّقباء عليه وبالتّالي لاغتياله وقتله من قبل هارون، لأنصفناه في تلك المسيرة وذلك الهدى والتّشبيه.

وما هذه الكرامة الكاظميّة لسيّدنا صاحب النّفس الزّكيّة والّتي سوف نتكلّم عنها بعد قليل إلاّ إشارة رمزيّة شريفة من الجدّ الأعظم (عليه أفضل الصّلاة والسّلام) لأهل العراق ليعرفوا من خلالها فضل ذلك الحفيد وسموّه وقداسته ودوره الرّياديّ في قيادتهم، وقيادة سائر الأمّة الإسلاميّة نحو الصّراط المستقيم. وأنّ السّيّد محمّد باقر الصّدر في زمانه هو باب الحوائج إلى الله تعالى بشفاعة آبائه الطّاهرين ولا سيّما الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، المعروف عند جميع مؤرّخي بغداد بباب الحوائج إلى الله.

ب - مع العلاّمة ابن خلدون:

في الفصل الثّالث والخمسين من الجزء الثّاني من مقدّمته وفي معرض كلامه عن ابتداء الدّول والأمم والملاحم والكشف عن مسمّى «الجفر» ينفي ابن خلدون نسبة الجفر الموجود بين أيدي المتصوّفة إلى الإمام جعفر الصّادق عليه السلام إذ فيقول: «وهذا الكتاب لم تتّصل روايته ولا عُرف عينه، وإنّما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل، ولو صحّ السّند إلى جعفر الصّادق لكان فيه نعمَ المستند من نفسه أو من رجال قومه، فهم أهل الكرامات وقد صحّ عنه أنّه كان يحذّر بعض قرابته بوقائع تكون لهم فتصحّ». كما يقول: «وقد حذّر يحيى ابن عمّه زيد من مصرعه وعصاه فخرج وقُتل بالجوزجان كما هو معروف وإذا

كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنُّك بهم علمًا ودينًا من النّبوءة وعناية من الله بالأصل الكريم تشهد لفروعه الطّيّبة»[1].

وما ذهب إليه ابن خلدون من حصول الكرامات أو بعضها للذّريّة الطّيّبة الطّاهرة من السّادة الأشراف من آل البيتﷺ غير مختصّ بزمان دون زمان، أو بمكان دون آخر، وإنّما هو استجابة من الله تعالى لدعاء نبيّه محمّدﷺ لمولانا عليّ بن أبي طالب ولسيّدتنا فاطمة الزّهراء عليها السلام، عندما عقد قَرانهما إذ قال لهما: «جمع الله شملكما، وأسعد جدَّكما، وبارك عليكما، وأخرج منكما كثيرًا طيّبًا. قال راوي الحديث، أنس: فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطّيّب»[2].

ولو قرأنا السّلسلة الطّيّبة الطّاهرة للشّجرة الشّريفة الّتي ينتمي إليها سيّدنا الشّهيد (قده) إلى جدّه الأعظم الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام وبالتّالي إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، لوجدنا أنّ كلام ابن خلدون في موضعه، وكذلك ما ذهب إليه الكثير من علماء الشّيعة، والمذاهب السّنّيّة في صدور الكرامات عن السّادة الأشراف من آل البيت في كلّ عصر ومصر.وقد أفرد شيخ الإسلام في إسلامبول العلاّمة الحافظ الشّيخ سليمان بن إبراهيم القندوزيّ الحنفيّ بابًا لذلك في كتابه ينابيع المودّة في إيراد ما في جواهر العقدين من القصص العجيبة من بركات أهل البيت نقلاً عن العلاّمة المصريّ السّيّد الشّريف نور الدّين عليّ الدّمنهوريّ[3].

وبالتّالي يصدق كلام ابن خلدون في سيّدنا الإمام الشّريف الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر (قده) وفي آبائه الطّاهرين وفي جميع السّادة

---

(١) مقدّمة العلاّمة ابن خلدون/ ج٢/ ص ٣٣٤/ دار نوبيليس ـ بيروت.

(٢) ذخائر العقبى للطّبريّ/ ص ٣١/ دار المعرفة ـ بيروت.

(٣) ينابيع المودّة للحافظ القندوزيّ الحنفيّ/ الباب ٦٦/ ص ٣٨٨ و٣٨٩ و٣٩٠ و٣٩١ و٣٩٢ و٣٩٤ و٣٩٥ و٣٩٦ و٣٩٧/دار الكتب العراقيّة ـ بغداد الكاظميّة.

الأشراف الّذين يقتدون بأنوار آبائهم الطّاهرين ويسيرون على هديهم، ويحظون ببركات، ودعاء إمام زماننا بقيّة الله تعالى في الأرض الإمام الثّاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام المهديّ المنتظر محمّد بن الحسن العسكريّ عليه السلام. كما يؤكّد ما تقدّم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي أخرجه محبّ الدّين الطّبريّ في ذخائره «عن عمر بن الخطّاب أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: في كلّ خلوف من أمّتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدّين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين. ألا وإنّ أئمتكم وفدُكم إلى الله عزّ وجلّ فانظروا بمن توفدون»[1].

ويصدق عليهم قول الحسن بن هانئ المعروف بأبي نؤاس بالإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام:

«مُطهَّرون نقيّاتٌ ثيابهم ... تَجري الصّلاةُ عليهم أينما ذُكروا
من لم يكن علويًّا حين تنسبه ... فما له في قديم الدّهرُ مُفتخرُ
فالله لمّا بدا خلقًا وأتقنه ... صفاكم واصطفاكم أيّها البشرُ
وأنتم الملأ الأعلى وعندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السُّورُ»[2]

ج ـ الحديث عن الكرامة الكاظميّة:

قبل صلاة الظّهر من يوم الاثنين للثّالث والعشرين من صفر الخير، للرّابعة والتّسعين بعد الألف والثّلاثمائة من السّنين، وبجوار الرّوضة الحيدريّة لمولانا أمير المؤمنين، تشرّفت بزيارة ذي النّفس الزّكيّة[3]،

---

(١) ذخائر العقبى للطّبريّ/ ص ١٧.

(٢) سيرة الأئمّة الاثنيّ عشر للعلاّمة السّيّد هاشم معروف الحسنيّ، ج٢، ص ٤١، دار القلم ـ بيروت.

(٣) النفس الزّكيّة: اصطلاح أطلق في صدر الإسلام على كلّ شهيد مظلوم لا ذنب له، وقد أطلق أوّل مرّة على الشّهيد الشّريف محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام، والّذي قتله المنصور العبّاسيّ سنة ١٤٦هـ بملحمة كبرى شابهت ملحمة كربلاء.

سيّدنا الأستاذ ذي الأرومة الكاظميّة الحسينيّة، في منزله الكائن في أواخر محلّة العمارة النّجفيّة، وبتقبيل يده الطّاهرة النّقيّة. سمعت من في المجلس يسأل عن تلك الكرامة الجليّة، والّتي حدثت للحاج ياسر نعمة من أهالي القرنة الجنوبيّة[١]، وعن حضور ذلك الحاجّ بعدها لزيارة الصّدر وإخباره بالقضيّة، وكان سيّدنا الأستاذ يحدّث بنعمة الله والحكاية، تاركًا للسّيّد عماد التّبريزي الدّراية.... وكان التّبريزي يشرح لنا هذه الكرامة، في مسجد الطّوسيّ ذي العلامة.

وخلاصة الكلام الّذي استفدته من سيّدنا الإمام، وعن عماد تبريز شهيد العلم والإسلام[٢]، ومن الصّحب الكرام، أنّ الأطباء بمدينة الطّبّ في دار السّلام[٣] أجمعوا على إجراء عمليّة جراحيّة بالتّمام[٤] للحاجّ ياسر نعمة لإنقاذه ممّا يعانيه من آلام، في هذه العاجلة[٥]، وذلك بعد البحث والاستقصاء.

أراد الحاجّ تأدية صلاة المغرب والعشاء جلوسًا كعادته منذ الابتلاء. توجّه بالصّلاة إلى ربِّ السّماء، متوسّلاً إليه بموسى بن جعفر ابن مكّة والبطحاء، أن ينجّيه من هذا الدّاء، دون جراحة وبلاء. وقد رأى فيما يرى النّائم، بليلة العشرين من صفر موسى بن جعفر فوق رأسه قائمٌ، قائلاً له: سوف يأتيك السّيّد محمّد باقر الصّدر وتشفى على يديه

---

(١) مدينة القرنة بجنوب العراق وفيها أو قبلها بقليل يلتقي نهرا دجلة والفرات ويشكّلان شطّ العرب.

(٢) صديقنا الشّهيد السّعيد السّيّد عماد التّبريزيّ كان في طليعة الشّهداء الّذين أعدمهم النّظام الطّاغوتيّ في العراق سنة ١٩٧٤م مع زملائه الأربعة من حزب الدّعوة الإسلاميّة.

(٣) دار السّلام: اسم من أسماء مدينة بغداد.

(٤) بالتّمام: كلمة عاميّة باللّهجة العراقيّة ومعناها: على خير ما يرام، من الّذي يقصده المرء.

(٥) العاجلة: اسم من أسماء الدّنيا، ويقابلها الآجلة في الآخرة.

بمشيئة الرّحمن. ثمّ رأى باقر الصّدر العظيم الشّأن، قد آتاه في المنام، وأجرى له جراحة دون آلام.

وبعد الاستيقاظ لصلاة الفجر، شعر بالقوّة واليُسر، بعد الضّنك والعُسر، والقدرة على الصّلاة من قيام، بعد تلك اللّيالي والأيّام. التفتّ الحاجّ إلى بطنه ناظرًا في شأنه، فلاحظ الخبر، أنّ هناك فتقًا صغيرًا قد ولّى منه وفرّ، وكلَّ ما أوجب له الألم والضّرّ.

وبعد أن شاع الخبر، اجتمع جمع من الأطبّاء في الأثر، وعاينوه كرّةً أخرى، قائلين سرًّا وجهرًا، بصدق تلك الكرامة، ولتنظر بها كلّ نفسٍ لوّامة، هل أنّ بعد هذا من شكٍ أو ملامة؟

د ـ كيف خفي ذكر هذه الكرامة:

ولسائل أن يسأل كيف خفي ذكر هذه الكرامة على مؤرّخي حياة السّيّد الإمام الشّهيد (قده) بعد مرور ما يقارب السّبعة وعشرين عامًا عليها.

والجواب عن ذلك هو أنّه في بلد كالعراق يشعُّ بأنوار الكرامات والآيات لأئمّة أهل البيت عليهم السلام بشكل عامّ، ولمولانا أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام بشكل خاصّ تُنسى الكرامات الصّغيرة، وتبقى الكرامات الكبيرة بالذّاكرة تماماً كما تُنسى النّجوم وأنوارها عندما تشرق الشّمس وتعمُّ بأشعّتها الماء والخضراء.

وقد حدث قبل هذا كرامات كثيرة لفقهاء النّجف الكبار من الشّجرة العلويّة المباركة يعرفها الخاصّة والعامّة في العراق، وأخرجها الرّواة والمؤرّخون والرّحّالة والزّائرون للنّجف الأشرف، ونخصُّ بالذّكر منهم في هذه العجالة الفقيه الكبير السّيّد الإمام محمّد مهدي الطّباطبائي (قده) المعروف بالسّيّد بحر العلوم المتوفّى سنة ١٢١٢هـ والّذي اشتهرت عنه

الكرامات الكثيرة في كربلاء، والنّجف الأشرف، والكوفة، وكذلك عندما جاور بيت الله الحرام في مكّة المكرّمة ومع ذلك كلّه فإنّ النّاس قد نسوا ذلك أمام الفيوضات الحيدريّة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام في النّجف الأشرف مصداقاً لقول الشّاعر:

عليّ الدُّرّ والذّهب المصفّى وباقي النّاس كلّهم تُرابُ

وها أنا قد أدليت بشهادتي هذه أمام الله تعالى وأمام مؤتمركم الكريم والّتي أخذتها من كتابي المخطوط «التّذكرة» وهو خلاصة لذكرياتي خلال أكثر من أربعين عاماً.. مُترقّباً بذلك رضا الله تعالى ورسوله، وإعلاء لشأن فقيه من فقهاء آل مُحمّد ترك بصماته الواضحة على القرن الخامس عشر الهجريّ.

ملاحظة:

وأثناء مشاركتي في المؤتمر العالميّ للإمام الشّهيد السّيّد الصّدر (قده) في طهران من ١٨ كانون الثّاني ولغاية العشرين منه في سنة ٢٠٠١م، قمت بتوزيع هذه الكرامة على القسم الأكبر من المؤتمرين ومنهم تلميذ الشّهيد والمؤرّخ سماحة الشّيخ محمّد رضا النّعماني فأعجب بهذه الكرامة الهديّة، وقال: هذه أجمل هديّة تقدّم لي!

وقد قرأت في كتاب الشّيخ النّعماني الّذي أهدي إليّ وهو تحت عنوان «شهيد الأمّة وشاهدها» هذه الكرامة بإيجاز، وذلك في الصّفحة ٢٢١ من القسم الأوّل. والكتاب طبع في مدينة قمّ بإيران.

٢ ـ تسع حقائق عن الشّهيد
السّيّد محمّد محمّد صادق الصّدر (قده)(*)

كان لإغتيال سيّدنا الأستاذ آية الله العظمى السّيّد محمّد الصّدر (قده)، في ليلة الجمعة غرّة ذي القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٨/ ٢/ ١٩٩٩م، مع ولديه الفاضلين مصطفى ومؤمّل في النّجف الأشرف، الأثر الحزين والمؤلم على السّاحة الإسلاميّة بشكل عامّ، وعلى السّاحة العراقيّة بشكل خاصّ..

وهذا ما أربك السّاحة العراقيّة بالإشاعات والأقاويل، وأغرقها بسيل من الإتّهامات والشّبهات الّتي زادت الإسلاميين في العراق حزناً على حزن، وكرباً على كرب.. لذلك جئت في هذه العجالة موضحاً هذه الحقائق حول شخصيّة سيّدنا الأستاذ وأطروحته العراقيّة الحديثة، عسى أن أساهم من خلال هذا برفع الغموض، والإرباك الحاصل في السّاحة العراقيّة. وهذه الحقائق هي على الشّكل الآتي:

أوّلاً: لقد تأثّرت شخصيّته (رحمه الله تعالى) بالمؤثّرات السّيكولوجيّة والفكريّة والعلميّة الآتية:

١ ـ بتربية المرحوم والده آية الله السّيّد محمّد صادق الصّدر إمام

(*) عن مجلة «البلاد» الصادرة عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان، العدد: ٤٤٨ في: ٣١/ ٧/ ١٩٩٩م.

جامعة النّجف الأشرف الدّينيّة وأستاذ الأخلاق فيها لمدّة ربع قرن.

٢ ـ بتربية أستاذه وابن عمّه الشّهيد السّعيد الإمام السّيّد محمّد باقر الصّدر وأطروحته في «جماعة العلماء» في النّجف الأشرف الّتي أسّسها سنة ١٩٥٨م للوقوف في وجه التّيّارات الماركسيّة في العراق، وللدّعوة للوحدة الإسلاميّة بين الشّعوب الإسلاميّة. وقد ابتدأ السّيّد محمّد الصّدر بالكتابة في مجلّة «الأضواء» الصّادرة عن تلك الجماعة منذ سنة ١٩٦٠م.

٣ ـ بأطروحة العلاّمة الأكبر الشّيخ محمّد رضا المظفّر في تطوير الكتب الدّراسيّة والمناهج الحوزويّة وإدخال العلوم الحديثة عليها. وذلك من خلال دراسته في كلّيّة الفقه وتخرّجه منها سنة ١٩٦٤م بالإمتياز والتّفوّق على جميع زملائه..

٤ ـ تأثّره بطروحات أستاذه الإمام السّيّد روح الله الموسويّ الخمينيّ في ولاية الفقيه، والحكومة الإسلاميّة وغير ذلك.

٥ ـ تأثّره بأستاذيه الإمامين السّيّد محسن الطّباطبائي الحكيم، والسّيّد الخوئي في التّحقيق والتّدقيق في علمَي الفقه والأصول..

ثانياً: لقد حدّثني (رضوان الله عليه) عن إيمانه بنظريّة التّكامل الرّوحي للإنسانيّة على يدي المهديّ المنتظر (عجّل الله تعالى فرجه) تحقيقاً لوعد الله تعالى لرسله ولأنبيائه عليهم السلام بانتصار الإسلام في آخر حلقات الصّراع ما بين أهل الحقّ وأهل الباطل. وهذا سوف يكون بعد حصول الإنسانيّة على تكامل العلوم المادّيّة الحديثة وفشل جميع الطّروحات الفكريّة والسّياسيّة المادّيّة الحديثة. حيث تبتدئ البشريّة بعد ذلك بالبحث عن الحقيقة.... ودور النّجف الأشرف وسائر الجامعات والحوزات الإسلاميّة في العالم، تقديم الإسلام إلى الأجيال النّاشئة

بعيدًا عن العُقَد المذهبيّة والنّفسيّة ومن خلال مصادره الأساسيّة وهي الكتاب وسُنّة رسول الله وأهل بيته الطّاهرين. وقد جاءت كتبه ومصنّفاته لتلبية هذه الحاجّة. وأهمّها على الإطلاق «موسوعة الإمام المهديّ (عج)» و «موسوعة ما وراء الفقه».

ثالثًا: لقد كان قبوله بعرض السّلطات العراقيّة عليه الإشراف على العتبات المقدّسة والأوقاف الجعفريّة، والمحاكم الشّرعيّة الجعفريّة، والمدارس والمعاهد الدّينيّة في النّجف الأشرف، وكربلاء المُقدّسة والكاظميّة وسامرّاء وبعثات الحجّ ونحو ذلك من أعمال وموافقته على ذلك، مشابهًا لعمل ابن عمّه الإمام السّيّد موسى الصّدر في أطروحة المجلس الإسلامي الشّيعيّ الأعلى في لبنان حذو القذة بالقذة.. وقد شهد جميع مقلّديه في العراق وخارجه وغيرهم من المؤمنين على صوابية عمل السّيّد الشّهيد وإخلاصه وصدقه وزهده في الدّنيا وإيثاره للفقراء والأرامل والأيتام على نفسه وعلى أهل بيته.

رابعًا: تمكّنه من إعادة الثّقة ما بين جماهير الشّعب العراقيّ والمرجعيّة الدّينيّة في النّجف الأشرف بعد أن حاولت الأنظمة العراقيّة منذ أيّام نوري السّعيد لغاية أيّام صدّام حسين نسفها وإيجاد بدائل هزيلة مُصنّعة لها..

خامسًا: طلب الشّهيد السّيّد الصّدر من الشّعب العراقيّ بشكل عامّ، ومن مقلّديه بشكل خاصّ فهم الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقًا والعمل والالتزام به، ومحاربة الجهل والظّلم والفساد والعادات العشائريّة المخالفة للشّريعة الإسلاميّة. والتّعاون والتّآزر مع المرجعيّة الدّينيّة في النّجف الأشرف؛ لأنّ طروحات هذه المرجعيّة كانت عبر التّأريخ البلسم الشّافي لجراحات العراق..

سادسًا: الطّلب من الشّعوب الإسلاميّة بشكل عامّ، ومن الشّعب

العراقيّ بشكل خاصّ احترام وحدة الشّعب العراقيّ ومحاربة الثّالوث الاستعماريّ المشؤوم والمتسلّط على رقاب البشريّة المظلومة والمحرومة وهو الاستعمار البريطانيّ ـ الأمريكيّ ـ الإسرائيليّ المجرم، ونحن في أشدّ الافتقار إلى الشّعور بالأخوّة الصّادقة والمخلصة لنكون يدًا واحدة اتجاه هذا العدو المشترك والأخطبوط الظّالم.

سابعًا: احترام سيّدنا الشّهيد للقيادة الحكيمة في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، ففي خطابه الموجَّه إلى الشّعب الإيرانيّ جاء فيه: «حيّا الله الشّعب الإيرانيّ الجليل الأخ في الله وفي الإسلام وفي المذهب، حيّا الله الدّولة الإيرانيّة الجليلة الباسطة شرف الإسلام على العالم، وحيّا الله الحوزة الشّريفة في قمّ خاصّة، وفي إيران عامّة، بكلّ مراجعها وقادتها وفضلائها ودارسيها، وحيّا الله العراقيين النّازحين من بلادهم ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ [الحجّ: ٤٠].

ثامنًا: تحريمه للعداوة والبغضاء والشّحناء بين المؤمنين مهما كانت الأسباب وأمره للمؤمنين بشكلٍ عامّ ولفصائل المعارضة العراقيّة بشكلٍ خاصّ بالتّآخي في الله والتّسامح، والمحبّة والالتفاف حول المرجعيّة في النّجف الأشرف.

تاسعًا: اهتمام الشّهيد الصّدر بالجاليات العراقيّة خارج العراق والّتي يتجاوز عددها الأربعة ملايين وربطهم بالمرجعيّة الدّينيّة في النّجف الأشرف عن طريق وكلائه في المهجر، وعن طريق الاستفتاء والمراسلة وأمرهم بالدّفاع عن حقوق العراق وشعبه في الوحدة والكرامة والسّيادة. وعن حقوق العراقيين في تقرير مصيرهم بأنفسهم بعيدًا عن الوصاية الأمريكيّة، وعن اليد الأمريكيّة الممدودة لهم وهي مُلطخة بالدّماء العراقيّة البريئة.

وفي الختام إنّ ما ينبغي الاهتمام به، والتّدبّر فيه هو الطّلب من

مراجعنا الأعلام في النّجف الأشرف، ونخصّ منهم بالذّكر سيّدنا الإمام آية الله العظمى السّيّد عليّ الحسيني السّيستاني (دام ظلّه) الاهتمام برعاية أئمة الجمعة والجماعة من وكلاء السّيّد الشّهيد (قده)، ورعاية مقلّديه داخل العراق وخارجه ورعاية شؤون الفقراء والأرامل والأيتام الّذي كان يرعاهم سيّدنا الشّهيد ويتكفّلهم. وهذا الطّلب لا يستطيع سيّدنا الإمام السّيستاني وإخوانه من مراجع النّجف الأعلام القيام به إلاّ بتأييد ومساعدة مراجعنا الأعلام خارج العراق لهم بذلك، ونخصّ بالذّكر الوليّ الفقيه آية اللّه العظمى السّيّد عليّ الحسينيّ الخامنئيّ (دام ظلّه)، والحكومة الإسلاميّة في إيران بصفتها رئيسًا لمنظمة مؤتمر الدّول الإسلاميّة.

قراءة في كتاب
مغالطات «الطّاعة» و«المقاطعة» والفتن[*]

محمّد محمّد صادق الصّدر، مرجعيّة الميدان:

ـ الكتاب تضمّن مغالطات عدّة بشأن موقف علماء السّنّة من حكّام عصرهم.

ـ الكتاب يحاول أكثر من مرّة إلقاء اللّوم على الجمهوريّة الإسلاميّة وإثارة الفتن ضدّ مراجعنا الكبار.

عن «المركز العراقيّ للإعلام» في دمشق صدر كتاب (محمّد محمّد صادق الصّدر ومرجعيّة الميدان) في حياة ومرجعيّة سيّدنا الأستاذ الشّهيد آية الله العظمى السّيّد محمّد الصّدر (قده)، للكاتب العراقيّ عادل رؤوف، في غُرّة شهر محرّم عام ١٤٢٠هـ الموافق ١٧/ ٤/ ١٩٩٩م. وقد أجاد المصنّف وأفاد في بعض الفصول والأبواب غير أنّه وقع وأوقع القارئ في مغالطات كثيرة نذكر منها في هذه العجالة الآتي:

طاعة؟

أوّلاً: اعتبر أنّ جميع المدارس الفقهيّة عند إخواننا من السُّنّة تمثّل

(*) عن مجلة «البلاد» الصادرة عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان، العدد: ٤٤٤، في: ٣ تموز ١٩٩٩م.

فقه الطّاعة للسّلطان والرّضوخ للأمر الواقع في كلّ زمان ومكان مستشهدًا بكلام ابن تيميّة (ص ٣٣ من الكتاب) مع أنّنا نرى أنّ كبار الفقهاء كأبي حنيفة النّعمان، ومالك بن أنس، وغيرهما قد أيّدوا ثورة الشّهيد محمّد بن الحسن (رض) المعروف بالنّفس الزّكيّة في سنة ١٤٥هـ، ضدّ الخليفة العبّاسيّ المنصور، واعتبروها ثورة شرعيّة وقد «كافأهما» المنصور على ذلك بالسّجن والتّعذيب.

ومقاطعة؟

ثانيًا: اعتبر أنّ الفقه الإماميّ الجعفريّ يمثّل فقه المقاطعة مع الحكّام في كلّ زمان ومكان مستشهدًا بكلام بعض الأساتذة اللّبنانيين مع أنّنا نرى أنّ فقهاء الإماميّة كان ديدنهم وشأنهم في الماضي والحاضر الاتّصال بالسّلطان للمحافظة على بيضة الإسلام، ومقاطعة السّلطان كانت من باب الأمر بالمعروف والنّهيّ عن المنكر، وخير مثال على ذلك إتّصال فقهاء النّجف الأشرف في الحرب العالميّة الأولى بالباب العالي في إسطنبول وحملهم السّلاح وأمرهم للنّاس بالجهاد تحت راية الدّولة العثمانيّة ضدّ الإنكليز والحلفاء ..

فتنة؟

ثالثًا: لقد حاول أكثر من مرّة ومن خلال صفحات كثيرة، وببعض الملاحق إلقاء اللّوم على الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، وإثارة الفتنة والأحقاد ضدّ مراجعنا الكبار، وعلمائنا الأعلام في النّجف الأشرف، وفي قُمّ المقدّسة، وضدّ الهيئات والجمعيات، والأحزاب العراقيّة الّتي لم تصافح اليد الأمريكيّة الممدودة إليها.. مُستشهدًا على ذلك بالصّحف العربيّة الصّادرة في لندن ذات الميول والأهداف المعروفة!!!

رابعًا: إنّ هناك جهلاً كبيرًا من الكاتب بحياة السّيّد الشّهيد (قده). ومنها شكّه في بدء تدريس سيّدنا الأستاذ الصّدر(قده) لمرحلة الخارج

حيث أنّه نقل عن بعض المصادر أنّه في سنة ١٩٧٨م وعن بعضها الآخر أنّه في سنة ١٤١٠هـ الموافق لسنة ١٩٩٠م.. والصّواب هو أنّه بناء على طلبي، وطلب بعض الإخوة الفضلاء في الحوزة العلميّة في النّجف الأشرف، قرّر سيّدنا الشّهيد تدريسنا المختصر النّافع في فقه الإماميّة للمحقّق الحليّ (قده) وشرح مبانيه والتّعليق عليه وذلك في مسجد الشّيخ الطّوسيّ في شهر شوّال ١٣٩٩هـ الموافق لسنة ١٩٧٨م. وقد نقلت ذلك لسيّدنا الإمام الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر (قده)، فَسُرَّ لذلك، ولم يعلّق. وكأنّ الشّهيد السّيّد محمّد (قده) كان قد أخبره بذلك.

وختامًا لا يسعنا إلاّ تذكير أصحاب السّماحة والفضيلة من الإخوة العراقيين بآداب سيّدنا الشّهيد ومواقفه ومواعظه في الإيثار، والمحبّة، ونكران الذّات، والإصلاح بين ذات البين، والإخوة في الله تعالى، ومنها دعوته لمراجع النّجف الأشرف أكثر من مرّة للصّلاة والخطبة في جامع الكوفة وإعلانه عن استعداده مع مقلّديه للإئتمام بهم كما جاء في خطبته يوم الجمعة في الخامس من جمادى الأولى عام ١٤١٩هـ وغيرها من خطب أوردها صاحب هذا الكتاب.

٣ ـ ذكرياتي عن الشّهيد السّعيد آية الله السّيّد محمّد باقر الحكيم (قده)(*)

أ ـ إطلالة على حياة الشّهيد (قده):

قبل الحديث عن ذكرياتي حول الشّهيد السّعيد آية الله السّيّد محمّد باقر الحكيم (قده) لا بدّ من هذه الإطلالة على حياته والّتي أوردها العلاّمة الدّكتور الشّيخ محمّد هادي الأميني (قده) في موسوعته «معجم رجال الفكر والأدب في النّجف الأشرف خلال ألف عامّ» حيث قال عنه: «محمّد باقر ابن السّيّد محسن الطّباطبائي وُلِدَ ١٣٥٨/١٩٣٩. عالم جليل، ومن أعلام رجال الجهاد والإصلاح، ومن العلماء الصّابرين المناضلين، ومن أبناء الأسرة العربيّة القديمة العريقة الّتي توسمت في التّأريخ بالشّهادة، والأسارة، والتّشريد، والنّفيّ، والتّعذيب، والتّنكيل. ومنطيق فاضل اختصّ بالفلسفة وعلوم القرآن. وُلِدَ في النّجف الأشرف ٢٥ جمادى الثانية ١٣٥٨هـ، وعُرف منذ الصّغر بجدّه واجتهاده، وذكائه، فبعد أن أنهى المقدّمات تتلمذ على أبيه، وحضر حوزة درسه، وعلى السّيّد محمّد باقر الصّدر، والسّيّد الخوئيّ، واشتغل بالتّدريس واختصّ بالفلسفة وعلوم القرآن، وانتقل إلى بغداد، وأخذ بإلقاء المحاضرات في (كليّة أصول الدّين) وكتابة البحوث والمقالات في مجلّة الكليّة، وكان

(*) عن مجلة «الوحدة الإسلامية» الصادرة عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان العدد: ٢٣ تشرين الأول عام ٢٠٠٣.

موضع ثقة أبيه، فمنحه وكالات عامّة، فقام بنشاطات إسلاميّة ورعاية قيادة الحركة الإسلاميّة في العراق، وعلى مرور الأيام اجتاز نشاطه الحدود وحطمت السّدود، وأينعت حيويته في كافّة الأقطار العربيّة والإسلاميّة، فساهم في تأسيس المجلس الإسلاميّ الشّيعيّ الأعلى في لبنان وغيرها، إلى جانب تردّده واختلافه للنّجف، فاعتقل عام ١٣٩١/ ١٩٧٢ وأرسل إلى بغداد، وذلك بعد وفاة السّيّد الإمام الحكيم.. وبعد فترة أُفرج عنه، وفي ١٣٩٧ / ١٩٧٧ اعتُقل في (خان الحمّاد) بين مدينتيّ النّجف وكربلاء وحُكم عليه بالإعدام، ثمّ أُبدل بالسّجن المؤبّد. وبعد شهادة السّيّد الصّدر سنة ١٤٠٠هـ، خرج من العراق متوجّهًا إلى سوريا، واجتمع فيها بكبار السّاسة والقادة، ومنها سافر إلى إيران لمواصلة جهاده وعمله الثّوريّ الإسلاميّ، وتولّى قيادة التّعبئة الجماهيريّة ضدّ النّظام العراقيّ، وانتخب رئيسًا للمجلس الأعلى للثّورة الإسلاميّة في العراق... وعلى إثره أقدم النّظام... على قتل واعتقال إخوته، وأفراد أسرته في النّجف.

إنّ الحملات الوحشيّة هذه لم تثنِ من عزيمته الصّامدة، ولم توقف زحف نضاله ولم يكترث، وإنّما شدّت في عزيمته وإيمانه ومثابرته وكفاحه من أجل تحرير العراق من كابوس الظّلم والعدوان، والعبوديّة، والاستسلام، ولم يبرح قويمًا في زحفه حتّى يأتي نصر الله والفتح بعون الله وقوّته... إن شاء الله...

أولاده: السّيّد محمّد صادق، والسّيّد حيدر.

له: علوم القرآن ط. ثورة الحسين عليه السلام ط. حقوق الإنسان ط[1].

---

(١) معجم رجال الفكر والأداب في النجف الأشرف خلال ألف عام للدكتور الشيخ الاميني.. ج: ص: ٤٣٢ و ٤٣٣.

ب ـ الذّكريات الأولى عن الشّهيد (قده):

في شتاء عام ١٩٧٢م عندما كنت أدرس مباحث الألفاظ من كفاية الأصول على شقيقه الشّهيد السّعيد آية الله السّيّد عبد الصّاحب الحكيم (قده) في مدرسة دار الحكمة في النّجف الأشرف كنت أرى الشّهيد (قده) يأتي صباح كلّ يوم مع طلاّبه من العراقيين واللّبنانيين إلى إحدى قاعات التّدريس في مدرسة دار الحكمة ليقوم بإلقاء الدّروس عليهم في الفقه والأصول. وممّا يجدر ذكره أيضًا أنّه كان يحضر عليه من طلاّبه اللّبنانيين الشّهيد السّعيد عبّاس الموسويّ (قده)، والعلاّمة السّيّد إبراهيم مرتضى (حفظه الله تعالى).

وعندما وفّقني الله تعالى لمتابعة بحوث الخارج في الفقه والأصول على الإمامين السّيّدين الخوئي (قده)، والصّدر (قده) في النّجف الأشرف في عام ١٩٧٤م كنت أراه حاضرًا في تلك الدّروس مستمعًا ومناقشًا لأستاذنا الخوئي (قده) في بعض آرائه ونظريّاته. كما كان (رحمه الله تعالى) في طلعته البهيّة، ووجهه النّورانيّ الجميل، وحججه ومناقشاته العلميّة موضع احترام جميع الطّلاّب والأساتذة في الحوزة الدّينيّة في النّجف الأشرف دون استثناء.

ولم أوفّق لمعرفته الشّخصيّة والحديث معه عن قرب إلاّ في صيف عام ١٩٧٥م في مدينة بنت جبيل في تشييع الجثمان الطّاهر لابن خالته آية الله السّيّد محمّد جواد السّيّد عبد الرّؤوف فضل الله (قده)، وفي ذكرى أسبوعه عندما دُعيت إلى منزل الخطيب الحسينيّ السّيّد عليّ الحكيم (حفظه الله) تعالى للغذاء في كلتا المناسبتين مع المرحوم والدي، وفضيلة الشّيخ عصمت عَمرو مع المرحوم والده، والوفد الكسروانيّ المرافق لنا حيث شارك مع شقيقه المرحوم آية الله السّيّد محمّد رضا الحكيم (قده) في التّشييع وذكرى الأسبوع، وفي الحلول بضيافة ابن عمّهما السّيّد عليّ الحكيم في تلك المناسبتين.

والمرّة الّتي التقيته بها عن قربٍ كانت في مؤتمر أئمة الجمعة والجماعة في طهران حيث عُقد من ١٢ ربيع الأوّل إلى ١٧ منه في عام ١٤٠٣هـ حيث خصّ الوفد العلمائي اللّبنانيّ آنذاك بزيارة خاصّة في فندق آزادي في شمال طهران وممّا يجدر ذكره أيضًا أنّه كان معنا في ذلك الوفد الشّهيد الشّيخ راغب حرب (قده)، والشّهيد السّيّد عبّاس الموسويّ (قده). وقد تكلّم (قده) في تلك الزّيارة عن جرائم صدّام حسين وزبانيته اتجاه النّجف الأشرف والعراق بشكلٍ خاصّ، وعن حربه العدوانيّة اتجاه الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة بشكل عام، وعن قيام سماحته بتعبئة وتجهيز الشّباب العراقيّ في الدّاخل والخارج وإعدادهم للمقاومة. وقد أجاب على أسئلتي وأسئلة الوفد اللّبنانيّ برحابة صدر وطلاقة.

والمرّة الثّالثة والأخيرة الّتي التقيته بها عن قُرب كانت في المؤتمر العالميّ للشّهيد السّعيد السّيّد محمّد باقر الصّدر (قده) الّذي عُقد في أواخر كانون الثّاني عام ٢٠٠١م في طهران حيث التقيته وأخبرته عمّا كتبته في مجلّة البلاد الصّادرة عن تجمّع العلماء المسلمين في عام ١٩٩٩م وعن نقدي لكتاب (مرجعيّة الميدان) لعادل رؤوف، وعن الشّهيد السّعيد السّيّد محمّد الصّدر (قده) تحت عنوان (تسع حقائق عن الشّهيد السّعيد السّيّد محمّد السّيّد محمّد صادق الصّدر) فأجابني (قده) أنّه قد قرأ المقالين الآنفي الذّكر وعن رضاه عنهما!! فسررت بذلك سرورًا عظيمًا. إذ كان الغرض من كتابتي للمقالين ـ الآنفي الذّكر ـ هو الإصلاح ما بين ذات البين وإفشاء السّلام والوئام ما بين آل الحكيم وآل الصّدر (حفظهم الله تعالى). وعندما دُعيت إلى العشاء مع الوفود المشاركة من قبل الشّهيد (قده) إلى منزله في طهران كان سماحة الدّكتور العلاّمة السّيّد حسين الصّدر في مقدمة المشاركين، مع الشّاعر الأديب السّيّد مدين الموسويّ وغيرهما من مؤيّدي حركة الشّهيد السّعيد السّيّد محمّد الصّدر (قده). كما كان من ضيوفه المشاركين في العشاء الرّئيس السّودانيّ

الأسبق السّيّد سوار الذّهب. وقد ألقى الشّهيد بضيوفه كلمة ترحيبيّة تكلّم فيها عن جرائم صدّام حسين ضدّ الشّعب المظلوم، وعن قيام المجلس الأعلى للثورة الإسلاميّة في العراق بجمع قرابة أربعين ألف وثيقة عن انتهاكات صدّام حسين لحقوق الإنسان وتقديم صور عن هذه الوثائق للمحافل الدّوليّة والعالميّة. وقد تكلّم أيضًا في ذلك المجلس فضيلة العلاّمة المجاهد الشّيخ أديب حيدر، والرّئيس السّودانيّ الأسبق السّيّد سوار الذّهب حيث أيّد كلام الشّهيد السّيّد الحكيم (قده) في قضيّة المحافظة على حقوق الإنسان.

لقد ترك هذا اللّقاء الأخير في نفسي عن الشّهيد (قده) الأثر الطيّب، والذّكر الجميل، والحبّ الصّادق لشخصيّة عالم مجاهد من ذريّة نبينا محمّدﷺ غضب للّه لحقوق الإنسان في العراق وقدّم في سبيل الله الآلاف من الشّهداء من بني قومه، وبني عمّه، وبني أبيه في سبيل الله تعالى، ولمستقبل الإنسان في العراق[١].

ج ـ إستدراك على معجم رجال الفكر والأدب في النّجف الأشرف:

وإِستدراكنا على ما جاء في ترجمته (رحمه الله تعالى) في «معجم رجال الفكر والأدب في النّجف الأشرف خلال ألف عام» والّتي أوردناها آنفًا، هو أنّ الشّهيد (قده) كانت له أعمال ونشاطات أخرى أوردت بعضها مجلّة النّور الصّادرة في لندن في العدد ١٤٨ الصّادر في أيلول ٢٠٠٣ سوف نوردها بإيجاز وتصرّف وهي على الشّكل التّالي: نال الشّهيد في أوائل شبابه من الشّيخ مرتضى آل ياسين (قده) شهادة في علوم الفقه وأصوله وعلوم القرآن الكريم في عام ١٣٨٣هـ كما اختير

(١) راجع ما كتبناه في مجلة «الوحدة الإسلامية» في العدد: ٢٠ تموز ٢٠٠٣ حيث تكلّمت في الصحفة ٢١، عن الشهداء من آل الحكيم رحمهم الله تعالى.

عضوًا في اللّجنة المشرفة على مجلّة الأضواء الإسلاميّة الصّادرة عن جماعة العلماء في النّجف الأشرف. كما كان له (رحمه الله تعالى) حلقة خاصّة في مسجد الهنديّ الكبير في النّجف الأشرف يدرّس فيها طلاّبه الفقه والأصول. وقد كلّفه أستاذه الشّهيد الإمام السّيّد محمّد باقر بمراجعة كتاب (فلسفتنا).

انتخب في عام ١٩٦٤ أستاذًا في كليّة أصول الدّين في بغداد لتدريس علوم القرآن الكريم، والشّريعة، والفقه المقارن، وبقي يمارس التّدريس فيها لغاية عام ١٩٧٥م. وفي إيران كان يلقي على طلاّبه دروسًا في التّفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم كما مارس تدريس البحث الخارج على مستوى الاجتهاد في كتاب القضاء والجهاد.

كما وفّقه الله تعالى في إيران لإنشاء أربع مؤسّسات ثقافيّة إسلاميّة وهي:

١ ـ المجمّع العالمي لتقريب بين المذاهب الإسلاميّة حيث كان يحتلّ موقع رئيس المجلس الأعلى لهذا المجمّع.

٢ ـ المجمّع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، حيث كان يتولّى منصب نائب رئيس المجلس الأعلى لهذا المجمّع.

٣ ـ مركز دراسات تاريخ العراق الحديث وكان مقرّه في قمّ المقدّسة.

٤ ـ كما قام بتأسيس مؤسّسة (دار الحكمة) الّتي تضمّ مدرسة دينيّة حوزويّة ومركزًا آخر للبحوث والدّراسات. ومكتبة علميّة تخصّصيّة. كما ترك قرابة أربعين كتابًا في مختلف العلوم الإسلاميّة على الرّغم من انشغالاته الكثيرة[١].

---

(١) راجع مجلة «النور» في لبنان العدد: ١٤٨ ص ٢ بتصرف.

وعن تحرّكه السّياسيّ قالت مجلّة النّور أيضًا: «وعلى الصّعيد السّياسيّ فقد دخل منذ البداية في دائرة الاهتمام بإيجاد التّنظيم السّياسيّ الإسلاميّ، وشارك مع آخرين في تأسيس التّنظيم الإسلاميّ سنة ١٣٧٨هـ، مع الشّهيد الصّدر والشّهيد السّيّد محمّد مهدي الحكيم والسّيّد مرتضى العسكريّ التّنظيم الّذي أصبح يُعرف فيما بعد باسم (حزب الدّعوة الإسلاميّة).

مثّل والده في عدد من النّشاطات الرّسميّة، كحضوره في عدّة مؤتمرات واجتماعات منها حضوره مع السّيّد محمّد مهدي الحكيم ممثّلان عن والدهما في المؤتمر الإسلاميّ الّذي عُقد في مكّة المكرمة سنة ١٩٦٥، والمؤتمر الإسلاميّ الّذي عُقد في عمّان بالأردن في أعقاب نكسة ٥ حزيران عام ١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ.

عندما اشتدّت المواجهة بين الإمام الحكيم والنّظام في العام ١٩٦٩ تولّى شؤون والده فكان يلتقي ببعض الوفود ويخطب بهم بالرّغم من قساوة الظّروف. كما اتّخذ موقفًا صلبًا وشجاعًا اتجاه محاولات البكر وصدّام للّقاء بالإمام الحكيم.

وكان نصيبه الاعتقال في حملة الاعتقالات الواسعة الّتي شملت عددًا من العلماء، وفي ذلك الاعتقال تعرّض سماحته للتّعذيب القاسي الشّديد، واستمرّ في نهجه الجهاديّ ضدّ النّظام حتّى العام ١٩٧٧م، حيث انطلقت انتفاضة صفر بسبب تدخّل النّظام في الشّعائر الحسينيّة، الأمر الّذي أدّى إلى اعتقاله في ٢٢ صفر ١٣٩٧هـ الموافق ١١ شباط ١٩٧٧م، ثمّ أُطلق سراحه في عفو عام عن السّجناء السّياسيين والعاديين في ١٧ تمّوز عام ١٩٧٨م.

وبعد أن نفّذ النّظام جريمته الكبرى بقتل الشّهيد الصّدر في أوائل نيسان عام ١٩٨٠م. اتّخذ الحكيم قرار الهجرة من العراق، حيث أصبح بقاؤه مستحيلاً، فكانت هجرته في أوائل تمّوز عام ١٩٨٠م.

أمضى ثلاثة أشهر في سوريا ثمّ توجّه نحو إيران دخلها في أوائل تشرين الأوّل عام ١٩٨٠ بعد أيّام من بدء الحرب العراقيّة ـ الإيرانيّة. في أوّل وصوله نزل ضيفًا على الإمام الخمينيّ، حيث خصّص له منزلاً مجاورًا لمقرّه، وأولاه عناية كبيرة واهتمامًا ملحوظًا ومتميّزًا.

وبعد مخاضات متعدّدة، أسفر ذلك النّشاط المتواصل والجهود الكبير عن انبثاق (المجلس الأعلى للثّورة الإسلاميّة في العراق) في أواخر عام ١٩٨١م ـ ١٤٠١هـ، وانتخب الحكيم ناطقًا رسميًّا، ومنذ عام ١٩٨٦م أصبح رئيسًا لهذا المجلس.

وبعد تشكّل المجلس الأعلى للثّورة الإسلاميّة في العراق اتُّخذت الحركة ضدّ النّظام طابعًا أكثر وضوحًا على الصّعيدين العسكريّ والسّياسيّ، فعلى الصّعيد العسكريّ تشكّلت في البداية أفواج الجهاد، ثمّ تطوّرت لتصبح فيلقًا عُرِف باسم (فيلق بدر)، فقد تشكّلت قوّات المقاومة الإسلاميّة والجهاد، حيث نفّذت عمليّات كبيرة داخل العراق وكان لها صدى أكبر في مناطق الأهوار.

وقدّم أبعد حدود الدّعم لتأسيس المركز الوثائقيّ لحقوق الإنسان في العراق، كما شجّع على التّحرّك في أروقة الأمم المتّحدة، وتحرّك بنفسه حتّى التقى بالأمين العامّ (ديكوريلار) في العام ١٩٩٢م.

كما اهتمّ بدول الجوار فزار السّعوديّة وسوريا والكويت والتقى رئيس الوزراء التّركيّ ورئيس الوزراء السّودانيّ وتحادث مع الملك حسين وولي عهده الأمير حسن فضلاً عن علاقاته ولقاءاته المتميّزة مع قادة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، وزار بريطانيا وسويسرا لدعم هذا التحرّك»[١].

---

(١) المصدر السابق، ص: ٢ و ٣ بتصرف.

وممّا يجدر ذكره أيضًا أنّ إستدراكنا على ما تقدّم هو أنّ الشّهيد السّيّد الحكيم (قده) مع الأبرار في المجلس الأعلى للثّورة الإسلاميّة في العراق ومنذ عام ١٩٨١م قد نفّذوا وصيّة أستاذهم الشّهيد الإمام الصّدر (قده) في الذّوبان في أطروحة الإمام الخمينيّ (قده) السّياسيّة الإسلاميّة كما ذاب هو في الإسلام. وأمّا الحديث عن حزب الدّعوة الإسلاميّة فإنّ الشّهيد السّيّد محمّد باقر الحكيم (قده) وشقيقه الشّهيد السّيد مهدي الحكيم (قده) قد انسحبا من حزب الدّعوة تنظيميًّا بعد سنوات بناء على طلب والدهما الإمام الحكيم (قده)، مع محافظتهما على أواشج الصّداقة والمحبّة والنّصيحة لجميع الدّعاة[١].

د ـ خُطب الجمعة في النّجف الأشرف:

ومنذ عودة الشّهيد السّعيد آية الله السّيّد محمّد باقر الحكيم (قده) الظّافرة من إيران مع طلاّبه ومريديه، وأعضاء فيلق بدر من الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة إلى العراق عن طريق البصرة في العاشر من شهر أيّار ٢٠٠٣م وخطبته الأولى في البصرة عصر ذلك اليوم المشهود إلى خطبة الجمعة الأخيرة في النّجف الأشرف في ٢٩ آب ٢٠٠٣م قبيل استشهاده بساعة اتّضحت فيها الخطوط العامّة للمدرسة الإسلاميّة الإنسانيّة الّتي دعا إليها الشّعب العراقيّ المظلوم ضمن الخطوط التّالية:

أوّلاً: الإسلام هو الإطار الأفضل لمستقبل العراق وشعوبه ولأنّه يضمن الحقوق الكاملة لجميع القوميّات والمذاهب والأقليّات دون استثناء وقد ضمن الإسلام حقوق الأقليّات في العراق وحافظ على وجودها منذ الصدر الأوّل للإسلام ولغاية أيّامنا هذه.

---

(١) راجع كتاب «حزب الدعوة الاسلاميَّة، حقائق ووثائق» للسَّيِّد صلاح الخرسان. من ص ١١٥ إلى ص ١١٩.

ثانيًا: الحوزة الدّينيّة في النّجف الأشرف منذ ألف عام ولغاية أيّامنا هذه كانت رمزًا للوحدة الإسلاميّة، ولحقوق الإنسان، ولفتح باب الاجتهاد في الفقه والشّريعة، ولمحاربة الاستعمار البريطانيّ في العراق منذ عام ١٩١٤م ولغاية استقلال العراق عام ١٩٣٢ ودخوله في عصبة الأمم، وللنّداء بتحرير القدس وفلسطين من الصّهاينة منذ مؤتمر القدس الأوّل في عام ١٩٣١ ولغاية أيّامنا هذه، كما وقفت في وجه جميع الحكومات الظّالمة والمستبدّة في العراق منذ استقلال العراق في عام ١٩٣٢م ولغاية سقوط نظام الطّاغية في ١٣/٤/٢٠٠٣م وقدّمت آلاف العلماء والطّلبة شهداء في سبيل الله تعالى وكلمة الحقّ والمعروف..

كما وقفت الحوزة أيضًا في وجه الاحتلال الأنكلو ـ أمريكي الأخير للعراق وطالبته بالرّحيل عن أرض العراق المُقدّسة، كما طالبت العراقيين بعدم الاعتراف به أو التّعاون معه.

ثالثًا: يجب أن تُصان حريّة الإنسان العراقيّ من الانتهاك سواء كان سُنّيًا أو شيعيًا، عربيًا، أو كرديًا، أو تركمانيًا، أو من الأقليّات ضمن الضّوابط الإسلاميّة والإنسانيّة وكذلك المحافظة على الدّور المتوازن للفرد أو الدّولة في الاقتصاد.

رابعًا: يجب أن يتمّ اختيار شكل الحكم وأساليبه، والحاكم الّذي يجب أن يتّصف بالمواصفات الخاصّة من العلم والتّقوى والخبرة السّياسيّة والمواصفات الأخلاقيّة الحميدة عبر رأي الأكثريّة من الشّعب العراقيّ. ومن خلال الانتخاب الحرّ والمباشر بعيدًا عن الضّغوط الإقليميّة أو الدّوليّة.

خامسًا: كان يؤمن (قده) بالوحدة الإسلاميّة بين المذاهب والطّوائف الإسلاميّة ويدعو إليها في السّرّ والعلن وفي جميع كتاباته ومقالاته كما كان يقف ضدّ كلّ دعوة للطّائفيّة السّياسيّة أو الدّينيّة.

سادسًا: كان يرى ضرورة حلّ المشكلة الكرديّة في العراق حلاً سلميًا على أساس منح الحقوق المشروعة للأكراد في إطار الأخوّة الإسلاميّة بين العرب والأكراد وبقيّة القوميّات ووحدة الأرض العراقيّة والمصالح الوطنيّة المشتركة.

سابعًا: أن يكون هناك دور متميّز لعلماء المسلمين من السُنّة والشّيعة في قيادة الأمّة على مستوى التّصدّي السّياسيّ للاحتلال الأجنبيّ وإفرازاته الأخلاقيّة السّيّئة، أو التّوعية والتّعبئة السّياسيّة والثّقافيّة، والدّعوة إلى الوحدة الإسلاميّة.

هـ ـ كربلاء العصر:

كتبت صحيفة النّهار البيروتيّة الصّادرة في ٣٠ آب ٢٠٠٣ بعنوانها العريض في الصّفحة الأولى (كربلاء العصر: مقتل الحكيم و٨٤ شخصًا بسيّارة مفخّخة في النّجف). ثمّ أوردت الصّحيفة نبأ انفجار السّيّارة المفخّخة الّذي أودى بحياة آية الله السّيّد محمّد باقر الحكيم و٨٤ شخصًا وبجرح ٢٢٩ شخصًا آخر بعد تأديتهم لصلاة الجمعة المباركة في الحرم الطّاهر لمشهد الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في النّجف الأشرف في ٢٩ آب ٢٠٠٣.

وفي الختام لا يسعنا إلاّ أن نقرأ لسيّد شهداء كربلاء عصرنا آية الله السّيّد محمّد باقر الحكيم (قده) في كتابه (ثورة الحسين) استشفافه الغيب وطلبه للشّهادة قبل سنوات من حدوثها على أرض العراق حيث جاء في الفصل الرّابع تحت عنوان (إيقاظ الأمّة وتحرير إرادتها) حيث أورد شواهد تأريخيّة عن آثار الإمام الحسين عليه السلام على أهل المدينة، وأهل مكّة، وأهل العراق بعد عام واحد من استشهاد الإمام الحسين عليه السلام إلى أن قال: «هذه الحقيقة ـ كما أشرنا سابقاً ـ تدلّ أنّ ثورة الحسين عليه السلام تمكّنت من أن تحقّق هدفها الرّئيسيّ، وهو إيقاظ ضمير الأمّة من ناحية

وتحرير إرادتها من ناحية أخرى وذلك من خلال معالجة أسباب موت الضّمير وفقدان الإرادة فيها فهي ثورة هادفة، وناجحة في تحقيق أهدافها»[١].

ثم تكلّم (رحمه الله تعالى) تحت عنوان (عراق الأمس وعراق اليوم) مقارناً بين مأساة الإمام الحسين(الإنسانيّة وخلفيّاتها وأسبابها «بما يجري من الأوضاع في عراق اليوم فنجد أنّ التّاريخ يعيد نفسه. فإنّ هناك أناساً وحوشاً كعبيد الله بن زياد وجماعته ونجد أنّ كلّ عراقيّ الآن يعيش مأساة خاصّة به وراءها وحش من أولئك الوحوش يجمعها هذا النّظام الّذي يمثّل فيه صدّام حسين شخصيّة عبيد الله بن زياد، وقضيّة استشهاد الإمام السّيّد محمّد باقر الصّدر(قده) وفرض الإقامة الجبريّة عليه قرابة العام أبرز هذه المآسي في حياة الأمّة، باعتباره أنّ هذا الإنسان العظيم الواعي والسّائر على درب الإمام الحسين عليه السلام قُتل قتلة وحشيّة مع شقيقته العلويّة العالمة الفاضلة بنت الهدى وبعد التّعذيب يدفن بشكل يدلّ على الوحشيّة واللّؤم والخبث.

وكذلك قضيّة إستشهاد العلماء الخمسة من أولاد الإمام السّيّد محسن الحكيم (قده) وبقيّة أبناء الأسرة من أحفاده وأولاد عمومته البالغ عددهم أكثر من عشرين شخصاً من العلماء والأفاضل، والّذين أُخذوا رهائن ثمّ قُتلوا صبراً بعد التّعذيب الوحشيّ ودُفنوا سرّاً.

واعتُقل جميع أبناء الأسرة البالغ عددهم أكثر من ستين فرداً. وهكذا نشاهد هذه المأساة في كثير من الأسر العلميّة والمراكز الدّينيّة بل في مدن بكاملها، حيث تمّ قتل وإبادة عشرات الآلاف منها في عمليّات وحشيّة مدبّرة»[٢].

---

(١) ثورة الامام الحسين عليه السلام للسّيّد الحكيم (قده). ص ١٧٨ بتصرف.

(٢) المصدر السابق، ص: ١٨ بتصرف.

وختم كلامه (قده) بقوله: «نحن الآن نعيش حالة مشابهة إلى حدٍّ بعيد مع الحالة الّتي كان يعيشها أبو عبد الله الحسين عليه السلام في ذلك العصر، ونحتاج إلى دماءٍ زكيّة طاهرة كالدّماء الّتي أُريقت في كربلاء من أجل إحياء الضّمائر عند أولئك الّذين ماتت ضمائرهم، وتحطيم حاجز الخوف والرّهبة لدى فاقدي الإرادة ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]»[١].

وبعد هذا وذاك فنجد أنّ سيّدنا الشّريف آية الله السّيّد محمّد باقر الحكيم (قده) قد ألهم قبل سنوات من استشهاده وفي هذه الكلمات الآنفة الذّكر بتمنّي الشّهادة لنفسه حتّى يلحق بأستاذه الإمام الشّهيد السّعيد السّيّد محمّد باقر الصّدر (قده) وبالسّادة الأشراف الشّهداء من أشقّائه وبني عمومته من آل الحكيم كما نجد العراق بعد هذه الفاجعة العظمى، من شماله إلى وسطه وجنوبه وفي جميع مدنه وقراه وطوائفه ومذاهبه وقوميّاته يبكي السّيّد الشّهيد، ويحزن لفقده، ويلعن قاتليه وظالميه كما نجد أنّ باستشهاده (رضوان الله تعالى عليه) قد قطف العراقيون خمس ثمرات عاجلة وأمّا الثّمرات الآجلة فسوف تأتي بعد حينٍ من الزّمن ـ إن شاء الله تعالى ـ وهي:

١ ـ إنّ وحدة المسلمين من سُنّة وشيعة هو القضاء والقدر الّذي أراده الله تعالى لأهل العراق ولجميع أبناء هذه الأمّة الّذي لن تستطيع القوّات الغازية أو سواها اللّعب على أوتاره أبدًا، وأنّ كلّ من ينفخ في هذه النّار سوف يقع فيها في الدّنيا والآخرة..

٢ ـ إنّ وحدة العراق بجميع قوميّاته من عرب، وأكراد، وتركمان، وأقليّات هو عنوان وحدة الأمّة وأنّ تجزئة العراق هو تجزئة لباقي دول هذه المنطقة وبالتّالي ضياع لقضيّة فلسطين ولسائر قضايا

---

(١) المصدر السابق، بتصرف.

الأمّة. وقد أثبت العراقيون بعد رحيل صدّام وحزبه أنّهم موضع ثقة الأمّة بهم بالتّعالي عن الجراح الّتي أوجدها صدّام حسين في جسم هذه الأمّة.

٣ ـ إنّ النّجف الأشرف بمراجعها الأعلام هي صمّام الأمان للشّعب العراقيّ المظلوم ومرجعها الصّالح في السّرّاء والضّرّاء وفي أمر النّاس بالتّحاكم إلى الشّريعة الإسلاميّة الغرّاء والرّجوع إليها دون الرّجوع إلى عاداتهم وتقاليدهم القبليّة في أخذ الثّأر وغير ذلك من تسوّلات الشّيطان ووساوسه.

٤ ـ إنّ السلبيّة المطلقة مع قوّات الإحتلال ومقاومة الجيوش المحتلّة بالمقاومة المدنيّة الشّاملة هي الّتي أدّت إلى جلاء الجيوش الأجنبيّة عن حرم المدن المُقدّسة في العراق، وهي الكفيلة ـ إن شاء الله تعالى ـ بجلاء آخر جنديّ عن العراق.

٥ ـ استجابة العراقيين لنداء الشّهيد السّيّد الحكيم (قده) ولفتاوى المراجع الأعلام في النّجف الأشرف بتحريم بيع اليهود أو تمكينهم من أيّ عقار من أرض العراق المُقدّسة، والسّعيّ الدّائم لعدم تمكين الشّركات الإسرائيليّة من الدّخول إلى أرض العراق، وبالتّالي اتّهام إسرائيل وقوّات الإحتلال الّتي تقف وراءها ـ من قبل معظم العراقيين ـ بتدبير انفجار السّيّارة المفخخة في النّجف الأشرف عصر يوم الجمعة في ٢٩ آب ٢٠٠٣ الموافق غرّة شهر رجب ١٤٢٤هـ والّذي أودى بحياة الشّهيد السّيّد الحكيم (قده) وصحبه الأبرار (رحمهم الله تعالى).

والّذي أيّد ذلك الاتّهام هو قول بعض خبراء المتفجّرات من العراقيين وغيرهم بعد معاينتهم لتلك السّيّارة الملعونة أنّ بقايا تلك الألغام والمتفجّرات هي صناعة إسرائيل!!!.

٤ ـ آية الله العظمى السيّد السّيستانيّ والوحدة الإسلاميّة في مواجهة قوّات الاحتلال للعراق(*)

في هذه الأيّام العصيبة الّتي تمرُّ على المسلمين في العراق بعد سقوط نظام صدّام حسين في ٩/ ٤/ ٢٠٠٣م، حيث يرزح العراق وشعوبه من عرب، وكرد، وتركمان، وأقليّات عرقيّة أخرى تحت نير الاحتلال، وفي هذه الأيّام الّتي يكتشف العراقيون أنّ جميع مساجينهم ومعتقليهم في سجون صدّام قد أُعدموا دون محاكمة أو أيّ شيء آخر مع اكتشافهم لعشرات المقابر الجماعيّة لأولئك المساجين ولسواهم، وفي هذه الأيّام الّتي يكتشف المسلمون في العراق فقرهم وفاقتهم وحاجتهم كأفراد لقارورة غازٍ يبلغ ثمنها أربعة آلاف دينار عراقي في بلد يعتبر من أغنى بلاد الأرض في مخزونه من النّفط والغاز، وفي هذه الأيّام يكتشف المسلمون في العراق أيضًا سقوط ستّة آلاف شهيد منهم على أيدي قوّات الاحتلال، وسقوط آلاف الجرحى والمعاقين، وفي هذه الأيّام الّتي يُشطب بها اسم العراق كدولة من الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة وجميع المنظّمات الدّوليّة التّابعة لها في العالم، وحتّى من منظمة مؤتمر الدّول الإسلاميّة، ومن جامعة الدّول العربيّة، وفي هذه الأيّام الّتي يُستقبل بها حاكم العراق الأمريكي بول بريمر من قبل الأنظمة العربيّة كزعيم عربيّ

(*) عن مجلة «الوحدة الإسلامية» الصادرة عن تجمع العماء المسلمين في لبنان. العدد: ٢١ آب عام ٢٠٠٣.

من أبناء يعرب بن قحطان، وفي هذه الأيّام الّتي يُقاتل بها الإعلاميون العرب من مرتزقة صدّام بالكلام وحتّى سقوط آخر إنسان عراقيّ، وحتّى لا يبقى في العراق غير بريمر ورهطه، يرفض الإمام السّيّد عليّ الحسينيّ السّيستاني، وجميع مراجعنا الأعلام في النّجف الأشرف استقبال هذا الحاكم الأمريكي، موجّهين رسالة في ذلك إلى الرّأي العامّ العالمي أنّ مستقبل العراق للعراقيين، وأنّ الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، وما مصير الاحتلال إلاّ إلى زوال ولو بعد حين.

أ ـ من هو الإمام السّيّد السّيستاني؟

الإمام السّيّد عليّ بن السّيّد محمّد باقر بن السّيّد عليّ الحسينيّ السّيستانيّ (دام ظلّه)، من مواليد مدينة مشهد الإيرانيّة في عام ١٣٤٩هـ.، درس العلوم الإبتدائيّة والمقدّمات الإلهيّة لدى جملة من أعلامها ومدرّسيها حتّى أتقنها، وتتلمذ في بحوث الخارج على يديّ المحقّق الميرزا مهدي الأصفهاني (قده)، ثمّ انتقل بعدها إلى حوزة قم المقدّسة حيث تتلمذ على يدي المرجع الكبير آية الله العظمى السّيّد حسين البروجردي (قده)، وعلى آية الله الحجّة السّيّد الكوهكمري (قده). ثمّ هاجر إلى النّجف الأشرف في عام ١٣٧٠هـ، وحضر دروس كبار الأئمة المجتهدين بها وهم: الإمام السّيّد محسن الطّباطبائي الحكيم (قده)، وآية الله العظمى الشّيخ حسين الحلّيّ (قده)، والإمام السّيّد أبو القاسم الخوئي (قده) حيث لازم الأخير عشر سنوات في الفقه والأصول.

وفي عام ١٣٨٠هـ يُجاز بالاجتهاد المطلق من قبل أستاذيه السّيّد الخوئي (قده)، والشّيخ الحلّيّ (قده)، وفي عام ١٣٨١هـ تُثنى له الوسادة في النّجف الأشرف ليبتدئ بإعطاء طلاّبه بحوث الخارج في الفقه والأصول[١].

---

(١) مجلة العرفان. المجلد ٨٠ العددان السابع والثامن أيلول وتشرين أول ١٩٩٦م، ص: ١١٠ و١١١ ـ بتصرف.

لقد برز السّيّد السّيستاني (دام ظلّه) في بحوث أساتذته بتفوّق بالغ على أقرانه وذلك في قوّة الإشكال، وسرعة البديهة، وكثرة التّحقيق والتّتبّع في الفقه والرّجال، ومواصلة النّشاط العلميّ، وإلمامه بكثير من النّظريّات في مختلف الحقول العلميّة الحوزويّة. وكانت بينه وبين الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر منافسة شديدة في مجال التّفوّق والنّبوغ العلميّ.

كما أنّ للسّيّد السّيستاني (دام ظلّه) أكثر من اثنين وعشرين كتابًا منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط.

وقد امتازت نظريّاته وأفكاره (دام ظلّه) بعدّة أمور كان أهمّها:

١ ـ المقارنة بين فقه الشّيعة وفقه غيرهم من المذاهب الإسلاميّة الأخرى، فإنّ الإطّلاع على الفكر الفقهيّ السُّنّيّ المعاصر لزمان النّصّ كالإطّلاع على موطأ مالك وخراج أبي يوسف وأمثالهما ونظريّاتهما حين طرح النّصوص.

٢ ـ الاستفادة من علم القانون الحديث في بعض المواضيع الفقهيّة كمراجعته للقانون العراقيّ والمصريّ والفرنسيّ عند بحثه في كتاب البيع والخيارات، والإحاطة بالفكر القانوني المعاصر تزوّد الإنسان بخبرة قانونيّة يستعين بها على تحليل القواعد الفقهيّة وتوسعة مداركها وموارد تطبيقها.

٣ ـ التّجديد في الأطروحة: إنّ معظم علمائنا الأعلام يتلقّون بعض القواعد الفقهيّة بنفس الصّياغة الّتي طرحها السّابقون ولا يزيدون في البحث فيها إلاّ على صلاحيّة المدرك لها أو عدمه، ووجود مدرك آخر وعدمه، أمّا السّيّد السّيستاني فإنّه يحاول الإهتمام في بعض القواعد الفقهيّة بتغيير الصّياغة[١].

(١) المصدر نفسه، ص ١١١ و١١٥ و ١١٦ بتصرف.

ب ـ مؤسّسات الإمام السّيّد السّيستاني (دام ظلّه):

سار الإمام السّيّد عليّ الحسينيّ السّيستاني (دام ظلّه) على خطى مراجعنا الأعلام في النّجف الأشرف خلال ألف عام، في مسيرة الزّهد بحطام الدّنيا وزينتها، فتراه لا يملك من حطام الدّنيا سوى كتبه وأثاث بيته الصّغير الّذي لا يتجاوز المائة متر مربّع، والمستأجر من وقفيّة المدرسة الشّبريّة في النّجف الأشرف، ومع هذا وذاك فهو يُشرف على مؤسّسات دينيّة، وثقافيّة، وخيريّة تملك مئات الملايين من الدّولارات منتشرة في شتّى بقاع الأرض، يديرها وكلاؤه في جميع أنحاء العالم. وهذه المؤسّسات تنقسم إلى قسمين:

القسم الأوّل: مؤسّسات المراجع والعلماء الماضين والّذين جعلوا النّظر فيها والولاية من بعدهم في تلك المؤسّسات للمرجع الأعلى للمسلمين في النّجف الأشرف. ومنها مؤسّسات الإمام الخوئي (قده) في العراق وإيران وغيرهما وأهمّها على الإطلاق مؤسّسة الإمام الخوئي الخيريّة ومركزها الرّئيس في لندن. الّتي كان رئيسها الأوّل الشّهيد العلاّمة الحجّة السّيّد محمّد تقيّ الخوئي (قده)، ورئيسها الثّاني الشّهيد العلاّمة السّيّد عبد المجيد الخوئي (قده) أمّا الآن فرئيسها سماحة العلاّمة المجاهد الأستاذ الفاضل السّيّد عبد الصّاحب الخوئي، هم وكلاء سماحته (دام ظلّه)، والمشرفين على هذه المؤسّسة الخيريّة بإذن من سماحته. وممّا يجدر ذكره أيضًا أنّ من أهمّ أعمال هذه المؤسّسة وأهدافها كان السّعيّ الدّائم للمعرفة وللوحدة الإسلاميّة ما بين السُّنّة والشّيعة من خلال مجلّة «النّور» الشّهريّة الصّادرة عنها، ومن خلال المؤتمرات الإسلاميّة الّتي كانت تعقدها في لندن، وفي سائر الحواضر العالميّة... وكان منها العلاقة الحميمة الّتي كانت تربطها بجامعة الأزهر الشّريف، وبزيارة الإمام الأكبر الدّكتور الشّيخ محمّد سيّد طنطاوي لها في لندن، وبمباركته لها كمؤسّسة تسعى لوحدة المسلمين وجمع كلمتهم

على تقوى الله تعالى في بلاد الاغتراب[1].

القسم الثّاني: وهو ما قام به (دام ظلّه) من إنشاء مؤسّسات جديدة ومستحدثة في إيران، وباكستان، والهند، وآذربيجان، وسوريا، ولبنان من خلال وكيله العام في قم سماحة حجّة الإسلام السّيّد محمّد جواد الشّهرستاني وذلك نظرًا لحاجة النّاس إليها.

وقد صدر عن هذه المؤسّسات كتاب يؤرّخ لها تحت عنوان: «لمحة عن نشاطات مكتب السّيّد السّيستاني دام ظلّه» من ١٤٢ صفحة، ط. قم، ٢٠٠٢م، فراجع.

قالت مجلّة النّور: «للسّيّد السّيستاني مشاريع عدّة في مناطق وأماكن مختلفة في العالم أمثال المجمّعات السّكنيّة لطلاّب الحوزات العلميّة، ومراكز إغاثة ومستشفى ومستوصفات طبيّة، ومراكز علميّة، ومؤسّسات للنّشر والطّباعة والتّرجمة، والتّبليغ، ومواقع على الانترنت لتقديم الخدمات الإسلاميّة للمؤمنين ودفع الشّبهات عنهم»[2].

ج ـ مرجعيّة الإمام السّيستاني (دام ظلّه):

بعيد استشهاد أستاذنا المقدّس آية الله العظمى السّيّد نصر الله المستنبط (قده) مسمومًا على أيدي النّظام البائد في العراق قام أستاذنا الإمام السّيّد الخوئي (قده) بترشيح آية الله العظمى السّيّد عليّ الحسينيّ السّيستانيّ لإمامة الجماعة مكانه في مسجد الخضراء في النّجف الأشرف. وقد قبل سماحته طلب أستاذه وأمّ المصلّين في الخامس من جمادى الأولى ١٤٠٩هـ ولغاية نهاية شهر ذي الحجّة عام ١٤١٤هـ.

---

(١) انظر كتاب مسيرة تضحية وجهاد السَّيِّد عبد المجيد الخوئي (قده)، الصادر عن مؤسسة الإمام الخوئي (قده) الخيرية في لندن، حزيران ٢٠٠٣.

(٢) مجلة «النور» العدد: ١٤٦، تموز ٢٠٠٣، ص: ٨٣.

كما كان (دام ظلّه) من السّتّة المشيّعين لجنازة الإمام الخوئي (قده) ليلاً، وهو الّذي صلّى على جثمانه الطّاهر، وقد تصدّى بعدها للتّقليد وشؤون المرجعيّة وزعامة الحوزة العلميّة، فقام بإرسال الإجازات، وتوزيع الحقوق، والتّدريس على منبر الإمام الخوئي (قده) في مسجد الخضراء في النّجف الأشرف، وذلك ابتداء من أواخر شهر آب عام ١٩٩٢م[١].

وممّا يجدر ذكره أيضًا تعرّض سماحته أثناء مرجعيّته للمنع من التّدريس وصلاة الجماعة في مسجد الخضراء في النّجف الأشرف في آخر شهر ذي الحجّة عام ١٤١٤هـ، كما فُرضت عليه الإقامة الجبريّة في منزله الصّغير في النّجف الأشرف، وتعرّض منزله عدّة مرّات للاقتحام والسّرقة وإطلاق النّار من قبل جماعة النّظام البائد. حتّى أنّه (دام ظلّه) كان يوعز إلى وكلائه في العراق وخارجه إلى صرف الحقوق الشّرعيّة في مواردها الشّرعيّة في بلادهم ومناطقهم حسب الأصول المرعيّة الإجراء، وعدم إرسالها إليه خوفًا من وقوعها في أيدي قوّات النّظام البائد، والّذين كانوا يحيطون بمنزله الشّريف إحاطة السّوار بالمعصم طيلة تلك السّنوات العجاف.

ونظرًا لما تعرّض إليه سماحته (دام ظلّه) من ضغوط وحصار وإقامة جبريّة، فقد أرسلت الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، ومن خلال القنوات الدّبلوماسيّة وفدًا لزيارته في النّجف الأشرف لتوجيه دعوة له لزيارة والإقامة بها للإستشفاء والعلاج!.. فكان جوابه (دام ظلّه) شكر الوفد والجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة على هذه المبادرة. وأنّه قد قرّر قضاء البقيّة من حياته في منزله في النّجف الأشرف، والموت إلى جوار مشهد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعدم مبارحته أبدًا!!!

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٨٣ بتصرف.

وموقفه هذا بالتّشبث بالبقاء في النّجف الأشرف وعدم مغادرتها أعطى للحوزة الدّينيّة في النّجف الأشرف جُرعة جديدة من الحياة والاستقرار، والتّعاون على الصّبر والتّقوى.

د ـ مواقف الإمام السّيّد السّيستاني من الاحتلال:

بعد سقوط بغداد والعراق في التّاسع من شهر نيسان عام ٢٠٠٣، بأيدي قوّات التّحالف الأمريكي البريطاني توجّهت أنظار المسلمين في العراق من شيعة وسُنّة إلى النّجف الأشرف وإلى زعيمها الإمام الأكبر والمرجع الأعلى السّيّد عليّ الحسينيّ السّيستانيّ (دام ظلّه)، كما توجّهت أنظار الرّأي العام الإسلامي والعالمي إلى النّجف الأشرف، وإلى انتظار الفتوى الذّهبيّة منها بالجهاد ـ حسب ما ذهبت إليه صحيفة السّفير البيروتيّة في عددها الصّادر في يوم الإثنين في ٢٠٠٣/٦/٣٠م ـ أو إلى الرّكون والاستسلام إلى مخطّطات قوّات الاحتلال، حسب توقّعات الصحف العربيّة!!!

والطّريق الّذي اختاره مراجع النّجف الأشرف وعلى رأسهم الإمام السّيّد السّيستانيّ (دام ظلّه) هو الطّريق الّذي لم تسمع به الصّحافة العالميّة أو العربيّة أو تفكّر به على الإطلاق ألا وهو طريق رسول الله ﷺ في مكّة وقبل الهجرة إلى المدينة المنوّرة، وهو الطّريق الّذي تكلّم عنه القرآن الكريم في أكثر السّور المكيّة ومنها سورة «الكافرون».

هـ ـ موقفه اتجاه الفوضى في العراق:

بعد سقوط نظام بغداد في ٢٠٠٣/٤/٩ انتشرت الفوضى في جميع أنحاء العراق من سرقات للمؤسّسات العامّة، وقضاء على معظم البنى التّحتيّة من مقوّمات الحياة للشّعب العراقيّ المظلوم وحرق لبعضها الآخر، وسرقات لأسلحة الجيش العراقيّ ومتاجرة بها، وبيانات باسم حوزة النّجف الأشرف. وقد أجاب على ذلك (دام ظلّه) من خلال

الأسئلة التّالية قاطعًا بذلك لدابر الفتنة، ولوقوع حرب أهليّة ما بين السُّنّة والشّيعة، وما بين البعثيين وسائر فئات الشّعب العراقيّ المظلوم.

س١: قام بعض ضعاف النّفوس بالاستحواذ على الممتلكات العامّة من المستشفيات والجامعات والدّوائر الحكوميّة مستغلّين غياب السّلطة والانفلات الأمنيّ، فما حكم ذلك؟

ج: باسمه تعالى: لا بدّ من التّحفّظ عليها، ويرجّح أن يكون ذلك بجمعها في مكان واحد بإشراف لجنة مختارة من أهالي المنطقة لكي يتسنّى تسليمها إلى الجهات ذات الصلاحيّة لاحقًا.

س٢: هل يجوز التّعامل بالأسلحة ولا سيّما شراؤها بحجّة الدّفاع عن النّفس؟ وهل يجوز حملها لغير الجهات المسؤولة عن حفظ الأمن؟

ج: الأسلحة المنهوبة من مراكز الجيش ونحوها تبقى ملكًا للدّولة، ولا يجوز التّعامل بها، بل لا بدّ من جمعها وحفظها بإشراف لجنة من أهالي المنطقة لتسلّم إلى الجهة ذات الصّلاحيّة لاحقًا، وليس لغير الجهات المسؤولة عن الأمن حمل الأسلحة، وإطلاق العيارات النّاريّة من دون ضرورة تقتضيه، والله العالم.

س٣: كثيرة في هذه الأيّام البيانات الصّادرة باسم (الحوزة الشّريفة) فما تقولون في هذا؟

ج: لا يعتمد عليها، وعلى كلّ مكلّف أن يأخذ الفتوى والتّوجيه في المسائل المستحدثة من مرجعه في التّقليد، وإذا كان المكلّف باقيًا على تقليد المراجع الماضين (قدّس الله أسرارهم) استنادًا إلى فتوى أحد الأحياء فلا بدّ من الرّجوع إليه في المستحدثات أيضًا.

س٤: ما حدود وظيفة رجل الدّين في الوقت الحالي؟ وهل له أن يتدخّل في الأمور الإداريّة؟

ج: لا يصحّ أن يزجّ رجل الدّين في الجوانب الإداريّة والتّنفيذيّة،

بل ينبغي أن يقتصر على التّوجيه والإرشاد والإشراف على اللّجان الّتي تشكّل لإدارة أمور المدينة وتوفير الأمن والخدمات العامّة للأهالي.

س٥: ما هو موقفكم الحالي من صلاة الجمعة في الوقت الرّاهن؟

ج: نرجّح إقامتها حيث تكون مظهرًا لوحدة كلمة المؤمنين في المدينة ولا توجب الفرقة والاختلاف، مع التّأكيد على لزوم إحراز عدالة الإمام وإلاّ فلا يقتدي به[1].

لقد كان لهذه الفتاوى الذّهبيّة الأثر البالغ في نفوس المسلمين الشّيعة في العراق من حفظها للحقوق العامّة، وللمؤسّسات العامّة من جامعات، ومستشفيات، ومدارس، ومؤسّسات مدنيّة، وعسكريّة، واقتصاديّة، ومن شركات ومصارف وغيرها وبالتّالي من عودة الحياة الطّبيعيّة والخدمات العامّة إلى مسيرتها الأولى كما حدث هذا في زيارة أربعين الإمام الحسينعليه السلام في يوم ٢٠ صفر ١٤٢٤هـ، الموافق ٢٣ نيسان عام ٢٠٠٣ حيث استقبلت مدينة كربلاء المقدّسة خمسة ملايين زائر من جميع أنحاء العراق وأمّنت لهم جميع الخدمات الأساسيّة دون حصول أيّ حادث أمنيّ من قتل أو سرقة أو نحو ذلك ممّا أدهش الرّأي العام العالمي الّذي كان ينظر إلى تلك الجموع العظيمة بحذر وترقّب. كما أعطى نظرة أخرى عن الشّعب العراقيّ وتقيّده الحضاريّ بالنّظام وبالمثل العليا للإسلام بحذر وترقّب.

وكما حدث هذا أيضًا بعد ثمانية أيّام في النّجف الأشرف في ذكرى وفاة النّبيّ محمّدصلى الله عليه وآله، في ٢٨ صفر ١٤٢٤هـ الموافق للأوّل من شهر أيّار عام ٢٠٠٣ حيث اجتمع مليونا زائر في رحاب أمير المؤمنينعليه السلام بهدوء واطمئنان!!!.

---

(١) المصدر نفسه.

و ـ موقفه اتجاه النّعرات الطّائفيّة ما بين السُّنّة والشّيعة:

بعد سقوط النّظام في العراق قام بعض ضعاف النّفوس من الشّيعة في بعض المدن والمناطق ذات الأغلبيّة الشّيعيّة في العراق بالاستيلاء على بعض مساجد السُّنّة الموجودة في مناطقهم، وطرد أئمتها منها ورفع الشّعائر الإسلاميّة على الطّريقة الشّيعيّة في تلك المساجد، وإلغاء الشّعائر الإسلاميّة على الطّريقة السُّنّيّة. فما كان منه (دام ظلّه) إلاّ أن استنكر ذلك أشدّ الاستنكار، وأوجب على المسلمين الشّيعة من جيران تلك المساجد احترام أئمة السُّنّة وتوفير الحماية لهم، حتّى يعودوا إلى مساجدهم بالإعزاز والاحترام.

فقد وجّه إليه (دام ظلّه) السّؤال التّالي:

س١: قام بعض من يحسب نفسه على المذهب باقتحام مساجد إخواننا من أهل السُّنّة وطرد أئمة الجماعة منها، فما قولكم في هذا؟

ج١: هذا العمل مرفوض تمامًا، ولا بدّ من رفع التّجاوز وتوفير الحماية لإمام الجماعة وإعادته إلى جامعه مُعزّزًا مكرّمًا[١].

ز. موقفه اتجاه مستقبل العراق:

لسماحته (دام ظلّه) مواقف مشهورة وواضحة اتجاه مستقبل العراق وحكومته سوف نفهمها من خلال الأسئلة الّتي كانت توجّه إليه (دام ظلّه).

١ ـ عودة اليهود إلى العراق:

قامت جماعات من اليهود من أصول عراقيّة في فلسطين المحتلّة بالعودة إلى بغداد وسائر المدن العراقيّة الكبرى وتحت مظلّة الحاكم

---

(١) المصدر نفسه.

الأمريكي لافتتاح مؤسّسات وشركات لهم وشراء عقارات في تلك المدن بمبالغ كبيرة وضخمة من الأموال مستغلّين فقر أصحابها وحاجتهم الماديّة، وحتّى تكون بالتّالي ثروات العراق وخيراته في المستقبل تحت أيديهم. وقد وجّه استفتاء إلى سماحته (دام ظلّه) على الشّكل التّالي:

س٢: بسم الله الرّحمن الرّحيم:

سماحة سيّدنا ومرجعنا المُفدّى آية الله العظمى السّيّد عليّ السّيستاني (دام ظلّه).

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

نُمي إلى أسماعنا أنّ بعض اليهود الصّهاينة قد دخلوا العراق بعد الاحتلال ويسعون في عمليّة منظّمة إلى شراء الفنادق والمراكز التّجاريّة والدّور وقطع الأراضي في بغداد والمحافظات ويبذلون بإزائها أسعارًا خياليّة فما هو حكم بيعها عليهم.. أفتونا مأجورين.

ج٢: باسمه تعالى:

لا يجوز البيع والثّمن سحت والله العالم(١).

٢ ـ مستقبل العراق للعراقيين:

كما وجّه إليه (دام ظلّه) السّؤال التّالي حول الاحتلال الأمريكي للعراق، وحول مستقبل العراق، وذلك على الشّكل الآتي:

س٣: ما هم موقفكم ورأيكم اتجاه التّواجد الأمريكي؟

ج٣: نشعر بقلق شديد اتجاه أهدافهم ونرى ضرورة أن يفسحوا بالمجال للعراقيين بأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم من دون تدخّل أجنبي.

---

(١) صحيفة السفير الصادرة في بيروت تموز ٢٠٠٣.

س٤: ما هو أكبر خطر وتهديد لمستقبل العراق؟

ج٤: خطر طمس هويّته الثّقافيّة الّتي من أهمّ ركائزها هو الدّين الإسلاميّ الحنيف.

٣ ـ الدّستور العراقيّ الجديد والانتخابات:

كما كان له (دام ظلّه) موقف مشهور من تبنّيه الرّأي العام العراقيّ لمنع قوّات الاحتلال من كتابة وإملاء الدّستور العراقيّ الجديد وذلك حتّى لا ترجع عقارب السّاعة إلى الوراء وحتّى لا تعود سياسة نوري السّعيد إلى بغداد بثياب أمريكيّة جديدة.

س٥: سماحة سيّدنا ومرجعنا المُفدّى آية الله العظمى السّيّد عليّ السّيستانيّ (دام ظلّه).

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أعلنت سلطات الاحتلال في العراق أنّها قرّرت تشكيل مجلس لكتابة الدّستور العراقيّ القادم، وأنّها ستعيّن أعضاء هذا المجلس بالمشاورة مع الجهات السّياسيّة الاجتماعيّة في البلد، ثمّ طرح الدّستور الّذي يقرّه المجلس للتّصويت عليه في استفتاء شعبيّ عام.

نرجو التّفضّل ببيان الموقف الشّرعيّ من هذا المشروع، وما يجب على المؤمنين أن يقوموا في قضيّة إعداد الدّستور العراقيّ.

ج٥: باسمه تعالى:

إنّ تلك السّلطات لا تتمتّع بأيّة صلاحيّة في تعيين أعضاء مجلس لكتابة الدّستور، كما لا ضمان أن يضع هذا المجلس دستورًا يطابق المصالح العليا للشّعب العراقيّ ويعبّر عن هويّته الوطنيّة الّتي من ركائزها الأساس الدّين الإسلاميّ الحنيف والقيم الاجتماعيّة النّبيلة، فالمشروع المذكور غير مقبول من أساسه، ولا بدّ أوّلاً من إجراء انتخابات عامّة

لكي يختار كلّ عراقيّ مؤهّل للانتخاب من يمثّله في مجلس تأسيسيّ لكتابة الدّستور، ثمّ يجري التّصويت العام على الدّستور الّذي يقرّه هذا المجلس، وعلى المؤمنين كافّة المطالبة بتحقيق هذا الأمر المهمّ والمساهمة في إنجازه على أحسن وجه. أخذ الله تبارك وتعالى بأيدي الجميع إلى ما فيه الخير والصّلاح.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته[١].

ح ـ الجهاد الجهاد:

وفي الختام قد يسأل بعض المؤمنين أين هذا الكلام كلّه من الأمر بالجهاد؟

أليس جهاد المحتلّ الأمريكي والإنكليزي وطرده من أرض الإسلام في العراق فرض عينيّ واجب على كلّ مسلم ومسلمة؟

ولماذا لم يقم الإمام السّيّد عليّ الحسينيّ السّيستانيّ (دام ظلّه) وسائر المراجع الأعلام في النّجف الأشرف بالإفتاء بالجهاد في أيّامنا هذه، كما سبق لهم أن أفتوا بالجهاد تحت راية الخلافة العثمانيّة للاحتلال البريطانيّ في العراق في أواخر عام ١٩١٤م؟

والجواب على ذلك يعرفه غالبية المسلمين من سُنّة وشيعة داخل العراق؛ إذ أنّ صدّام حسين وحزبه قد جاؤوا بالقطار الأمريكي لحكم العراق في ١٧ تمّوز ١٩٦٨م، كما صرّح بذلك عليّ صالح السّعديّ أحد مؤسّسي حزب البعث العراقيّ، ورجالاته الأوائل في العراق.

وما زال الأمريكيون يحتفظون بورقة صدّام حسين، وحتّى نهاية اللّعبة في أيّامنا هذه تمامًا كما فعلوا في عام ١٩٩١م، عندما انتفضت محافظة النّجف الأشرف وأربع عشرة محافظة أخرى في وجه النّظام

---

(١) المصدر السابق.

البائد طالبين الإصلاح والعدالة والمحافظة على حقوق الإنسان في العراق، ولا شيء غير ذلك. فما كان من قوّات التّحالف الأمريكيّ البريطانيّ آنذاك إلاّ أن تعاونت مع النّظام السّابق لسحق الشّعب العراقيّ ومقدّساته بالحديد والنّار حيث سقط خمسمائة ألف شهيد من الشّعب العراقيّ بسلاح الجيش العراقيّ وتحت أنظار قوّات التّحالف الآنفة الذّكر، والجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة، وجامعة الدّول العربيّة دون أن يتكلّم أحد بكلمة واحدة حول الظّلم والحيف اللاّحقين بالشّعب العراقيّ.

كما أنّ الحصار الاقتصاديّ للعراق كان إفقارًا للشّعب العراقيّ وتجويعه وتركيعه وجعل ما يقرب ٩٠٪ من هذا الشّعب يعيشون تحت الخطوط الحمراء للفقر والفاقة، وجعل أطفال العراق خلال تلك السّنوات العجاف عُرضة للمرض، والموت وغير ذلك من مآسٍ يطول الحديث عنها حدثت خلال ذلك الحصار المشؤوم!!!. لذلك كلّه ولغيره من أمور يعرفها المسلمون من سُنّة وشيعة في العراق، اختار الإمام السّيّد السّيستانيّ وسائر مراجعنا الأعلام في النّجف الأشرف الاهتداء بطريق النّبيّ ﷺ في مكّة قبل الهجرة، وهو طريق الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام والعترة الطّاهرة من ذريّته عليهم السلام، بعد مأساة كربلاء في العاشر من شهر محرّم لعام ٦١ للهجرة، وبالتّالي هو طريق ذات الشّوكة لإثبات الهويّة الثّقافيّة الإسلاميّة للإنسان العراقيّ المسلم في البدء، وحتّى لا يقع فريسة سهلة تحت إغراءات الإرساليّات التّبشيريّة في العراق، كما حدث في بعض مناطق كردستان العراقيّة. وبالتّالي للدّفاع عنها بالوسائل السّلميّة، وبعد استنفاذ جميع هذه الوسائل وفشلها لا سمح الله تعالى تكون فتوى الجهاد بالمرصاد للطّغاة.

وأمّا القياس ما بين نظام صدّام حسين، ونظام الخلافة الإسلاميّة في إسلامبول أيّام السّلطان محمّد رشاد في الحرب العالميّة الأولى، فهو قياس مع الفارق!!! ذلك لأنّ نظام الخلافة الإسلاميّة على الرّغم من

أخطائه، وهفواته كان نظامًا وطنيًا يُعبّر عن رغبة غالبيّة الشّعوب الإسلاميّة من تُرك، وعرب، وكُرد، وشركس، وألبان وغيرهم. وأمّا نظام صدّام حسين فقد أتى على قطار أمريكي في ١٧ تمّوز عام ١٩٦٨م كما عرفت ممّا تقدّم، ورحل بقطار أمريكي في ٩ نيسان ٢٠٠٣م إلى مزبلة التّأريخ ولعنة الأجيال. فالفتوى الشّرعيّة لا تكون بيانًا سياسيًّا للاستهلاك المحلّيّ، أو لامتصاص غضب النّاس، أو للمناورة، أو لاستحقاق سياسيّ، أو للاصطياد في المياه الضّحلة ونحو ذلك، وإنّما تكون نابعة من الفهم الصّحيح لكتاب الله تعالى ولسُنّة رسوله وخلفائه المعصومين من آل بيته (عليهم أفضل الصّلاة والسّلام)، ولدراسة الواقع على الأرض، وبعد التّشاور مع أهل التّقوى والاجتهاد من العلماء في النّجف الأشرف.

٥ ـ إثنتى عشرة حقيقة
يقدّمها المرجع الدّينيّ الكبير
السّيّد محمّد سعيد الحكيم في رسالته إلى الشّعب العراقيّ(*)

في رسالته الأخيرة الصّادرة في ١٢ ربيع أوّل عام ١٤٢٤هـ، الموافق ١٤ أيّار لعام ٢٠٠٣م، يقدّم سيّدنا الأستاذ آية الله العظمى السّيّد محمّد سعيد الحكيم، (دام ظلّه)، اثنتا عشرة حقيقة في الوحدة الإسلاميّة، وفي التّكافل الاجتماعيّ، وفي الصّبر والتّمسّك بالقيم والمُثل العليا للأخلاق. مُحرِّضًا فيها الشّعب العراقيّ على تحرير أنفسهم من الانخداع بالشّعارات البرّاقة، والسّير وراء الشّهوات الماديّة والحيوانيّة الّتي تسوّقها إليهم قوّات الاحتلال الأجنبيّة، وعلى السّلبيّة المطلقة اتجاه هذه القوّات الغازية.

أ ـ مع مواقف سيّدنا الأستاذ ومرجعيّته:

وسيّدنا الأستاذ آية الله العظمى السّيّد محمّد سعيد (دام ظلّه)، هو نجل آية الله السّيّد محمّد عليّ الطّباطبائيّ الحكيم (دام ظلّه)، والّذي تعود سلسلة نسبه الشّريف إلى الإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، كما أنّ والدته هي كريمة الإمام السّيّد محسن الطّباطبائيّ الحكيم (قده)، وهو بالتّالي أوّل سبط للإمام الحكيم

(*) عن مجلة «الوحدة الاسلامية» الصادرة عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان العدد: ٢٠ ـ تموز ٢٠٠٣.

(قده).. وُلِدَ (دام ظلّه) في مدينة النّجف الأشرف، في شهر ذي القعدة عام ١٣٥٤هـ الموافق لعام ١٩٣٤م، حيث حظي منذ نعومة أظافره برعاية والده وتدريسه له المقدّمات والسّطوح. كما درس قسمًا من هذه السّطوح على آية الله الشّيخ محمّد آل راضي (قده)، وآية الله السّيّد محمّد حسين الحكيم (قده)، كما تأثّر كثيرًا بسلوكيّة، وأخلاق والده، وخاله المُقدّس آية الله السّيّد يوسف الحكيم (قده)، وآية الله العظمى الشّيخ حسين الحلّيّ في الحياة. وأمّا دراسته لبحوث الخارج فكانت عند كبار علماء النّجف ومراجعها الأعلام ومنهم جدّه لأمّه الإمام السّيّد الحكيم (قده)، وآية الله العظمى الشّيخ حسين الحلّيّ (قده)، ـ والّذي اختصّ به ولازمه مدّة طويلة، وكتب بحوثه في الفقه والأصول ـ والإمام السّيّد أبو القاسم الموسويّ الخوئيّ (قده).

ونتيجة لمواقف سيّدنا الأستاذ (دام ظلّه) السّلبيّة اتجاه النّظام البائد في العراق. ونتيجة لمحافظته على الحوزة الدّينيّة في النّجف الأشرف، والابتعاد بها عن رغبات وتمنيات النّظام البعثيّ البائد، والسّير في ركابه، والوقوف على أبوابه، فقد تعرّض سماحته للسّجن والاعتقال لمدّة ثمانية سنوات من سنة ١٩٨٣ ولغاية سنة ١٩٩١م. وحكاية ذلك إنّه قد دُعي مع كبار العلماء الأعلام من السّادة الأشراف من آل الحكيم في النّجف الأشرف إلى حضور مؤتمر شعبيّ إسلاميّ من قبل النّظام السّابق كان الهدف منه إدانة مؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران الإمام السّيّد الخمينيّ (قده)، والجمهوريّة الإسلاميّة، والدّعوة لإيقاف الحرب واعتبار الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة هي الفئة الباغية وذلك في سنة ١٩٨٣م. وكان جوابه (دام ظلّه) مع آل الحكيم الكرام على لسان أستاذنا الشّهيد آية الله السّيّد عبد الصّاحب الحكيم (قده)، هو مقاطعة المؤتمر وقول يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣].

وبعد تلك المقاطعة للمؤتمر منه ومن آل الحكيم وسائر المراجع

الأعلام في النّجف الأشرف وفشل ذلك المؤتمر، اعتبر النّظام السابق في العراق أنّ الحوزة الدّينيّة قد وجّهت إليه صفعة كبرى، ونكسة إعلاميّة خطيرة أمام الرّأي العام الإسلاميّ والعالميّ، فقام بزجّ عشرات العلماء الأعلام في سجونه، كان نصيب سيّدنا الأستاذ (دام ظلّه) دخول تلك السّجون مع قرابة خمسين عالماً من آل الحكيم في ١٠/ ٥/ ١٩٨٣م وقد قضى منهم ثمانية عشر عالماً نحبه تحت سياط التّعذيب، اختارهم الله تعالى لجواره مع الشّهداء والصّديقين من آبائهم الطّاهرين وذلك في ٢٠/ ٥/ ١٩٨٣م، وفي عام ١٩٨٥م!!!

وبعد تلك السّنوات العجاف، وبتدخّل مباشر من منظمة العفو الدّوليّة، والإمام الخوئي (قده)، أفرج عن سيّدنا الأستاذ (دام ظلّه) في سنة ١٩٩١م مع كوكبة من العلماء الأعلام، والّذين كانوا في سجن أبو غريب دون سواهم، وقد بقي من آل الحكيم خمسة وعشرون عالماً في سجون طاغية العراق، فقدت آثارهم بعد سقوط صدّام ونظامه في التّاسع من شهر نيسان لعام ٢٠٠٣م، واعتبروا في ركب أولئك الشّهداء الطّاهرين.

ومرجعيّة سيّدنا الأستاذ (دام ظلّه) كانت بعد تلك السّنوات العجاف، وبعد أن قدّم للإسلام والمسلمين أكثر من عشرين كتاباً في علوم العقيدة، والفقه، والأصول، والتّربية والأخلاق.

وبعد أن طلب منه طلاّبه ومقلّدوه التّصدّي للمرجعيّة العامّة بعد وفاة الإمام الخوئي (قده) في سنة ١٩٩٢م.

قالت مجلّة الموسم عنه: «لقد كان سيّدنا (دام ظلّه) معقد آمال أساتذته مراجع الأمّة بالتّصدّي للزّعامة الدّينيّة لما عرف من قابلياته، وما امتاز به من قوّة الملكات العلميّة والرّوحيّة، ولتمرّسه في مهد المرجعيّة الكبرى لجدّه الإمام الرّاحل السّيّد الحكيم، خاصّة في إشرافه على إصدار الموسوعة الكبرى (مستمسك العروة الوثقى)، وبعد وفاة الإمام

الخوئي (قده) سنة ١٤١٢ للهجرة، طلب منه أعلام الحوزة العلميّة وبعض المؤمنين، التّصدّي للمرجعيّة والتّقليد، إلا أنّه رفض، نظراً لوجود المرجع الرّاحل السّيّد السّبزواري (قده)، والّذي توفي عام ١٤١٣ للهجرة. وبعد الإلحاح عليه طُبعت رسالته العلميّة (منهاج الصّالحين)، وأصبح من مراجع الدّين الّذين لهم مكانتهم على صعيد التّقليد والزعامة والتّدريس».

ب ـ الحقائق الإثنتي عشرة:

وهي حقائق في الوحدة، والاتّحاد، والتّكافل الاجتماعي، والتّمسّك بالمثل العليا للأخلاق، والسّلبيّة المطلقة مع قوّات الاحتلال الغازية، والّتي استخلصتها مع بعض التّصرّف في التّرتيب وبعض التّنسيق والكلمات، وهي:

أوّلاً: إنّ ما حدث في العراق من انهيار النّظام البائد نظام الظّلم والطّغيان، والغطرسة والاستهتار، والاستهوان بالقيم والإنسان كان مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨] ولقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤ و ٤٥].

ولكن الله ﷻ يُمهل ولا يُهمل، وهو للظّالمين بالمرصاد. حتّى إذا استكمل النّظام مدّته، واستوفى طعمته، انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته، ولم ينفعه مكره وحذره، ولا عدده وعدّته، فخذله أعوانه، وانقلب عليه أنصاره الّذين كانوا يدعمونه في حكمه، ويدفعونه لجرائمه، ويتغاضون عنها، ويعتمّون عليها، أو يبررونها من أجل أن يقضوا به مآربهم، ويستغلوه لتنفيذ مخطّطاتهم.

وهكذا سلّط الله على الظّالم ظالمًا أقوى منه وأشدّ بأسًا ونكالاً، شفى به صدور المظلومين وانتقم به لهم.

ثانيًا: وابتلاء منه ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وفتنةً ونكالاً في ذلك الابتلاء لذوي النّفوس المريضة، من أجل أن ينكشفوا على حقيقتهم، كما قال سبحانه: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

ثالثًا: إنّ النّظام السّابق بسلبيّاته الكثيرة، وجرائمه البشعة، ومدّته الطّويلة، قد أفرز سلبيّات كثيرة، وخلّف تركة ثقيلة، في هذا البلد المنكوب، جدير بأهله العزيزين علينا أن يحسنوا التّصرّف إزاءها ومن أهمّها الثّارات السّابقة والحقوق المهتضمة.

ونحن نحبّذ استئناف صفحة جديدة تنتهي على غضّ النّظر عمّا حصل سابقًا، وتناسي الماضي البغيض كما قال سبحانه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشّورى: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [النّور: ٢٢].

وفي الله تعالى عزاء عن كلّ هالك، وخلف من كلّ فائت، وعوض عن كلّ تالف، وهو أقدر على مجاراة الظّالم، والثّأر للمظلوم في الدّنيا والآخرة. مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ [الزّمر: ١٠].

ومن لم تطاوعه نفسه على ذلك، وأصرّ على استرجاع حقّه، أو

الأخذ بثأره، فعليه أن يتلبّث قليلاً وينتظر حتّى تستقرّ الأمور، وتهدأ النّفوس، ويستحكم النّظام العام في البلاد، ليتسنّى له ما يريد بالطّرق الطّبيعيّة والقانونيّة.

رابعًا: العراق ـ ككثير من البلاد ـ قد جمع طوائف مختلفة في الدّين والمذهب والقوميّات وغير ذلك من الانتماءات. وهذا أمر واقع، فرض نفسه علينا، يجب الاعتراف به، والتّعايش معه بالحكمة وحسن التّصرّف بنحو يجنّب الجميع المشاكل والمضاعفات الخطيرة الّتي تعزّزها الخلافات والمشاحنات.

ومهما بلغ الخلاف بين الفئات والطّوائف المذكورة شدّةً وحدّةً، فليس من الحكمة إلغاء بعضها لبعض وتجاهلها، والتّعدّي عليها وهضم حقّها، لأنّ ذلك ظلم للحقيقة ويكون ثغرة ينفذ منها الأعداء الّذين يتربّصون بالعراق وأهله الدّوائر، ويتصيّدون في الماء العكر.

ولنا في سيرة أئمتنا عليهم السلام خير مرشد نستضيء به في مسيرتنا ونعالج به مشاكلنا.

قال الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام: «عليكم بالصّلاة في المساجد، وحُسن الجوار للنّاس، وإقامة الشّهادة وحضور الجنائز، إنّه لا بدّ لكم من النّاس، إنّ أحدًا لا يستغني عن النّاس حياته. والنّاس لا بدّ لبعضهم من بعض» ص ٩ من رسالة السّيّد الحكيم.

خامسًا: على أنّ أكبر طائفتين في هذا البلد ـ الشّيعة والسُّنّة ـ بينهما من الأصول المشتركة في الدّين والعقيدة ما يلزم باحترام المال والدّمّ، ولهما من الأهداف المشتركة في الدّعوة إلى الله تعالى، ورفع كلمة الإسلام، ودفع الأعداء عنه، وغير ذلك، ما يلزمهما بتوحيد كلمتهما، وتناسي خلافاتهما، والتّعاون الجدّيّ بينهما من أجلها، خصوصًا في هذه الظروف الحرجة الّتي يمرّ بها الإسلام والمسلمون. وقد

أرجع في ذلك لمن أراد الاطّلاع على آرائه في الوحدة الإسلاميّة، والإخوّة بين أبناء هذه الأمّة إلى كتابيه (المرجعيّة وقضايا أخرى) و(في رحاب العقيدة).

سادسًا: والوحدة الإسلاميّة المطلوبة بين السُّنّة أو الشّيعة لم يقصد بها إلغاء خصوصيّات السُّنّة أو الشّيعة أو ذوبان السُّنّة بالمجتمع الشّيعيّ أو الشّيعة بالمجتمع السُّنّيّ إذ قال (دام ظلّه): «ليس من الطّائفيّة تمسّك كلّ فئة بما تختصّ به من عقائد وممارسات وشعائر، والتزامها بذلك، بل هو عبارة أخرى عن الالتزام بالدّين وتطبيقه عمليًّا والتّفاعل معه، وهو ما يريده الله ﷻ من أهل دينه ويؤكّد عليه ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحجّ: ٣٢].

وإنّما الطّائفيّة الممقوتة هي التّعدّي على الآخرين، وهضم حقوقهم، ومنعهم من ممارساتهم، وخنق حرياتهم فيها.

وكذلك الحال في التّعصّب العرقيّ أو غيره، فإنّه لا يكون بحبّ الإنسان لقومه، واهتمامه لصالحهم، وسعيه لخيرهم، بل التّعصّب الممقوت إنّما يكون بالتّعدّي على الآخرين وهضم حقّهم».

سابعًا: من المتوقّع في العراق في ظلّ الظّروف الرّاهنة تباين وجهات النّظر، وظهور الدّعوات المختلفة، والتّيّارات المتناقضة، والصّراعات الحادّة، وقد ظهرت فعلاً بوادر ذلك وشواهده.

فاللاّزم على كلّ طرف احترام وجهة نظر الآخرين، والتّعامل معها بعقلانيّة وحكمة، والاعتماد في الحوار على المنطق الهادئ الرّصين، وتجنّب العنف والتّهريج في ردّ وجهة النّظر الّتي يتبناها بعض الأطراف، حتّى لو فرض سوء الظّنّ بوجهة النّظر، وبأصحابها، وبالدّافعين إليها، حذرًا من ردود الفعل السّيّئة والمضاعفات الخطيرة، والّتي يصعب احتواؤها أو يتعذّر.

وأولى من ذلك الحذر من الاصطدام واللّجوء للقوّة خوفًا من فتنة تدوم تحرق الأخضر واليابس، وتدمر هذا البلد المنهوك.

قال الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الرفق لم يوضع على شيء إلاّ زانه ولا نُزع من شيء إلاّ شانه» ص ٩ من رسالة السّيّد الحكيم.

ثامنًا: عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام أنّه قال: «من عذر ظالمًا بظلمه سلّط الله عليه من يظلمه، فإن دعا لم يُستجب له، ولم يأجره على ظلامته».

وفي حديث له عليه السلام آخر قال: «العامل بالظّلم، والمعين له، والرّاضي به شركاء ثلاثتهم» ص ١٤ من رسالة السّيّد الحكيم.

ولعلّ من أهمّ أسباب طول مدّة النّظام السّابق، وشدّة وطأته، وعموم بليته، اندفاع كثير من النّاس معه في أوّل أمره، وتصديقهم لدعواه، وتبريرهم لجرائمه الّتي بدأ بها حكمه والحديث في ذلك طويل مهمّ.

والمهمّ فعلاً أن لا تتكرّر التّجربة، وأن يحذر النّاس من تصديق الظّلمة مهما كانوا، ولا يحاولوا تبرير ظلمهم، وخلق الأعذار لهم، فإنّ عواقب ذلك وخيمة جدًا.

فعلى العاقل الرّشيد أن ينتبه إلى ذلك، وإلى أنّ أيّام عمره رصيده الثّمين لنيل شرف الدّنيا والآخرة، فلا يتعجّل الأمور وينخدع بشعارات الظّلمة ويحسن الظّنّ بهم.

تاسعًا: قد كشفت الأحداث المتعاقبة على مدى قرن من الزّمان في بلاد المسلمين عمومًا وفي العراق خاصّة زيف شعارات الغرب، وتجلّى ذلك بنحو لا يقبل الشّكّ.

فقبل ما يقرب من تسعين عامًا دخل الاستعمار البريطاني العراق صريحًا، وأعلن الجنرال مود في بيان له، أنّهم دخلوا العراق محرّرين لا فاتحين، ورأى العراق منهم ومن أتباعهم وأذنابهم ونفوذهم ما رأى، إلى أن انتهى الأمر إلى حكم النّظام البائد التّعسفيّ بدعم مفضوح من الغرب، وأمام أعينهم وأقمارهم التّجسّسيّة، وقعت جميع مآسيه وجرائمه بحقّ الإنسان في العراق.

حتّى إذا انتهت مصالح الغرب من النّظام البائد دخلت قوّات التّحالف في هذه الأيّام للعراق وهي تدّعي التّحرير أيضًا، وتضرب على نفس الوتر بل لم تكلّف نفسها حفظ دماء العراقيين وأمنهم، وممتلكاتهم العامّة، وتراثهم العريق، وتهيئة حاجاتهم الضّروريّة من ماء وكهرباء ودواء.

وما ظهر من العراقيين عمومًا من عدم التّجاوب مع المحتلين والانكماش منهم أمر عظيم يشكرون عليه، وهو مورد فخر وإعزاز لهم، يتناسب مع وعيهم الفطريّ، ودينهم العظيم، وعراقتهم في الكرامة والإباء.

وعليهم أن يعمّقوا ذلك في نفوسهم وسلوكهم، ولا يدعوا للمحتل الأجنبي مجالاً للنّفوذ إلى قلوبهم وشعورهم، مهما سلك من طرق التّضليل والخداع والإغراء.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

تاسعًا: إنّ سياسة الانفتاح الّتي تتكرّر الوعود بها في هذه الأيّام من قبل الغُزاة هي في تهيئة أسباب الرّفاه، ومتع الحياة، والتّحلّل، والميوعة ونحو ذلك، ممّا يلهي النّاس عمّا يراد بهم، ويضعف فيهم روح الدّين والإيمان والكرامة، ويحطّم معنوياتهم، وهو أمر يخدم مصلحة المحتلين ويعمّق نفوذهم.

وإنّ من دواعي الفخر والاعتزاز ما نلمسه في العراقيين الكرام من توجّه ديني، واهتمام بالمزيد من الثّقافة الدّينيّة من منابعها الأصيلة، فعليهم أن يتمسّكوا بذلك، ويستزيدوا منه ويؤكّدوا علاقتهم بالله تعالى، والسّعيّ في مرضاته. فعلى الآباء والأمّهات وأولياء الأمور أن يعرفوا عظم المسؤوليّة الملقاة على عاتقهم، ويؤدّوا الأمانة في أفلاذ أكبادهم قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التّحريم: ٦].

عاشرًا: قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢].

فقد ترك النّظام البائد العراق، وقد أنهكه، وأنهك شعبه، لا سيّما وأنّ زواله كان بحرب مدمّرة قد أخذت بكثير من أبنائه، ونزفت منه ومنها جروحه.

وكلّما طال الأمد تعقّدت الأمور وحصلت المضاعفات وزادت المشاكل.

ومن ثمّ يتعيّن على أبناء العراق الغيارى أن يعرفوا عظم المسؤوليّة الملقاة على عاتقهم، والاهتمام بتدارك ما يمكن تداركه، وإصلاح ما يمكن إصلاحه من الخدمات، والمرافق العامّة، وتكافلهم فيما بينهم في الخدمات الخاصّة، بجبر كسيرهم، ومداواة مريضهم، وإغاثة ملهوفهم، وإعانة محتاجهم، وغير ذلك.

ولا يختصّ الأمر بأهل المال والقوّة والنّفوذ، بل يجري ذلك في حقّ كلّ أحد، حيث يكتفي أن يعينوا ولو بكلمة كلّ بحسب طاقته وعلى قدر ما يحسن.

إحدى عشرة: يخشى أن يكون هذا التّحوّل في العراق سببًا في

طرح مفاهيم ثقافيّة مستوردة لا تناسب ثقافتنا الإسلاميّة الأصيلة، ثمّ التّرويج لها من أجل مسخ شخصيتها، واكتساح هويتنا ـ كمسلمين متدينين ـ في جملة الضّغوط الّتي يواجهها الدّين والإسلام في الظّروف الرّاهنة.

وتتوجّه المسؤوليّة المباشرة في ذلك إلى الطّبقة المثقّفة الواعية، وخصوصًا التّربويين، حيث يجب عليهم دراسة المفاهيم الأصيلة والاطّلاع على الثّقافة الدّينيّة بالتّنسيق والتّعاون بينهم وبين رجال الحوزة العلميّة، ثمّ طرحها وترويجها والدّعوة لها، والاهتمام بتثقيف الجيل النّاشئ بها، وزرع الثّقة في نفوسهم بأصالتها ونقائها.

إثنتي عشرة: إنّ من رحمة الله تعالى لهذه الأمّة أن ترك رسول الله ﷺ، فينا الثّقلين وهما: كتاب الله تعالى، وعترته أهل بيته عليهم السلام، والّذين شبههم رسول الله في هذه الأمّة بسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوى، وغير ذلك من أحاديث في حقّهم عليهم السلام أخرجها أصحاب الصّحاح والكتب المعتبرة من السُّنّة والشّيعة. وقد بقي الأئمة من أهل البيت عليهم السلام مع شيعتهم ومحبيهم ما يزيد على ثلاثة قرون، يواصلونهم، ويقيمون معهم معالم دينهم في العقائد والفقه والسّلوك.

ولم يفارق الإمام المنتظر (عجّل الله تعالى فرجه) شيعته ومحبيه في غيبته الكبرى حتّى ترك لهم من تراث أسلافه الطّاهرين الّذي حفظه حملة الحديث ممّا تتضح به تلك المعالم وتقوم به الحجّة من الله تعالى عليهم، وعلى النّاس عامّة.

وبعناية الله تعالى، ورعايته عليه السلام بقي حملة ذلك التّراث الضّخم المأمونين يأخذونه ممّن سبقهم، ويؤدّونه إلى من بعدهم، في حلقاتٍ متواصلة، جيلاً بعد جيل، لتقوم به الحجّة في جميع العصور.

ومن ثمّ أرجع هو (عجّل الله تعالى فرجه) وآباؤه (صلوات الله

عليهم) من قبل الشّيعة لعلمائهم، وأمروهم بالأخذ عنهم، ولا تزال المعالم واضحة، والحجّة قائمة، بحمد الله تعالى.

وعلى المؤمنين سدّدهم الله تعالى أن يعرفوا أنّ الدّين مسؤوليّة عظمى من الله تعالى يجب الخروج عنها ببصيرة تامّة وأدلة معذرة. وذلك بالرّجوع إلى مصادر الدّين الأصيلة الّتي أقام الله بها الحجّة على العباد.

ولا يكفي في ذلك العواطف والانفعاليات، ولا العبارات المنمّقة والتّبريرات المزخرفة الّتي لا تستند إلى ركن وثيق. وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام: «إنّ من أخذ دينه من أفواه الرّجال صرفته الرّجال، ومن أخذ دينه من الكتاب والسُّنّة لم يصرفه شيء» ص ٢٨ من رسالة السّيّد الحكيم.

واعتقادنا بوجود الإمام المنصوب من قبل الله تعالى وأنّه مسدّد ومعصوم، ومقبول الشّفاعة عنده سبحانه مستجاب الدّعوة لديه. وهو كما قال عن نفسه: «وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فهو كالانتفاع بالشّمس إذ ظلّلها السّحاب» هو من نعم الله تعالى الكبرى علينا، وعلى المرجعيات الدّينيّة عبر تأريخها الطّويل، وفي استقلاليتها المادّيّة والسّياسيّة عن السّلطات الظّالمة.

وأهمّ شرط في المرجعيّة المذكورة ـ بعد العلم بالأحكام الشّرعيّة ـ هو تقوى الله تعالى، والبُعد عن الشّبهات، بحيث تكون موردًا للأمانة على أحكام الله سبحانه، وتجسيدًا حيًّا لدينه العظيم، الّذي هو أعزّ شيءٍ في ضمير الأمّة ومن أجل ذلك فإنّ هذه الأمّة تنظر إلى مراجعها نظرة الإجلال والإكبار والتّعظيم والتّقديس، وترتبط بهم برباط الحبّ والولاء.

وعلى ذلك فاللاّزم على المؤمنين سدّدهم الله تعالى التّأكيد على نزاهة المرجعيّة الدّينيّة، وقدسيتها، وواقعيتها، وإخلاصها، بعيدًا عن المنافع المادّيّة الأخرى، لتكون موضعًا للأمانة على أحكام الله تعالى،

والخروج عن المسؤوليّة معه جلّ شأنه يوم يقف العبد بين يديه، ويسأله عن دينه ممّن أخذه. ولأنّ طاعة هذه المرجعيّة الصالحة وتقليدها في أمور الدّين والدّنيا وفي جميع المسائل المستحدثة هو طاعة لأهل البيت عليهم السلام، ولإمام عصرنا (عجّل الله تعالى فرجه).

كما أنّ هناك حقائق أخرى تكلّم عنها سيّدنا الأستاذ (دام ظلّه) تتفرّع من الحقائق الآنفة الذّكر ويطول الحديث عنها ويصعب علينا إيجازها في هذه العجالة.

ج ـ عود على ذي بدء:

وخير ما نختم به حديثنا عن هذه الرّسالة المباركة للشّعب العراقيّ المظلوم هو تحذيره للنّاس من سياسة الغزاة اتجاه مسخ الشّخصيّة الإسلاميّة في العراق من خلال سياسة الانفتاح حيث قال: «... ففي الوقت الّذي تؤكّد فيه ـ تبعًا لتعاليم ديننا الحنيف ـ على أنّ من حقّ الإنسان أن يستغلّ متع الحياة وينعم بخيراتها، لكن لا على حساب الدّين والكرامة والشّخصيّة، فإنّ الإنسان أكرم على الله تعالى من أن يكون عبدًا لهواه وأسيرًا للذّته، كالبهيمة المربوطة همّها علفها، والسّائمة شغلها تقممها.

وإنّ من دواعي الفخر والاعتزاز ما نلمسه في العراقيين الكرام من توجّه دينيّ، واهتمام بالمزيد من الثّقافة الدّينيّة من منابعها الأصيلة، فعليهم أن يتمسّكوا بذلك، ويستزيدوا منه، ويؤكّدوا علاقتهم بالله تعالى، والسّعيّ في مرضاته، ولا يكون الانفتاح الموعود به سببًا في تضييعهم لما حصّلوه وتفريطهم به، فإنّ البلاء مع الدّين خير من الرّخاء بدونه.

وأمّا القياس ما بين نظام صدّام حسين، ونظام الخلافة الإسلاميّة في إسلامبول أيّام السّلطان محمّد رشاد في الحرب العالميّة الأولى، فهو قياس مع الفارق!!! ذلك لأنّ نظام الخلافة الإسلاميّة على الرّغم من

أخطائه، وهفواته كان نظامًا وطنيًّا يُعبّر عن رغبة غالبيّة الشّعوب الإسلاميّة من تُرك، وعرب، وكُرد، وشركس، وألبان وغيرهم. وأمّا نظام صدّام حسين فقد أتى على قطار أمريكي في ١٧ تمّوز عام ١٩٦٨م كما عرفت ممّا تقدّم، ورحل بقطار أمريكي في ٩ نيسان ٢٠٠٣م إلى مزبلة التّأريخ ولعنة الأجيال. فالفتوى الشّرعيّة لا تكون بيانًا سياسيًّا للاستهلاك المحلّيّ، أو لامتصاص غضب النّاس، أو للمناورة، أو لاستحقاق سياسيّ، أو للاصطياد في المياه الضّحلة ونحو ذلك، وإنّما تكون نابعة من الفهم الصّحيح لكتاب الله تعالى ولسُنّة رسوله وخلفائه المعصومين من آل بيته (عليهم أفضل الصّلاة والسّلام)، ولدراسة الواقع على الأرض، وبعد التّشاور مع أهل التّقوى والاجتهاد من العلماء في النّجف الأشرف[*].

(*) مراجع هذا البحث.

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ رسالة المرجع الديني الكبير السَّيِّد محمد سعيد الحكيم دام ظله، إلى الشعب العراقي العزيز الصادرة في النجف الاشرف في ١٢ ربيع الأول ١٤٢٤هـ.

٣ ـ نقلاً عن كتاب النجف الأشرف اسهامات في الحضارة الإنسانية، ج١ ص ٢٨٩ و ٢٩٠.

٤ ـ مجلة «الوحدة الإسلامية»، العدد ١٨ ـ ص: ٩ بتصرف.

٥ ـ المصدر نفسه، ص: ١١ بتصرف.

٦ ـ مقابلة شخصية مع أحد العلماء الأعلام من آل الحكيم في مكتب السَّيِّد الحكيم في بيروت ـ حارة حريك ـ في: ٢٠٠٣/٦/٣ بتصرف.

٦ ـ وصية آية الله العظمى السَّيِّد الخميني (قده) والوحدة الإسلاميّة(*)

أ ـ أسبوع الوحدة الإسلاميّة:

في أيام مولد رسول الله ﷺ في الثّاني عشر من شهر ربيع الأوّل ـ حسب رواية معظم مؤرّخي السّيرة النّبويّة الشّريفة من أهل السُّنّة ـ ، أو في السّابع عشر من شهر ربيع الأوّل ـ حسب رواية معظم مؤرّخي السّيرة النّبويّة الشّريفة من الشّيعة ـ ، ترجع بنا الذّاكرة إلى أسبوع الوحدة الإسلاميّة الّذي أعلنته الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران بأمر من الإمام السّيّد روح الله الموسويّ الخمينيّ (قده) في سنة ١٤٠٢هـ، كمناسبة وطنيّة لمدّة أسبوع يجتمع به جميع المسلمين على طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ، وعلى توحيد كلمتهم وجمع شملهم، ودراسة نقاط الضّعف ونقاط القوّة في حياتهم، والعناصر المشتركة في وحدتهم اتجاه ما يحيط بهم من مؤامرات ومخاطر، وكيفيّة تحرير القدس وفلسطين من رجس الصّهاينة وغير ذلك من قضايا.. وممّا ينبغي الإشارة إليه أنّ لأسبوع الوحدة الإسلاميّة خلال هذا التّأريخ ومن خلال الاحتفال به كلّ عام في أكثر من خمسين دولة من دول العالم من قبل علماء السُّنّة والشّيعة الفضل الكبير في إرساء قواعد الوحدة بين المسلمين، وفي محاربة

(*) عن مجلة «الوحدة الإسلامية» الصادرة عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان، العدد: ١٩ ـ حزيران ٢٠٠٣م.

النّعرات المذهبيّة بينهم، وبثّ الوعيّ بين المسلمين، وفي حقن دمائهم، والإصلاح بين ذات بينهم.

هذا وبعد مرور إثني وعشرين عاماً على إعلان أسبوع الوحدة الإسلاميّة، وعلى تأسيس تجمّع العلماء المسلمين من السُّنّة والشّيعة في لبنان ببركة الإمام الخمينيّ (قده) في الخامس عشر من شهر شعبان سنة ١٤٠٢هـ، لا بدّ لنا من إعادة قراءة وصيّة الإمام، وكلماته الخالدة حول الوحدة الإسلاميّة، وحول استمرار نهج الوحدة الإسلاميّة عند خليفته آية الله العظمى الإمام السّيّد عليّ الحسينيّ الخامنئيّ، (دام ظلّه).

كما سوف نتكلّم عن ذلك كلّه مستنيرين بوصيّة الإمام أيضاً وغيرها من كلماته (قده)، وعن السّنن المباركة الّتي أحياها (رحمه الله تعالى) في نفوس المسلمين في يوم البراءة من المشركين في موسم الحجّ، ويوم القدس العالميّ، وفي الحوزات والمعاهد الدّينيّة السُّنيّة والشّيعيّة، وفي يوم المستضعفين في الأرض. كما سوف نعرّج على بعض دروس الإمام ومحاضراته أيّام النجف الأشرف، وعلى دستور الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران.

ب ـ مع وصيّة الإمام الخمينيّ (قده):

قام الإمام السّيّد روح الله الموسويّ الخمينيّ (قده) بكتابة هذه الوصيّة المباركة في سنة ١٤٠٣هـ وبعدها بخمسة أعوام أجرى عليها تعديلاً طفيفاً، وقد فتحت لأوّل مرّة في اليوم التّالي لوفاته في مجلس الشّورى الإسلاميّ في طهران في الرّابع من شهر حزيران لسنة ١٩٨٩م، حيث قُرئت من قبل سماحة آية الله السّيّد الخامنئيّ (دام ظلّه)، رئيس الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران آنذاك، وقد استمرّ في قراءتها (حفظه الله تعالى) لمدّة ساعتين ونصف السّاعة، حيث تضمنت هذه الوصيّة الخالدة

على مقدمة من صفحات أتت بعدها الوصيّة في ٢٩ صفحة، ثمّ أربع ملاحظات في الصّفحة ٣٠.

وقد تضمنت هذه الوصيّة الخالدة أمر المسؤولين في الجمهوريّة الإسلاميّة، وطلاّب العلوم الدّينيّة، وعلماء الإسلام بتقوى الله تعالى، وخلاصة تجارب الإمام في الحياة، ونظرته إلى مستقبل الإسلام، والجمهوريّة الإسلاميّة في إيران من خلال وعد الله تعالى لعباده المستضعفين بإعطائهم الخلافة في الأرض.

وممّا جاء في تلك الوصيّة الخالدة في الوحدة الإسلاميّة، قوله (قده) في المقدّمة: «وما يجب أن أُذكّر به هو أنّ وصيّتي السّياسيّة الإلهيّة لا تختصّ بالشّعب الإيرانيّ المعظّم، بل وصيّتي إلى جميع الشّعوب المسلمة، والشّعوب المظلومة في العالم بمختلف قوميّاتها ومذاهبها»[1].

وممّا جاء فيها أيضاً: «وأنتم يا مستضعفي العالم، وأيّتها البلدان الإسلاميّة ويا مسلمي العالم، انهضوا واستعيدوا حقّكم بكلّ ما تملكونه من قوّة، ولا تهابوا ما تثيره القوى الكبرى وعملاؤها من ضجيج إعلاميّ، واطردوا من بلدانكم الحكّام المجرمين الّذين يقدّمون ثمرة كدحكم إلى أعدائكم وأعداء الإسلام العزيز، وأمسكوا أنتم والفئات المخلصة الملتزمة زمام الأمور، وانضووا جميعاً تحت راية الإسلام المشرّفة، وهبّوا للدّفاع أمام أعداء الإسلام بنظام جمهوريّ حرّ مستقل. فبتحقّق ذلك سوف تلقّمون مستكبري العالم حجراً. وعلى أمل تحقّق ذلك اليوم الّذي وعد به الله تعالى»[2].

---

(١) صحيفة الثورة الإسلامية. كتاب صادر عن المستشارية الثقافية للجمهورية الاسلامية الايرانية في بيروت، ص ٤٨.

(٢) المصدر السابق، ص: ٧٦ و ٧٧.

ج ـ الدّولة العثمانيّة والوحدة الإسلاميّة:

أيّام إقامة آية الّله العظمى السّيّد الخمينيّ (قده) في النّجف الأشرف في العراق ألقى على طلاّبه، من ١٣ ذي القعدة إلى أوّل ذي الحجة من سنة ١٣٨٩هـ، عدّة دروس فقهيّة حول ولاية الفقيه طبعت في ما بعد في كتاب تحت عنوان (الحكومة الإسلاميّة).

وممّا جاء في تلك الدّروس كلامه (قده) حول الدّولة العثمانيّة والوحدة الإسلاميّة، ومؤامرات الأعداء تجاهها. وممّا جاء في تلك الدّروس قوله (قده) تحت عنوان (ضرورة الوحدة الإسلاميّة): «ومن جهة أخرى فقد جزّأ الاستعمار وطننا، وحوّل المسلمين إلى شعوب. وعند ظهور الدّولة العثمانيّة كدولة موحّدة سعى المستعمرون في تفتيتها. لقد تحالف الرّوس والإنكليز وحلفائهم وحاربوا العثمانيين، ثمّ تقاسموا الغنائم كما تعلمون. ونحن لا ننكر أنّ أكثر حكّام الدّولة العثمانيّة كانت تنقصهم الكفاءة والجدارة والأهليّة، وبعضهم كان مليئاً بالفساد، وكثير منهم كانوا يحكمون النّاس حُكماً ملكياً مطلقاً. ومع ذلك كان المستعمرون يخشون أن يتسلّم بعض ذوي الصّلاح والأهليّة من النّاس وبمعونة النّاس منصّة قيادة الدّولة العثمانيّة على وحدتها وقدرتها وقوّتها وثرواتها، فيبدّد كلّ آمال الاستعماريين وأحلامهم، لهذا السّبب ما لبثت الحرب العالميّة الأولى أن انتهت حتّى قسّموا البلاد إلى دويلات كثيرة، وجعلوا على كلّ دويلة منها عميلاً لهم، ومع ذلك فقد خرج قسم من هذه الدّويلات بعد ذلك عن قبضة الاستعمار وعملائه، ونحن لا نملك الوسيلة إلى توحيد الأمّة الإسلاميّة وتحرير أراضيها من يد المستعمرين، وإسقاط الحكومات العميلة لهم إلاّ أن نسعى إلى إقامة حكومتنا الإسلاميّة، وهذه بدورها سوف تتكلّل أعمالها بالنّجاح يوم تتمكّن من تحطيم رؤوس الخيانة، وتدمّر الأوثان والأصنام البشريّة والطّواغيت الّتي تنشر الظّلم والفساد في الأرض».

تشكيل الحكومة إذن يرمي إلى الاحتفاظ بوحدة المسلمين، بعد تحقيقها، وقد ورد ذلك في خطبة السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام: «... وطاعتنا نظاماً للملّة، إمامتنا أماناً من الفرقة..»[1].

فالإمام (رحمه الله تعالى) يبيّن لطلاّبه ومريديه في النّجف الأشرف بشكل خاصّ، وفي العالم الإسلاميّ بشكل عامّ، أنّ انهيار الدّولة العثمانيّة وسقوطها في نهاية الحرب العالميّة الأولى سنة ١٩١٨م، كان نكسة كبرى لوحدة الشّعوب الإسلاميّة. وقد قامت النّجف الأشرف بمراجعها العظام، وعلمائها الأعلام في الإفتاء بوجوب الجهاد تحت الرّاية العثمانيّة في الحرب العالميّة الأولى ضدّ بريطانيا العظمى وحلفائها، وقيادة جيوش المتطوّعين ضدّ الحلفاء تقرّبًا إلى الله تعالى ولإعلاء كلمة الله، ولوحدة المسلمين تحت راية الدّولة العثمانيّة!!!.. وقد تكلّمنا عن ذلك في العدد الرّابع عشر من مجلّة الوحدة الإسلاميّة تحت عنوان (نظرة إلى النّجف الأشرف ودورها في مقاومة الاستعمار البريطانيّ في العراق) فراجع. فلا عجب إذن أن يتكلّم الإمام الخمينيّ (قده) بهذا الكلام في سنة ١٣٨٩هـ.

د ـ مع دستور الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران:

لو أردنا أن نقرأ دستور الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران لوجدنا أنّ الوحدة الإسلاميّة بين المذاهب الإسلاميّة قد جعلها المشرّع الإيرانيّ من القضايا الكبرى التي يجب على جميع المسؤولين المحافظة عليها ولا يجوز التّفريط بها أو التّسامح بها أبداً.

وممّا جاء في الفصل الأوّل من المادّة الحادية عشرة من الدّستور: «بحكم الآية الكريمة ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ

---

(١) الحكومة الإسلامية للامام والخميني، ص: ٣٤ و ٣٥.

﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ يعتبر المسلمون أمّة واحدة، وعلى حكومة جمهوريّة إيران الإسلاميّة إقامة كلّ سياستها العامّة على أساس تضامن الشّعوب الإسلاميّة ووحدتها، وأن تواصل سعيها من أجل تحقيق الاتّحاد السّياسيّ والإقتصاديّ والثّقافيّ في العالم الإسلاميّ».

كما جاء في المادة الثّانية عشرة: «والمذاهب الإسلاميّة الأخرى والّتي تضمّ المذهب الحنفيّ والشّافعيّ والمالكيّ والحنبليّ والزّيديّ فإنّها تتمتّع باحترام كامل، وأتباع هذه المذاهب أحرار في أداء مراسمها الإسلاميّة حسب فقههم، ولهذه المذاهب الاعتبار الرّسميّ في مسائل التّعليم والتّربية الإسلاميّة والأحوال الشّخصيّة (الزّواج والطّلاق والإرث والوصيّة) وما يتعلّق بها من دعاوى الأحكام.

وفي كلّ منطقة يتمتّع أتباع أحد هذه المذاهب بالأكثريّة، فإنّ الأحكام المحليّة لتلك المنطقة ـ في حدود صلاحيات مجالس الشّورى المحليّة ـ تكون وفق ذلك المذهب هذا مع الحفاظ على حقوق أتباع المذاهب الأخرى»[1].

هـ ـ البراءة من المشركين يوم الحجّ الأكبر:

انطلاقًا من قول الله تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التّوبة: ٣].

فقد طلب الإمام السّيّد روح الله الموسويّ الخمينيّ (قده) من مقلّديه من الحجّاج الإيرانيين وغيرهم وأيّام وجوده في النّجف الأشرف،

---

(١) راجع كتاب أسبوع الوحدة الإسلاميَّة الصادر عن المركز الثقافي الجمهورية الإسلاميّة الايرانيّة في دمشق، ص: ١٧ و ١٨.

وقبل إنتصار الثّورة الإسلاميّة الاستفادة من الاجتماع العظيم في الحجّ لإقامة سنّة البراءة من المشركين بشكل جماعيّ. فكان الحجّاج الإيرانيون في موسم الحجّ من كلّ عام يعلنون براءتهم من أمريكا وإسرائيل ومن صنيعتهما شاه إيران محمّد رضا بهلويّ. وبعد إنتصار الثّورة الإسلاميّة المباركة في إيران أمر الإمام الخمينيّ (قده) الحجّاج الإيرانيين إحياء هذه السُّنّة الإبراهيميّة المحمّديّة أيّ البراءة من المشركين، والدّعوة إلى وحدة الأمّة الإسلاميّة بوجه مؤامرات الاستكبار العالميّ بزعامة الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ودعم الثّورة الشّعبيّة في فلسطين. وكانت تلك المسيرات الشّعبيّة الّتي يقوم بها الحجّاج الإيرانيين وغيرهم في مكّة المكرمة فرصة مناسبة وعظيمة كلّ عام لإبراز هذه الوحدة العالميّة للأمّة الإسلاميّة.. وكان كلّ عام يصدر عن الإمام الخمينيّ (قده) بياناً عامّاً لحجّاج العالم الإسلاميّ في مكّة المكرمة يذكّرهم فيها بأيام الله تعالى وبوجوب وحدتهم، ووجوب البراءة من قوى الاستكبار العالميّ وعلى رأسها الولايات المتّحدة الأمريكيّة وإسرائيل وعملائهما في العالم الإسلاميّ ونحو ذلك من توجيهات، وقد تابع خليفته في ما بعد آية الله العظمى السّيّد عليّ الحسينيّ الخامنئيّ (دام ظلّه)، رعايته لحجّاج العالم الإسلاميّ ولمسيرة البراءة في كلّ عام وإصدار البيانات في تلك المناسبات المباركة.

وممّا جاء في كلمات الإمام الخمينيّ (قده) للحجّاج الإيرانيين: «أنتم تمثّلون شعبًا استطاعت ثورته الإسلاميّة الّتي ما زالت في ربيع عمرها، وهي تواجه أعتى المشاكل والمصاعب النّاجمة عن تصدّيها لقوّتين عظيمتين، ومواجهتها لمعسكري الشّرق والغرب مضافاً إلى ما تعانيه من تخريب الإرهابيين العملاء للجناحين الظّالمين. استطاعت ثورته هذه فقط وفقط ببركة الإسلام ونورانيته ومقاومة النّاس أن تهزّ الدّول الإسلاميّة في شرق الأرض وغربها، وتهزّ مظلومي العالم في جميع

الأرض وتلفتهم إلى الإسلام، واستطاعت أن توصل نداء الإسلام ـ وإن كان ضعيفاً ـ إلى أسماع هذه الدّنيا، وتجذب أنظارهم إليها. يا حجّاج بيت الله الحرام أنتم حملة رسالة هذا الشّعب وممثلو هذا البلد، ولهذا السّبب فإنّ موقعكم حسّاس جدًّا، وإنّ واجبكم لعظيم، والمرجو بإذن الله أن تجلبوا أنظار الجميع بسلوككم كما هو متوقّع وبخلقكم الإسلاميّ الثّوريّ وتكشفوا عن وجه ثورتكم الإسلاميّة كما هو إلى شعوب العالم، وتلفتوا انتباههم بتصرّفاتكم الودّيّة الأخويّة إلى الثّورة العظيمة الّتي حصلت في إيران، وتحبطوا بذلك ـ وبصورة عمليّة ـ الدّعايات المغرضة الفاسدة للأبواب الإعلاميّة، وفي هذه الصّورة تكونون قد أدّيتم حجّاً مبرورًا، وأجركم فيه مضاعف»[1].

فواجب حجّاج بيت الله الحرام في هذا المؤتمر الإلهي العظيم كلّ عام تأدية مناسكهم العباديّة، وبثّ الوعيّ السّياسيّ واليقظة بينهم، والبراءة من أعداء الله المتسلطين على خيرات بلادهم والسّعيّ لتحرير القدس وفلسطين من أيدي اليهود. وبذلك يتضاعف أجر الحجّاج وثوابهم عند الله تعالى.

ويقول (رحمه الله تعالى) أيضًا: «إنّ الطّواف حول بيت الله يعلّمكم وينذركم أن لا تطوفوا حول غير الله، وإنّ رجم الشّيطان رمز لرجم شياطين الإنس والجنّ.

حينما ترجمون الشّيطان عاهدوا ربّكم على طرد كلّ شياطين الإنس والقوة الكبرى من بلادكم الإسلاميّة العزيزة.

اعلموا أنّ العالم الإسلاميّ اليوم أسير بيد أمريكا.

---

(١) منهجية الثورة الإسلاميّة، مقتطفات من أفكار واداء الامام الخمينيّ (قده)، ص: ٤٥١ و ٤٥٢.

احملوا من ربّكم نداءً إلى المسلمين في كلّ قارات العالم، وذلك ألا يعبدوا أحدًا غير الله.

أيّها المسلمون في العالم ويا أتباع مبدأ التّوحيد إنّ سبب كلّ المشكلات في البلاد الإسلاميّة هو اختلاف الكلمة وعدم التّعاون، ورمز الانتصار هو وحدة الكلمة وإيجاد التّعاون. قال تعالى في جملة واحدة: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]»[١].

كذلك يقول (رحمه الله تعالى): «إنّ إثارة الخلافات بين المذاهب الإسلاميّة تعتبر من الخطط الإجراميّة الّتي تدبّرها القوة المستفيدة من الخلافات بين المسلمين، وبالتّعاون مع المنحرفين بمن فيهم وعاظ السّلاطين الّذين اسودّت وجوههم أكثر من سلاطين الجور أنفسهم، وهؤلاء يؤججون نيران هذه الخلافات باستمرار، ويرفعون كلّ يوم عقيرتهم بنعرة جديدة، آملين بذلك هدم صرح الوحدة بين المسلمين من أساسه»[٢].

و ـ يوم القدس العالمي:

إنّ مدينة القدس ومنزلتها الرّوحيّة عند جميع المسلمين موضع إجماع واتّفاق. إذ هي أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشّريفين، ومنطلق معراج نبينا محمّدﷺ إلى السّماء. وقد سقطت بأيدي اليهود في نكسة الخامس من شهر حزيران سنة ١٩٦٧م، ولا زالت بأيديهم لغاية تأريخه.

وقد عقد القادة والزّعماء العرب والمسلمون عشرات المؤتمرات والاجتماعات منذ ذلك التّأريخ ولغاية أيّامنا هذه استنكروا فيها اغتصاب

---

(١) مؤتمر الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخمينيّ (قده)، ص: ٤٣٦.

(٢) من نداء الإمام الخمينيّ بمناسبة الحج سنة ١٤٠١هـ. عن كتاب اسبوع الوحدة الإسلامية ـ المركز الثقافي للجمهورية الإسلاميّة الايرانيّة.

اليهود لمدينة القدس ولفلسطين. كما أقدم اليهود أيضًا على إيفاد بعثات للتّنقيب في صحن المسجد الأقصى بحثًا عن هيكل سليمان، وقد مهّد الصّهاينة لهذه المؤامرة بارتكابهم أفظع جريمة وذلك بإحراق المسجد الأقصى يوم ٢١ آب ١٩٦٩م. لم تؤثّر هذه الأعمال على أولئك الزّعماء إلاّ بعقد المزيد من المؤتمرات والّتي انبثق عنها لجنة القدس برئاسة العاهل المغربيّ الرّاحل الحسن الثّاني.

وفي تأريخ ٧/ ٨/ ١٩٧٩م، اقترح الإمام الخمينيّ (قده) في بيان وجّهه إلى مسلمي العالم، أن يكون آخر جمعة من شهر رمضان المبارك (يوم القدس) في البيان التّالي: «بسم الله الرحمن الرحيم. لقد نبّهت المسلمين ـ منذ سنين طويلة ـ بخطر إسرائيل الغاصبة الّتي شدّدت هجومها الوحشي على الإخوان والأخوات الفلسطينيين وخصوصًا في جنوب لبنان لغرض إبادة المناضلين الفلسطينيين حيث تنهال القنابل باستمرار على بيوتهم ومساكنهم.

إنّي أدعو عامّة المسلمين في العالم أن يعلنوا آخر جمعة من شهر رمضان المبارك الّذي يعتبر من أيّام القدر ويمكنه أن يلعب دورًا هامًا في مصير الشّعب الفلسطينيّ (يوم القدس) وأن يعلنوا ضمن مراسم هذا اليوم اتّحاد المسلمين بجميع طوائفهم في الدّفاع عن الحقوق القانونيّة للشّعب الفلسطينيّ المُسلم.

أسأل الله تعالى أن ينصر المسلمين على الكافرين
والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته
روح الله الموسويّ الخمينيّ»[١].

---

(١) منهجية الثورة الإسلاميّة مقتطفات من أفكار وأداء الإمام الخمينيّ (قده)، ص ٤٢٨.

لقد كان لهذا الإعلان الأثر الطّيّب في نفوس أبناء فلسطين في الدّاخل والخارج، وفي نفوس المسلمين في شتّى بقاع العالم، وفي توحيد كلمتهم اتجاه الاستكبار العالمي، والصّهيونيّة العالميّة.

وقد تابع خليفة الإمام الخمينيّ (قده) آية اللّه العظمى السّيّد عليّ الخامنئيّ، (دام ظلّه)، نهج الإمام الرّاحل في حثّ المسلمين على إحياء هذا اليوم المبارك في آخر جمعة من شهر رمضان في كلّ عام.

كما كان لهذا اليوم الأثر الكبير في إيقاظ الشّعب الفلسطينيّ في الدّاخل. وفي توحيد جهود المسلمين من سُنّة وشيعة نحو هذه القضيّة الكبرى ألا وهي تحرير أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشّريفين، وبالانتفاضات المتتالية والمتعاقبة للشّعب الفلسطينيّ المظلوم ضدّ الصّهاينة المغتصبين للقدس ولفلسطين.

إنّ المتتّبع للأحداث العالميّة يعجب كلّ العجب كيف تجاوبت الشّعوب الإسلاميّة بشكل عام والشّعب الفلسطينيّ بشكل خاصّ مع أطروحة الإمام الخمينيّ (قده) فقامت بإحياء هذا اليوم المبارك وفي صلاة آخر جمعة من شهر رمضان في المسجد الأقصى المبارك حيث يجتمع في هذه المناسبة أكثر من مائة ألف مصلّي هاتفين بتحرير القدس وكذلك أيضًا في أكثر من مائة بلد من بلاد العالم تجاوبًا مع هذا النّداء الشّريف.

ز ـ لو كان المسلمون مجتمعين لقضي على إسرائيل بالماء:

وعندما نعود إلى يوم القدس العالميّ وإلى خطابات الإمام الخمينيّ (قده) وبياناته (رحمه الله تعالى) نرى أنّه يضرب للنّاس الأمثال لتقريب قضيّة تحرير القدس وفلسطين إلى الأذهان. ومن هذه الأمثال قوله: «ثمّة موضوع أشعر بأنّه يشكّل لغزًا بالنّسبة لي، وهو أنّ جميع البلدان الإسلاميّة والشعوب المسلمة تعلم ما هي المشكلة، وتعلم أنّ يد

الأجنبيّ تريد زرع الفرقة بين صفوفها، وتشاهد أنّ نصيبها من هذه التّفرقة هو الضّعف أو الزّوال، وتشاهد أنّ دولة إسرائيل تقف بوجه المسلمين. ولو كان المسلمون مجتمعين وألقى كلّ واحد منهم دلوًا من الماء على إسرائيل لقضى عليها السّيل، ومع ذلك يقفون أذلاء أمامها. واللّغز أنّهم لماذا لا يلجأون إلى العلاج الحتميّ، والّذي هو اتّحادهم واتّفاقهم رغم علمهم بكلّ ذلك؟ لماذا لا يحبطون تلك المؤامرات الّتي يضعها المستعمرون من أجل إضعافهم؟ متّى ينبغي حلّ هذا اللّغز؟ ومن يتمكّن من حلّه؟ من المسؤول عن إحباط هذه المؤامرات سوى الحكومات الإسلاميّة والشّعوب المسلمة؟ هذا لغز لو وجدتم جوابًا وحلاً فاذكروه لنا»[1].

ح ـ يوم المستضعفين في الأرض وتجمُّع علماء المسلمين:

انطلاقًا من قول الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

فقد أعلن آية الله العظمى السّيّد روح الله الموسويّ الخمينيّ (قده) يوم الخامس عشر من شهر شعبان يومًا للمستضعفين في الأرض وذلك لأنّه يصادف يوم ميلاد الإمام المهديّ المنتظرعليه السلام وهو الإمام الثّاني عشر من أئمة أهل البيتعليهم السلام محمّد بن الحسن العسكريّ المولود في سامرّاء في الخامس عشر من شهر شعبان لسنة ٢٥٥ للهجرة.

هذا وقد أثبت علماء الإسلام من السُّنّة والشّيعة هذه العقيدة الإسلاميّة الهادفة لنصرة الإسلام والمستضعَفين في الأرض عبر مئات الكتب والمُصنّفات خلال أربعة عشر قرنًا ولم يخالف في هذه العقيدة إلاّ رجلين عبر هذا التّأريخ وهما: المؤرّخ العلاّمة ابن خلدون من القدماء، والأديب المصريّ الدّكتور أحمد أمين من المُحدثين. وخير من كتب في

(١) المصدر السابق.

هذا وناقش واستدلّ بأسلوب علميّ رصين هو أستاذنا الشّهيد السّعيد آية الله العظمى السّيّد محمّد السّيّد محمّد صادق الصّدر (قده) في موسوعته القيّمة عن الإمام المهدي فراجع.

وحتّى لا تكون هذه الذّكرى المباركة موقوفة على الشّيعة الإماميّة الإثنيّ عشريّة ولأنّ الأئمة الإثنيّ عشر من آل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) هم أئمة الوحدة الإسلاميّة، وحبل الله المتين الّذي أمرت الأمّة بالاعتصام به، فقد بارك الإمام السّيّد الخمينيّ (قده) تأسيس تجمّع العلماء المسلمين من السُّنّة والشّيعة في لبنان ليكون كوكبًا يستنير به علماء العالم الإسلاميّ في توحيد الكلمة، والاعتصام بكتاب الله تعالى وعترة نبيه محمّدﷺ وفي الجهاد ضدّ أعداء الله تعالى.

قال العلاّمة الشّيخ عليّ خازم عن تأريخ تأسيس هذا التّجمّع المبارك: «انعقد (مؤتمر المستضعفين) في طهران في النّصف من شعبان ١٤٠٢ هجريّة الأسبوع الأوّل من حزيران ١٩٨٢ بمشاركة وفد من لبنان، ضمّ عددًا كبيرًا من علماء المسلمين وقادتهم، ومجموعة هامّة من ممثلي الحركات الإسلاميّة، فيما كانت علامات حدث خطير على المستوى العسكريّ قد بدأت مع مغادرة الوفد الأخير حيث قامت الطّائرات الحربيّة الإسرائيليّة بالإغارة على المدينة الرّياضيّة في بيروت، وانكشفت الأيّام عن اجتياح لبنان بصورة ليس لها أيّ مثيل. وبينما تمّ التّعجيل في إنهاء المؤتمر، كانت أروقة فندق الاستقبال تشهد حركة غير عاديّة واجتماعات متلاحقة لمتابعة الموقف، صدر بيان وتشكّلت بمباركة من الإمام الخمينيّ (قده) هيئة علمائيّة ـ حركيّة استقرّت بعودة سريعة إلى بيروت، وبدأ عملاً ميدانيًا تجمّع العلماء المسلمين من السُّنّة والشّيعة في لبنان...»[1].

---

(١) تجمع العلماء المسلمين في لبنان تجربة ونموذجاً، للشيخ علي خازم. ص: ١٨.

وقد انطلق هذا التّجمّع من علماء السُّنّة والشّيعة في لبنان منذ ذلك التّاريخ وببركة صاحب الذّكرى (صلوات الله وسلامه عليه) بأعمال وحدويّة وفي إرساء الوحدة الإسلاميّة بين المسلمين في لبنان وفي تبنّي جميع طروحات الإمام الخمينيّ (قده) وخليفته آية اللّه العظمى السّيّد الخامنئي (دام ظلّه) في الوحدة الإسلاميّة، وفي الجهاد ضدّ إسرائيل، وفي مقاطعة البضائع الأمريكيّة والإسرائيليّة، وتحريم التّعامل مع إسرائيل، والإفتاء بجواز العمليات الاستشهاديّة ضدّ العدو الإسرائيليّ، وفي الإصلاح بين ذات البين في حرب المخيمات الّتي حدثت في لبنان بين الأخوة اللّبنانيين والفلسطينيين، وفي إسقاط اتّفاق ١٧ أيّار سنة ١٩٨٣م، وفي تقديم شهداء وأسرى ومعتقلين من أعضائه المؤسّسين في كفاحه ضدّ العدو الإسرائيليّ. ومن هؤلاء الشّهداء الأبرار: العلاّمة الشّهيد السّيّد عبّاس الموسويّ (قده)، والعلاّمة الشّهيد الشّيخ راغب حرب (قده)، ومن الأسرى في سجون إسرائيل العلاّمة المرحوم الشّيخ مُحرَّم العارفي، والعلاّمة الشّيخ محمّد قبيسي الّذي أُفرج عنه لاحقًا، والعلاّمة الشّيخ عبد الكريم عبيد الّذي أُفرج عنه أخيرًا مع زملائه من أحرار لبنان، والعرب في عُرس وطني لم يشهد له لبنان مثيلاً أو نظيرًا من قبلُ في استقبالهم في: ٢٩/١/٢٠٠٤م. وإلى غير ذلك من أعمال يطول الحديث عنها. وحسب هذا التّجمّع فخرًا أنّه أصبح المثل الصّالح والقدوة لجميع التّجمّعات العلمائيّة من السُّنّة والشّيعة والّتي أقيمت في ما بعد في كثير من البلاد والبقاع بمباركة المركز الرّئيس في بيروت.

ط. عود على ذي بدء:

وبعد هذا وذاك نرى أنّ وصيّة الإمام روح الله الموسويّ الخمينيّ (قده) لجميع المسلمين في الأخوّة والوحدة الإسلاميّة ما بين السُّنّة والشّيعة قد طبّقها (قده) على نفسه وعلى جميع المسؤولين في الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، إذ شعر علماء السُّنّة وأبناء المذاهب السُّنّيّة الأربع

في إيران بأبوّة الإمام الخميني (قده) لهم، وبرعايته الدّائمة لهم، ولقراهم ومدنهم المحرومة، ولمعاهدهم وحوزاتهم الدّينيّة، وتفقّده الدّائم لأيتامهم وفقرائهم ومساكينهم. وإنشاء محاكم شرعيّة خاصّة بمذاهبهم الفقهيّة، ومشاركتهم في جميع مؤسّسات الجمهوريّة الإسلاميّة داخل إيران وخارجها دون تمييز أو تفرقة بينهم وبين إخوانهم الشّيعة. وغير ذلك ممّا يطول ذكره. وقد شعر جميع علماء السُّنّة ووفودهم الّتي زارت الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، بالأخوّة والمحبّة والتّكريم والاحترام، وكذلك بعثاتها الدّبلوماسيّة والثّقافيّة خارج إيران.. وما هذا وذاك لعَمري إلاّ لروح الاستقامة والصّدق اللّتين زرعهما الإمام الخمينيّ (قده) في نفوس المسؤولين في الجمهوريّة الإسلاميّة كما أشار إلى هذا القائد السّيّد عليّ الحسينيّ الخامنئيّ، (دام ظلّه).

٧ ـ مع آية اللّه العظمى السّيّد عليّ الحسينيّ الخامنئيّ دام ظلّه(*):

لقد قام آية اللّه العظمى السّيّد عليّ الحسينيّ الخامنئيّ (دام ظلّه) منذ انتخابه قائدًا ومرشدًا أعلى للجمهوريّة الإسلاميّة في إيران في الرّابع من شهر حزيران سنة ١٩٨٩م ولغاية تاريخه بالمحافظة على نهج أستاذه الأكبر الإمام السّيّد روح الله الموسويّ الخمينيّ (قده) في رعاية وحفظ مؤسّسات الجمهوريّة الإسلاميّة، وفي المحافظة على السُّنن المباركة الّتي أحياها الإمام الرّاحل في إيران وسائر البلاد الإسلاميّة والّتي من شأنها توحيد كلمة المسلمين من السُّنّة والشّيعة وإعلاء شأنهم بين الأمم، وقد تقدّم الحديث عنها آنفًا ضمن العناوين التّالية:

١ ـ إحياء أسبوع الوحدة الإسلاميّة من ١٢ ربيع الأوّل إلى ١٧ منه في كلّ عام.

٢ ـ إحياء شعيرة البراءة من المشركين في موسم الحجّ وعقد مؤتمرات ولقاءات مع جميع بعثات الدّول الإسلاميّة والجاليات الإسلاميّة من البلاد الأخرى في رحاب مكّة المكرمة.

٣ ـ في إحياء يوم القدس العالميّ وفي صلاة يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان في كلّ عام.

(*) عن مجلّة «الوحدة الإسلامية» الصادرة عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان، العدد ١٩، حزيران ٢٠٠٣م، وهو مقتطف من المقال السابق مع بعض التصحيح.

٤ ـ المحافظة على الحوزات والمعاهد الدّينيّة في إيران وخارجها، وإفشاء روح الأخوّة الإسلاميّة بين الأساتذة والطّلاّب من السُّنّة والشّيعة ومساعدتهم معنويًّا وماديًّا للوقوف في وجه التّيارات الإلحادية والطّائفية والمذهبية والّتي يثير رياحها الاستكبار العالميّ والصّهيونيّة العالميّة.

٥ ـ إحياء يوم المستضعفين في الأرض في الخامس عشر من شهر شعبان من كلّ عام ورعاية جميع التّجمّعات واللّقاءات والمؤتمرات العلمائيّة الهادفة للإصلاح ما بين ذات البين، ولتوحيد الكلمة ما بين السُّنّة والشّيعة.

كما شملت رعاية آية الّله العظمى السّيّد الخامنئيّ لجميع المؤسّسات الثّقافيّة والفنيّة والخيريّة الأخرى الّتي أُنشئت أيّام الإمام الخمينيّ (قده) وإلى غيرها من أعمال جديدة دعت إليها المصلحة الإسلاميّة العليا.

كما كان ولا زال (حفظه الله تعالى) يُذكّر النّاس دائمًا وفي جميع المناسبات بأقوال الإمام الرّاحل وبآرائه الرّشيدة، وسوف نورد بعض كلماته في ما تقدّم والّتي يلخّص فيها خطّ الإمام الخمينيّ في الحياة وهو الصّدق والاستقامة حيث قال (دام ظلّه): «ونحن عندما نؤكّد مرارًا على طريق الإمام، وخطّ الإمام علينا أن نسأل أنفسنا ما هو خطّ الإمام هذا؟

إذا قلنا إنّ خطّ الإمام هو الإسلام والثّورة فإنّنا نكون قد أطلقنا حكمًا عامًّا، فمن المعلوم أنّ خطّ الإمام هو الإسلام، والثّورة، ولا يوجد أيّ شخص يعارض الإسلام والثّورة، بل إنّ ما يستطيع أن يحقّق ويؤمن هذا الرّجل العظيم الّذي هو أبو الثّورة وباني إيران الإسلام، هو هذه الاستقامة الّتي أظهرها هذا الرّجل العظيم في سلوكه، ولم يتنازل أمام العدو، ولم يخشَ العدو، ولم تزعزعه التّهديدات، ولا يستطيع أيّ

شخص أن يتّهم الإمام العظيم بأنّ ما قام به كان يتناقض مع التّبرير الصّحيح، فجميع عقلاء العالم يدركون إذا ما نظروا بدقّة وحلّلوا بتعمّق أنّ الطّريق الصّحيح هو ذاته الطّريق الّذي سلكه الإمام، الطّريق الموصل إلى أهدافه هو نفسه الطّريق، وكلّ شخص يسعى إلى تحقيق هذا الهدف فإنّ طريقه هو نفسه الّذي سلكه الإمام»[١].

فآية الّله العظمى القائد السّيّد الخامنئيّ (دام ظلّه) يلخّص خطّ الإمام (رحمه الله تعالى) بالاستقامة المطلوبة شرعًا وعقلاً من كلّ مُسلم، وعالم دينيّ، ومسؤول في مؤسّسات الجمهوريّة الإسلاميّة فبدون هذه الاستقامة الّتي أساسها الصّدق مع النّفس ومع الله تعالى، لا نستطيع أن نسير على خطّ الإمام الخمينيّ (قده) وننفّذ وصيّته في الأخوّة والوحدة الإسلاميّة وسائر مكارم الأخلاق.

(١) خطاب القائد السَّيِّد الخامنئي (دام ظله) الوحدة الإعلامية لحزب الّله بيروت، ص ٥٩.

٨ ـ آية الله العظمى
السّيّد فضل الله والوحدة الإسلاميّة(*)

يعتبر المرجع الدّينيّ آية الله العظمى السّيّد محمّد حسين فضل الله (دام ظلّه) واحدًا من أبرز قادة الفكر الإسلاميّ الوحدويّ في عصرنا هذا، وعلمًا من العلماء المجاهدين الّذين تصدّوا للفكر الماركسي والمدّ الشّيوعيّ في العراق وذلك إلى جانب إخوانه جماعة العلماء في النّجف الأشرف عام ١٩٥٨م، وللاجتياح الإسرائيلي للبنان عاميّ ١٩٧٨م و١٩٨٢م، كما يُعدّ من أبرز القادة الرّاعين للمقاومة الإسلاميّة، وضدّ الاجتياح الإسرائيلي للبنان، ونتيجة لمواقفه هذه فقد تعرّض سماحته لعدّة محاولات اغتيال من قبل العدو الإسرائيليّ وعملائه في لبنان كان أهمّها انفجار مجزرة بئر العبد عام ١٩٨٤م.

وهو من أبرز العلماء الأعلام المؤيّدين لنهضة الإمام السّيّد روح الله الموسويّ الخمينيّ (قده) ولأطروحته السّياسيّة منذ فجر ١٥ خرداد عام ١٩٦٣م، ولغاية أيّامنا هذه، والّتي كان من أهمّ نتائجها: تأسيس الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران عام ١٩٧٩م، ودعمه الجمهوريّة الإسلاميّة في طروحاتها الوحدويّة، وفي تصدّيها للحرب العدوانيّة الّتي شنّتها

(*) نقلاً عن كتابنا «الوحدة الإسلامية في مواجهة التحديات النجف الأشرف نموذجاً»، الصادر عن دار المنهل اللبنانيّ ببيروت. الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، من ص: ١٨٤ ولغاية ص: ١٩٩.

القوى الإمبرياليّة العالميّة بواسطة صدّام حسين وللمخطّطات العدوانيّة الأمريكيّة، كما كان له الدّور الأبرز في مقاطعة البضائع الأمريكيّة، وفي مواقف كثيرة أخرى مؤيّدة للجمهوريّة الإسلاميّة.

وعلى الصّعيدين الاجتماعيّ والتّربويّ يعدّ صاحب السّماحة من أبرز مراجعنا الأعلام في العالم العربيّ الّذين اهتمّوا بإنشاء مؤسّسات فكريّة، وثقافيّة، واجتماعيّة، ودينيّة، في لبنان وسوريا والعراق ودول الخليج إضافة إلى نشاطه اتجاه الجاليات الإسلاميّة في أمريكا الشماليّة والوسطى والجنوبيّة، سواء على صعيد التّوجيه والمتابعة أو بإرسال بعثات من قبله لرعاية شؤون الجاليات اللّبنانيّة والإسلاميّة المقيمة في تلك البلاد.

كما كان لسماحته (دام ظلّه) مواقف وفتاوى علميّة كثيرة لم يسبقه لها أيّ فقيه في عصرنا هذا، كالإفتاء بقضيّة ثبوت الهلال استنادًا لأقوال الفلكيين، وفي طهارة جميع النّاس دون استثناء أحد، وطهارة الخمرة وغير ذلك، والحديث عن هذه الموارد يحتاج إلى تصنيف كتاب خاصّ بهذا. وقد صُنّف في الرّدّ على مواقف سماحته وفتاويه عدّة كتب طُبعت في قُم، وفي بيروت كان أفضلها على الإطلاق في الدّفاع عنه ما كتبه العلاّمة الشّيخ جعفر الشّاخوريّ البحرانيّ في كتابه (مرجعيّة المرحلة وغبار التّغيير) والّذي يعنينا في مقالتنا هذه هو مواقفه (دام ظلّه) اتجاه الوحدة الإسلاميّة والّتي جُمع معظمها في كتابه (أحاديث في قضايا الاختلاف والوحدة) وقبل الحديث عن هذا لا بدّ من وقفة قصيرة عن سيرة حياته كما أوردها العلاّمة الدّكتور الشّيخ محمّد هادي الأمينيّ (قده) في كتابه (معجم رجال الفكر والأدب في النّجف الأشرف خلال ألف عام).

أ ـ نبذة عن حياته:

قال العلاّمة الشّيخ الأمينيّ (قده): «محمّد حسين ابن السّيّد عبد الرّؤوف ابن السّيّد نجيب الدّين ولد ١٣٥٤/ ١٩٣٥.

عالم فاضل مجتهد مفسّر، أديب شاعر كاتب متتّبع في الفقه والأصول، مع مرونة فكريّة في التّحقيق، مؤلّف مكثر وأديب موهوب له قابليّة فذّة، واستعداد فائق، إذ أنّه يملك ذكاءً مفرطًا وحسًّا مرهفًا، وعاطفة جيّاشة، وُلد في النّجف الأشرف وقرأ على أبيه، فلقّنه مقدّمات العلوم من نحو وصرف ومعاني وبيان ومنطق وفقه وأصول، وعلى صغر سنّه أخذ يختلف على حلقات دروس المشايخ، وحضر على الشّيخ حسين الحلّيّ، والسّيّد محمود الشّاهروديّ، والسّيّد الحكيم، والسّيّد الخوئيّ، والشّيخ ملاّ صدرا البادكوبي. وكان زميلي منذ الصّغر تربطني به أواصر الجوار والصّداقة، واختلاف الشّيخ الأمينيّ (الوالد المعظّم) إلى أبيه.

غادر النّجف بصحبة والده الحجّة الفقيه في ١٣٨٥هـ وتوجّه إلى لبنان، وأقام في بيروت، وبعد وفاة والده تصدّى للإمامة والجماعة، والقضايا الشّرعيّة والتّدريس، ولم يزل على منهاجه الحوزويّ العلميّ من التّدريس والبحث، إلى جانب تشييد مشاريع خيريّة عامّة للمساكين والمعوزين والفقراء، وحلّ المشاكل الإجتماعيّة والفرديّة والسّياسيّة، والحفاظ على توحيد الصّفوف ووحدة الكلمة.

أولاده: العالم الحقوقيّ السّيّد عليّ، المهندس السّيّد أحمد، السّيّد إبراهيم، السّيّد نجيب، السّيّد جعفر، السّيّد عبّاس، السّيّد بلال.

مؤلّفاته المطبوعة: من وحي القرآن (تفسير) ١ ـ ٢٥، الدّين بين الأخلاق والقانون، الحوار في القرآن، الإسلام ومنطق القوّة، خطوات على طريق الإسلام، الحركة الإسلاميّة هموم وقضايا، مفاهيم إسلاميّة ١ ـ ١٠، رسالة التّآخي ١ ـ ٤، من أجل الإسلام، قضايانا على ضوء الإسلام، دور المرأة الرّساليّ، بحوث في الوحدة الإسلاميّة، أسلوب الدّعوة في القرآن، قصائد للإسلام والحياة، يا ظلال الإسلام

(رباعيات)، على شاطئ الوجدان»[1].

واستدراكنا على هذه التّرجمة هي أنّ عودة المُقدّس الفقيه السّيّد عبد الرّؤوف (قده) إلى بنت جبيل كانت في عام ١٣٧٥هـ الموافق لعام ١٩٥٥م، وعودة سماحة السّيّد (دام ظلّه) إلى برج حمود كانت في عام ١٩٦٦م. ولم تكن عودتهما في عام واحد كما ورد في هذه التّرجمة!!!

كما كان تصدّيه للإمامة وسائر الأمور الشّرعيّة في عام ١٩٦٦م فور عودته إلى لبنان وليس بعد وفاة المرحوم والده والّتي كانت في عام ١٩٨٤م!!!

هذا وقد اتّخذت من مجموعة محاضراته وكلماته ومقالاته الّتي جمعها الأستاذ نجيب نور الدّين في كتاب (أحاديث في قضايا الاختلاف والوحدة) أنموذجًا لبعض النّقاط الّتي سوف أفردها تحت العناوين التّالية.

ب ـ الإنسان الوحدويّ أوّلاً:

من محاضرة لسماحته في كليّة الحقوق في الجامعة اللّبنانيّة الفرع الأوّل في بيروت في ١٩ كانون أوّل ١٩٨٣م تحت عنوان «هموم وقضايا مستقبليّة في مسألة الوحدة الإسلاميّة» ركّز فيها على أنّ المطلوب في الطّروحات الوحدويّة هو الإنسان الوحدويّ أوّلاً وذلك قبل أن نبحث عن أيّ قضيّة أخرى حيث قال: «فالمهمّ أن يكون الإنسان واحدًا في ذاته وفكره ومشاعره وتطلّعاته وآماله وأحلامه، وأن يكون مؤمنًا بالوحدة وعاملاً لها، وإلاّ فإنّ الفشل يكون حتميًّا، مهما كانت المشاريع كبيرة ومهما كانت الخطط شاملة لأنّ المطلوب هو الإنسان الوحدويّ الّذي يسعى للبحث عن نقاط اللّقاء.

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النّجف الأشرف خلال ألف عام، للدكتور الشيخ الامينيّ (قده)، ص: ٩٤٣.

وأمّا الإنسان الآخر الّذي يركّز على مواطن الخلاف فإنّه يحوّل جميع مشاريع الوحدة إلى فرصة لإثارة بذور الخلاف أو لتعقيد الخلافات السّابقة.

إنّ الإنسان الّذي يعيش الوحدة هو الّذي يحترم خصوصيّة صاحبه كما يريد من صاحبه أن يحترم خصوصيّته. عندما تكون وحدويًّا، فإنّ عليك أن تفتح المجال لتحمي حريّة صاحبك بأن يقول ما يشاء، لأنّ الآخر إذا استطاع أن يأخذ حريّته في أن يعبّر عن فكره بصراحة.. فمعنى ذلك أنّك تستطيع مناقشة آرائه، كما يستطيع هو مناقشة آرائك، لا أن تحجب حريّته عنه ويحجب حريّتك عنك، وبعد ذلك تختبئان في زاوية المجاملة، وتنتهي القضيّة بنقطة مقابل نقطة، أو أكثر من ذلك، ويتفرّق بعدها المتفرّجون، ويرجع كلّ لاعب إلى مكانه»[١].

ج ـ هل نحن قرآنيون؟

من كلمة ألقاها سماحته في مؤتمر (تحدّيات الوحدة الإسلاميّة) الّذي نظّمه تجمّع العلماء المسلمين في ذكرى ولادة الرّسول الأكرمﷺ جاء فيها ما يلي: «لماذا يقبل الكفر الآخر بكلّ تنوّعاته السّياسيّة والفكريّة، ونحن لا نقبل الآخر حتّى ولو كان مسلمًا؟.. إنّ الإسلام قبل الآخر غير المسلم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]، اعترف بوجوده وتعايش معه ونظم العلاقات الموضوعيّة الإنسانيّة معه، سواء كانت علاقات معاهدة أو ذمّة أو ما إلى ذلك.. ولكنّنا لا نعترف بالآخر.

ونحن كمسلمين لا نقبل الآخر، السُّنّي لا يقبل الشّيعيّ، والشّيعيّ لا يقبل السُّنّيّ، حتّى لو تحدثنا في الهواء الطّلق بالوحدة الإسلاميّة،

---

(١) أحاديث في قضايا الإختلاف والوحدة، ص: ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ بتصرف.

لكنّهم ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ أيّ شياطين الطّائفيّة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، ألا نقول ذلك لبعضنا بعضًا؟ ألا نقول ذلك وراء الكواليس؟

الوحدة الإسلاميّة وحدة روحيّة قبل أن تكون مشروعًا، وهي روحيّة ترتبط بالوجدان الإسلاميّ الّذي يجعل المسلمين يشعرون بالقضايا الإسلاميّة الثّقافيّة ليقفوا من أجل حماية الإسلام الثّقافيّ في الأصول الأساسيّة للعقيدة، وليقفوا من أجل حماية الخطوط الإسلاميّة في الشّريعة أمام الّذين ينتقدونها، وليساند المسلمون قضايا المسلمين الحيويّة، سواء كانت محليّة أو إقليميّة أو عالميّة.

إنّ أسلوب الحوار في الإسلام لم يتقدّمه أسلوب في إنسانيته وفي موضوعيته، ولن يتقدّمه أسلوب، لأنّه في نهاية المطاف يتمثّل في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] قالها الله تعالى على لسان رسوله وهو الّذي جاء بالصّدق وصدّق به.

هذا كلام القرآن، فهل نحن قرآنيون في هذا المستوى؟ هذه مسألة تتّصل بالأخلاقيّة الإسلاميّة، في الخطّ الثّقافيّ الّذي نريد أن نقابل به العالم في مضمون الفكرة وفي أسلوبها وفي أسلوب الحوار، فهل نحن في هذا الخطّ؟

كلّنا نعرف أنّ الوحدة من الممنوعات الاستكباريّة، وأنّ الوحدة بين المسلمين هي من الممنوعات الكافرة سواء كانت تبشيريّة أم غير تبشيريّة.

إذا كنّا نعرف أنّ القوم يمنعون الوحدة من أجل أن يبقى العالم الإسلاميّ خاضعًا لاقتصادهم وسياستهم وأمنهم وثقافتهم، وإذا كنّا نعرف أنّ الكفر يعمل على أن يخترق بلدان المسلمين كأندونيسيا وماليزيا وأفريقيا وغيرها... من أجل أن يبعد المسلمين عن الإسلام إذا لم يستطع

أن يدخلهم في غيره، إذا كنّا نعرف ذلك أنّ الطّريق إلى هذا لا يمكن أن يمرّ بالتّعصّب المذهبيّ، ولا يمكن أن يمر بالشّخصيات الحركيّة، ولا يمكن أن يمرّ بعبادة الشّخصيّة، إذا كنّا نعرف ذلك فماذا ننتظر؟ هل ننتظر أن يأتي من المرّيخ أو غيره من يُخلّصنا من هذا ونحن نملك الأدوات ونملك الوسائل ونملك القاعدة؟»[1].

د ـ الوحدة الإسلاميّة في خطّ أهل البيت عليهم السلام:

ومن مقالة لسماحته تحت هذا العنوان في العدد الأوّل السّنة الأولى من مجلّة (رسالة الثّقلين) الصّادرة في قمّ المقدّسة عام ١٩٩٢ أكّد فيها سماحته على الاقتداء بخطّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الوحدة الإسلاميّة حيث قدّم عليه السلام مصلحة الإسلام على أيّ مصلحة أخرى مستشهدًا بكتابه عليه السلام الّذي وجّهه إلى أهل مصر مع واليه مالك بن الحارث الأشتر لمّا ولاّه إمارتها: «أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه بعث محمّدًا صلى الله عليه وآله نذيرًا للعالمين، ومُهيمنًا على المرسلين، فلمّا مضى عليه السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يُلقى في روعي ولا يخطر ببالي، أنّ العرب تُزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنّهم مُنَحّوهُ عنّي من بعده! فما راعني إلاّ انثيال النّاس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتّى رأيت راجعة النّاس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمّد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلمًا أو هدمًا، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم الّتي إنّما هي متاع أيّام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السّراب، أو كما يتقشّع السّحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتّى زاح الباطل وزهق، واطمأنّ الدّين وتنهنه»[2].

---

(١) المصدر السابق، ص: ٢٣٩، ٢٤٠ بتصرف.

(٢) نهج البلاغة والمعجم المفهرس لألفاظه، الكتاب ٦٢، ص: ٢١٦، ٢١٧.

وهذا ما فعله الإمام عليّ عليه السلام عندما نهض بمسؤوليته وابتعد عن الموقف السّلبيّ، فتحوّل إلى الموقف الإيجابيّ، وتحدّى الواقع المضاد والقوى المضادة المتحرّكة في ساحته، حتّى انزاح الباطل واطمأنّ الدّين. وعندما نتوقف عند التّفاصيل فإنّنا نجد الإمام عليه السلام يُعنى بحلّ المشاكل الفكريّة والمسائل المعقّدة على الصّعيد الفقهيّ وغيره في ما كانت تتعرّض له الخلافة من ذلك كلّه، كما كان يعطي الرّأي في قضايا الحرب بالطّريقة الّتي يحاول فيها المحافظة على حياة الخليفة الّذي يقود السّاحة في ذلك الوقت بعيدًا عن كلّ الحساسيّات الذّاتيّة والمشاعر الرّافضة»[1].

وضرب سماحته على ذلك بعض الأمثلة التّأريخيّة إلى أن قال سماحته: «إنّ هذا التّوجّه السّاميّ للإمام عليّ عليه السلام يفرض على الّذين يلتزمون موقفه ويؤمنون بحقّه، أن يرتفعوا إلى مستوى وعيه الكبير في قضيّة الوحدة الإسلاميّة لمصلحة الإسلام كلّه، الأمر الّذي يدفعهم إلى تجميد كثير من مواقفهم على هذا الأساس، وإلى أن يصبح شعاره شعارهم، هذا الشعار الّذي أطلقه في كلمة حاسمة تلخّص محصلة توجّهاته وتجربته مع الجميع: والله لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين»[2].

كما استشهد سماحته بكلمة للإمام عليّ بن الحسين زين العابدين في تعريفه وتحديده للعصبيّة الّتي هي أساس البلاء في المذهبيّة، والطّائفيّة، والقوميّة وهي قوله عليه السلام: «العصبيّة الّتي يأثم عليها صاحبها، أن يرى الرّجل شرار قومه خيرًا من خيار قوم آخرين، وليس من العصبيّة أن يحبّ الرّجل قومه، ولكن من العصبيّة أن يعين قومه على الظّلم».

كما استشهد أيضًا بأقوال الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد

---

(١) المصدر السابق، ص: ٢٢٨.

(٢) أحاديث في قضايا الاختلاف والوحدة، ص: ٢١٦، ٢١٧.

الصّادق عليه السلام وتوجيهاته لأصحابه ولشيعته في تقوى الله تعالى، وفي الوحدة الإسلاميّة[1].

هـ - تطوّر الفكر الإسلاميّ أمام التّحديات:

من كلمة لسماحته (دام ظلّه) في صحيفة النّهار الصّادرة في بيروت في ١٩٩٣/٩/١٦ تحت عنوان سُنّة وشيعة معًا في اتّجاه الوحدة قال سماحته: «لا تمثّل المسألة المذهبيّة شأنًا داخليًّا لأتباع هذا المذهب أو ذاك، بحيث يختصّ أصحابه بالبحث في قضاياه الفكريّة العقيديّة، أو القانونيّة الفقهيّة، فلا يسمح للتّابعين لمذهب آخر أن يبحثوها بطريقتهم الخاصّة، باعتبار أنّ ذلك لا يدخل في اختصاصهم العلميّ.

إنّ المذهبيّة في الدّائرة الإسلاميّة تمثّل وجهة نظر خاصّة في فهم الإسلام دائرته العقيديّة والعلميّة، من خلال الإجتهادات الخاضعة لأصول علميّة مفتوحة مشتركة بين العلماء المتخصصين في الكلام والفقه.

وقد تكون قيمة البحث المذهبيّ المتبادل المفتوح، أنّه يحرّر الباحثين من الاستغراق في الذّات المذهبيّة الّتي تخضع للرّغبة الدّائمة في تبرير مذهبها والتّنديد بالمذهب الآخر من ناحية ذاتيّة دون اعتبار للحياد العلميّ، بينما يتحرّك المنهج المنفتح لمواجهة القضيّة في البحث كقضيّة إسلاميّة موضوعيّة في عناصرها الحيّة الّتي تتجاوز الخصوصيّات إلى الخطّ العام للحقيقة الحاسمة، وبذلك نصل إلى الفقه الإسلاميّ الواسع الشّامل الّذي لا يلتزم في أبحاثه إلى الخصوصيّة الإسلاميّة في طبيعتها ومصدرها، لتكون المذهبيّة هنا وهناك قولاً من الأقوال وتفصيلاً من التّفاصيل، ولتكون صفة العلماء في الدّائرة الإسلاميّة من خلال عنوانهم الإسلاميّ كعلماء مسلمين، لا في دائرة المذهبيّة كعلماء سُنّة أو شيعة،

---

(١) المصدر السابق، ص: ٢٤٦، ٢٤٧.

فالأمر يتجاوز روح التّقريب إلى روح الوحدة من خلال الجانب الإيحائيّ الّذي يتحوّل إلى جانب موضوعيّ شامل»[1].

ومن خلال كلمات سماحته نستطيع أن نعتبر أنّ التّنوّع في القواعد الكلاميّة والأصوليّة، والفقهيّة عن كلّ مذهب من المذاهب الإسلاميّة تنوّعًا إسلاميًّا وعطاءً فكريًّا إسلاميًّا يحقّ لكلّ فقيه أو متفقّه أن يناقشه ويستفيد منه وبهذا نخرج جميع هذه المذاهب من دائرتها المذهبيّة الضّيقة إلى رحاب الإسلام وسماحته وحضارته العظيمة.

و ـ مع تجمّع العلماء المسلمين:

في كلمة سماحته الّتي تكلّمنا عنها آنفًا والّتي ألقاها سماحته في مؤتمر تحديات الوحدة الإسلاميّة الّذي نظّمه تجمّع العلماء المسلمين في ذكرى ولادة الرّسول الأكرمﷺ قال موجّهًا كلامه إلى أعضاء التّجمّع: «إنّ حركة (تجمّع العلماء المسلمين) هي الحركة الوحيدة الموجودة في العالم الإسلاميّ الّتي يلتقي فيها علماء السُّنّة وعلماء الشّيعة في موقع واحد ويدرسون القضايا بحجم إمكاناتهم، وبحجم تجمّعهم وبحجم الحساسيّات المحيطة بهم، يدرسون قضايا الأمّة، وواقع الأمّة، إنّني أرجو أن يبقى هذا التّجمّع، وأقول لأصدقائنا وأحبائنا من أعضائه: ليكن لكم الإصرار حتّى الشّهادة في أن يبقى التّجمّع»[2].

إنّ محبّة سماحته لتجمّع علماء المسلمين في لبنان ومنذ فجره الأوّل في الخامس عشر من شهر شعبان عام ١٤٠٢هـ ولغاية تأريخه غير خافية على أحد، كما أنّ اعتصام أعضاء التّجمّع من علماء السُّنّة والشّيعة في مسجد سماحته في بئر العبد ـ مسجد الإمام الرّضاعليه السلام ـ في اليوم

---

(١) المصدر السابق، ص: ٢٨٥ و ٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص: ٢٤٥ و ٢٤٦.

السّابع عشر من أيّار عام ١٩٨٣م، ومسيرتهم بمباركة سماحته لإسقاط ذلك الاتّفاق المشؤوم في ذلك اليوم غير خافية على أحد. كما أنّ لسماحته خلال اثني وعشرين عامًا من عُمر التّجمّع مواقف كثيرة ومحمودة ومؤيّدة لمسيرة هذا التّجمّع المبارك.

قال العلاّمة السّيّد عبّاس عليّ الموسويّ مؤرّخًا لإسقاط اتّفاق ١٧ أيّار الآنف الذّكر: «التحق السّيّد فضل الله بمسجد الرّضا في بئر العبد فاتّخذه مركزًا لعمله يصلّي فيه ويخطب ويعظ ويرشد وتحوّل بفضل وجوده إلى (برج حمود ثانية) وكأنّ السّيّد نقل البرج إلى بئر العبد ولكن على شكل أوسع وأكثر وأشمل وأصبح مسجد الرّضا رمز المقاومة والرّفض...

وفي اتفاق ١٧ أيّار الّذي عقد بين الدّولة اللّبنانيّة وإسرائيل وقف السّيّد مع (دعوة تجمّع العلماء المسلمين) الّذي أعلن رفضه للاتّفاق ودعا إلى الاعتصام في مسجد الرّضا وقد كنت في الاعتصام مع السّيّد فضل الله ورعيل كبير من العلماء السُّنّة والشّيعة وقد أعلن التّجمّع رفضه للاتّفاق وكذلك السّيّد شجبه وكانت المواجهة بين جنود السّلطة اللّبنانيّة وبين المعتصمين سقط فيها الشّهيد محمّد نجدي مضرّجًا بدمه»[1].

ز. إعلان الجزائر للوحدة الإسلاميّة:

قامت مجلّة التّوحيد الصّادرة في طهران في العدد ٤٠ رمضان ـ شوّال ١٤٠٩هـ، أيلول ـ تشرين أوّل ١٩٩٥م تحت عنوان (قضيّة الوحدة الإسلاميّة) بإجراء مقابلة صحفيّة مع سماحته بعد اشتراكه في مؤتمر الفكر الإسلاميّ الّذي عُقد في الجزائر في صيف عام ١٩٩٥ حيث ذكرت المجلة ـ الآنفة الذّكر ـ أنّ كلمة سماحته كانت الأفضل خلال المؤتمر،

---

(١) علماء ثغور الإسلام في لبنان للسَّيِّد الموسوي، ج٢، ص: ٣٢١ و ٣٢٢.

لا بل كانت مفاجأة المؤتمر على ما ذكرته وسائل الإعلام الجزائريّة وحتّى الأردنيّة. كما كان لسماحته الدّور في صياغة المقرّرات لذلك المؤتمر والّذي أطلق عليها بإعلان الجزائر حيث جاء في المجلّة الآنفة الذّكر ما يلي:

«ما هي المقرّرات الّتي خلص إليها المؤتمر؟

هناك مقرّرات كثيرة في ما تعارفت عليه المؤتمرات من توصيات تملأ صفحات عدّة، لكن والشّيء الأبرز كان ما سميّ (إعلان الجزائر) الّذي التقينا فيه مع صفوة من المفكّرين والمذاهب الإسلاميّة، في إعلان أنّ المسلمين أمّة واحدة تؤمن بالثّوابت الإسلاميّة القاطعة، وتعتبر أنّ الخلاف الاجتهاديّ، سواء كان كلاميًّا أو فقهيًّا، لا يجوز أن يكون مثار فرقة أو تكفير أو اتّهام بالشّرك، أو ما إلى ذلك، وأنّ على المسلمين أن يعيدوا رسالة التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة الّتي كانت موجودة في السّتينات في مصر والّتي أدّت دورًا كبيرًا، ولا بدّ من عقد مؤتمرات تُطرح فيها القضايا الإسلاميّة التّفصيليّة، وأنّ على المسلمين أن يلتقوا في القضايا الكبيرة، حتّى يستطيعوا أن يؤكّدوا هذه الوحدة وأن يغنوا العالم بتجربتهم الكبيرة.

والشّيء الّذي أريد تأكيده، هو أنّني رأيت في الجزائر روحًا إسلاميّة عميقة تحتاج إلى كثير من التّوجيه والتّرشيد والبلورة، ولا يزال تأثير الثّورة الجزائريّة، الّتي انطلقت من شعارات إسلاميّة ومن عمق إسلاميّ، جيّدًا في هذا الاتّجاه، ولكنه يحتاج إلى جهد كبير ليأخذ موقعه الطّبيعيّ في الجوّ الإسلاميّ العام»[١].

---

(١) أحاديث في قضايا الاختلاف والوحدة، ص ٣٦٢ و ٣٦٣.

ح. عود على ذي بدء:

وبعد فإنّ سماحة المرجع الدّينيّ آية الله العظمى السّيّد محمّد حسين فضل الله ومنذ بداية انطلاقته الأولى في تأسيس جماعة العلماء في النّجف الأشرف في عام ١٩٥٨ مع زملائه الأعلام من حجج الإسلام ووقوفهم في وجه المدّ الشّيوعيّ في العراق والعالم الإسلاميّ فكريًّا وثقافيًّا، ولغاية أيّامنا هذه كان الحصن الحصين للوحدة الإسلاميّة في جميع مواقفه، وطروحاته، وأفكاره، تمامًا كما كان رفيق دربه وجهاده في جماعة العلماء الإمام الشّهيد السّعيد السّيّد محمّد باقر الصّدر (قده) في مواقفه الوحدويّة، وفي تأييده لأطروحة الإمام السّيّد الخمينيّ (قده) في إقامة الجمهوريّة الإسلاميّة. فلا غرو أن نرى في أيّامنا هذه بعض الحركات والأحزاب الإسلاميّة في بعض الأقطار الإسلاميّة من أبناء الشّيعة والسُّنّة بشكل عام، وفي لبنان وفلسطين والعراق بشكل خاصّ. يعتبرون سماحة السّيّد فضل الله المرجع الرّوحيّ والمرشد والموجّه لهم، والأب صاحب القلب الكبير الذي يرجعون إليه عند كلّ مُعضلة أو خلاف!

٩ ـ العلّامة المؤرّخ السّيّد حسن الأمين والوحدة الإسلاميّة(*)

الحديث عن المؤرّخ العلاّمة الأديب السّيّد حسن الأمين ـ المولود في دمشق سنة ١٩٠٨م الموافق لسنة ١٣٢٦هـ ـ والوحدة الإسلاميّة حديث ذو شجون. فهو ابن دمشق الفيحاء، ومعركة ميسلون المجيدة ضدّ جحافل الفرنسيين، وسليل الدّوحة الحسينيّة الهاشميّة من جبل عامل الأشمّ، والطّالب الحوزويّ في النّجف الأشرف الّذي لم يعتمر العمامة إلاّ لثلاثة أسابيع في حياته فقط لا غير.

أ ـ كان السّاعد الأيمن لوالده السّيّد محسن الأمين والحافظ لأسراره:

هو نجل سماحة الإمام الأكبر السّيّد محسن الأمين الحسينيّ العامليّ (قده) وأقرب النّاس إلى قلبه، حيث كان السّاعد الأيمن له والحافظ لأسراره. والسّيّد الأمين (رحمه الله تعالى) كان من أقطاب الوحدة الإسلاميّة في سوريا ولبنان وأحد رموزها وروادها الكبار في العالم الإسلاميّ. ومن القضايا الّتي سعى لها السّيّد الأمين في الجمهوريّة العربيّة السّوريّة ونجح بها نجاحًا باهرًا هو عدم ذكر المذهب في الهويّة الشّخصيّة، وألاّ يذكر شيء غير الإسلام، وتوحيد دوائر الإفتاء، والقضاء

(*) نقلاً عن مجلة «البلاد» الصادرة عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان، العدد: ٤٤١ في: ١٧/٦/٢٠٠٠م.

الشّرعيّ، والأوقاف في جميع أنحاء القطر العربيّ السّوريّ، وعدم التّرخيص بإنشاء مجالس مليّة مذهبيّة على غرار ما هو موجود في لبنان وغير ذلك من قضايا يعرفها أبناء دمشق.

وقد أكمل مؤرّخنا السّيّد حسن الأمين رسالة والده بعد انتقال ذلك الوالد إلى الرّفيق الأعلى سنة ١٩٥٢م الموافق لسنة ١٣٧١هـ في ما تقدّم من أعمال، وفي إخراج كتب والده وطباعتها والتّعليق عليها بشكل عام، وموسوعة أعيان الشّيعة بشكل خاصّ، وفي الدّفاع عن أئمة العترة الطّاهرة من آل رسول الله ﷺ وعن مدرستهم الإسلاميّة الحضاريّة.

ب ـ الدّفاع عن الدّولة الفاطميّة:

لقد قام السّيّد حسن الأمين في دائرة المعارف الإسلاميّة الشّيعيّة وفي غيرها من مصنّفات بتوضيح الصّورة وكشف الغطاء عن وجه المذهب الإسماعيليّ والدّولة الفاطميّة في أفريقيا ومصر بروح موضوعيّة وعلميّة، كما شارك في مؤتمرات عدّة إسلاميّة منها: المؤتمر الإسلاميّ العالميّ الّذي دعا إليه الدّاعي الفاطميّ محمّد برهان الدّين، إمام «البهرة» في «بومباي» بالهند وفي غيره من مؤتمرات إسلاميّة حيث قال: «والبهرة هم بقايا الحكم الفاطميّ الّذين انتقل معظمهم إلى الهند واستقرّوا فيها وصار اسمهم (البهرة) ورئيسهم سلطان البهرة، والسّبب في تخلّيهم عن اسم (الإسماعيليين) أنّ الّذين انشقّوا عن الفاطميين بقيادة الحسن الصّبّاح، ثمّ خرجوا عن العقيدة بإلغائهم الواجبات الإسلاميّة وإدخالهم في عقيدتهم ما يتناقض مع الإسلام، والّذين عُرفوا في الماضي باسم (النّزاريين)، ثمّ في هذه العصور باسم (الآغاخانيين) أنّ هؤلاء قد انتحلوا اسم الإسماعيليين واشتهروا به، وأصبحوا لا يُعرفون إلاّ به، وهم على ما عليه من العقائد المتناقضة مع عقائد الفاطميين وإسلامهم ومذهبهم لذلك رضي بقايا الحكم الفاطميّ باسم (البهرة) ابتعادًا عن النّسبة إلى من انتحلوا اسم الإسماعيليين.

وفي الحقيقة أنّ هؤلاء (النّزاريين) (الآغاخانيين) كانوا أكبر العوامل الّتي استغلّها المستغلّون لتشويه عقيدة الفاطميين، إذ نسبوا إليهم عقائد النّزاريين في حين أنّ النّزاريين كانوا أعدى أعداء الفاطميين، وفي حين أنّ عقيدتهم ظهرت بعد زوال الفاطميين»[١].

وعن الدّولة الفاطميّة يقول: «هذه الدّولة الّتي لم تلقَ دولة من ظلم النّاس مثل ما لقيت، ويكفي أنّ أعدى أعدائها هم الّذين كتبوا تاريخها فسعوا إلى طمس فضائلها وتشويه محاسنها واختلاق المساوئ لها. وكنت عندما أسير في شوارع المهديّة ـ في تونس ـ وأتذكّر أنّ هذه الدّروب كانت دروب المعزّ وهذه المسالك هي الّتي كان يسلكها، وأنّه من هنا انطلق لتحقيق الوحدة العربيّة الكبرى الّتي حقّقها هو ومن تلاه محاولاً أن يعيد بها وحدة العالم الإسلاميّ. ثمّ أتذكّر كيف أنّ الجيش الفاطميّ قد استردّ من البيزنطيين ما احتلّوه في شمال بلاد الشّام، ثمّ ردّهم في محاولاتهم المتكرّرة لاحتلال بلاد الشّام كلّها، ثمّ صدّهم مرّتين عن محاولتهم الوصول إلى القدس. وأتذكّر الأسطول الفاطميّ العظيم الّذي أصبح سيّد البحر المتوسّط فهزم البيزنطيين في البحر كما هزمهم الجيش في البرّ»[٢].

ج ـ دائرة المعارف الإسلاميّة الشّيعيّة:

ومن أهمّ إنجازات السّيّد حسن الأمين العلميّة والثّقافيّة والتّأريخيّة الوحدويّة خلال خمسين عامًا، إكمال مسيرة المرحوم والده (رحمه الله تعالى) في الوحدة الإسلاميّة وفي إخراج باقي أجزاء ومجلّدات «أعيان الشّيعة» وإصداره لدائرة المعارف الإسلاميّة الشّيعيّة، والّتي كان الدّافع لإصدارها هو التّشويه والأخطاء الحاصلة في دائرة المعارف الإسلاميّة

(١) أنظر كتاب «في خضم التاريخ» للسَّيِّد حسن الامين.
(٢) حلٌّ وترحال للسَّيِّد حسن الامين، ص ٢٢٣.

الّتي كتبها المستشرقون بلغات أجنبيّة عدّة ثمّ ترجمها المصريون إلى اللّغة العربيّة حيث قال: «فقد رأيت في دائرة المعارف هذه من الأخطاء الفظيعة الّتي كان الدّافع إليها سوء النّيّة ككلّ ما كتبه «لامانسي» اليسوعيّ البلجيكيّ، والأخطاء الّتي كان الدّافع إليها الجهل وقلّة الاطّلاع ممّا كتبه غيره من المستشرقين، ورأيت أنّ مترجمي دائرة المعارف إلى اللّغة العربيّة قد علّقوا على الأخطاء المتعلّقة بغير الشّيعة بما يصحّحها، وتركوا الأخطاء المتعلّقة بالشّيعة بدون أيّ تعليق، ما عدا تعليقًا واحدًا للشّيخ أحمد محمّد شاكر في بحث التّقيّة كان مُنصفًا فيه كلّ الإنصاف.

بل إنّ بعض المعلّقين المصريين لم يكتفوا بشرور المستشرقين، وإنّما زادوا تلك الشّرور شرورًا بما افتروا به على تعليقاتهم عن الشّيعة...» إلى أن يقول: «وهنا لا بدّ لي من أن أشير إلى من طالما اعترضوا على اندفاعي للدّفاع عن حقائق اعتبروها شيعيّة، ورأوا في ذلك اتّجاهًا مذهبيًّا لهؤلاء أقول: إنّ الدّفاع عن تلك الحقائق لم يكن لأنّها شيعيّة، بل لأنّها حقائق مجرّد حقائق زيّفها المزيّفون جهلاً وعمدًا، فكان دفاعي عن الحقيقة وحدها. والدّليل على ذلك أنّي دافعت بالحماس والاندفاع نفسها عن حقائق زُيفت ولم يكن لأصحابها علاقة بالشّيعة، كحقيقة الملك المظفّر قطز بطل معركة عين جالوت»[١].

د ـ دفاع عن المظلومين:

وكما دافع المؤرّخ العلاّمة السّيّد حسن الأمين عن الملك المظفّر قطز صاحب معركة عين جالوت الفاصلة وبطلها العظيم، وكشف ظلم المؤرّخين له وإهمالهم لأعماله البطوليّة وإعطاء صفاته للظّاهر بيبرس، فقد قام بالدّفاع عن شخصيّات أخرى كالفيلسوف الإسلاميّ الكبير نصير

(١) انظر كتاب «في خضم التاريخ» للسَّيِّد حسن الامين.

الدّين الطّوسي، والوزير مؤيّد الدّين بن العلقمي، والخليفة العبّاسيّ عبد الله المأمون وغيرهم من الشّخصيّات الكبيرة الّتي ظُلمت من قِبل المؤرّخين لدواع مذهبيّة أو شخصيّة..

إنّ دفاعه عن تلك الشّخصيّات في تراثنا الإسلاميّ تحوّل إلى حقائق تستند إلى أدلّة وأرقام وإلى لوائح مرافعة في محكمة التّأريخ الكبرى.

[«هـ ـ تحيّة وفاء للعلاّمة المؤرّخ الأستاذ السّيّد حسن الأمين (قده):

تقدّم الكلام عن صداقتنا للعلاّمة المؤرّخ الأستاذ السّيّد حسن الأمين (قده)، ومجاورتنا له في محلّة المقاصد ـ الطّريق الجديدة لمدّة ثلاث سنوات من عام ١٩٧٩م ولغاية نهاية عام ١٩٨١م، وعن حضوره في بعض الأحايين لمجالس العزاء الحسينيّة الّتي كنت أقيمها مساء كلّ يوم من أوائل شهر محرّم الحرام من كلّ عام في منزلي الكائن في بناية الحاجّ حسّان حيدر، الطّابق العاشر.

وقد وفّقني الله تعالى لتوجيه تحيّة له في أواخر حياته في كتابتي عنه في مجلّة البلاد في العدد رقم ٤٩١ الصّادر في ١٧/٦/٢٠٠٠م تحت عنوان: «المؤرّخ العلاّمة السّيّد حسن الأمين والوحدة الإسلاميّة»، وقد سرَّ (رحمه الله تعالى) بهذا المقال سرورًا كبيرًا عندما زرته مع ابن عمّي فضيلة الأستاذ الشّيخ أحمد قيس وقدّمنا له نسخة من ذلك العدد الآنف الذّكر.

وتوجيه تحيّة أخرى له كانت بالاتّفاق مع المرحوم الدّكتور فضيلة الشّيخ عليّ أحمد البهادليّ (قده) وحوزته المباركة للقيام بزيارته (رحمه الله تعالى) في منزله في محلّة الحرش ـ الطّريق الجديدة ـ وتكريمه بحفل حوزويّ صغير.

وبناء على موعد سابق فقد قمنا بزيارته مساء يوم السّبت الواقع في ١٣ كانون الثّاني ٢٠٠١م الموافق لليلة ١٩ شوّال ١٤٢٢هـ.

وقد ضمّ الوفد كلاً من السّادة مدير الحوزة فضيلة الدّكتور الشّيخ عليّ البهادلي (قده)، وعضويّ الهيئة الإداريّة الشّيخ محمّد الشّيخ مرتضى حسن، والأستاذ رامي كنعان، وأساتذة الحوزة السّادة: العلاّمة السّيّد محمّد هادي الخرسان، والشّيخ يوسف محمّد عَمرو، ومن أصدقاء الحوزة أصحاب الفضيلة الشّيخ محمّد عليّ الحاجّ، والشّيخ حسين رمضان، والشّيخ أسعد جواد، والشّيخ عبّاس العوطة، والشّيخ محمّد عليّ دخيّل، والشّيخ أحمد قيس. بعد السّلام والتّحيّة على السّيّد الأمين، تكلّمت عمّا قدّمه العلاّمة الأمين للمكتبة العربيّة والإسلاميّة في مجال التّأريخ من تحقيق، وتدقيق، وردّ شبهات، ودفاع عن بعض الشّخصيات المظلومة في التّاريخ. كما أنّ دفاع السّيّد الأمين لم يكن عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وعن علماء الشّيعة، ورجالاتهم فقط، وإنّما كان عن رجالات المذاهب الإسلاميّة الأخرى، ومنهم السّلطان قطز الّذي هو صاحب اليد البيضاء في الانتصار، في معركة عين جالوت ضدّ المغول وليس السّلطان بيبرس كما هو مشهور عند المؤرّخين.

كما تكلّم مدير الحوزة فضيلة الدّكتور الشّيخ عليّ البهادلي (قده) عمّا يمتاز به العلاّمة الأمين من باع طويل في الدّفاع عن الإسلام، وعن الشّيعة، والتّشيّع.

وقد ردّ العلاّمة الأمين (قده) على ذلك شاكرًا هذه الزّيارة ثمّ أعطى بعض الأمثلة على المغالطات التّاريخيّة الموجودة في التّأريخ الإسلاميّ.

ومنها: قضيّة السّلطان قطز، وانتصاره في معركة عين جالوت، غير أنّ المؤرّخين سجّلوا ذلك الانتصار للمعتدي على السّلطان قطز، وقاتله

السّلطان بيبرس. ومنها تصوير المؤرّخين للنّاس أنّ معركة عين جالوت ـ الآنفة الذّكر ـ، كانت بين الإسلام المتمثّل بالمماليك، وبين الوثنيّة المتمثّلة بالمغول. والحقيقة هي: أنّ معركة عين جالوت كانت بين المغول الأيلخانيين حكّام العراق، وهم مسلمون غير عرب من جهة، وبين المماليك حكّام مصر وبلاد الشّام، وهم مسلمون غير عرب من جهة أخرى.

ومنها قضيّة المسلمين الشّيعة في كسروان الّذين أفتى ابن تيميّة بإباحة دمائهم وأعراضهم، وبالقضاء عليهم سنة ٧٠٥هـ الموافق لسنة ١٣٠٥م بحجّة تأييدهم للمغول ضدّ المماليك في معركة عين جالوت الآنفة الذّكر، مع أنّ قسمًا من المماليك كان مؤيّدًا، لأولئك المغول أيضًا. وقد ردّد الدّكتور عمر عبد السّلام تدمري شهادة الزّور تلك، وفتوى ابن تيميّة في اتّهامه المسلمين الشّيعة في كسروان بالخروج عن الإسلام دون تحقيق، وذلك في مجلّة الفكر الإسلاميّ، الصّادرة عن دار الفتوى في بيروت، في أيّار ١٩٧٨ الموافق جمادى الأولى ١٣٩٨هـ.

وقد ردّ عليه المرحوم محمّد عليّ مكّي، في العدد التّالي من المجلّة الصّادرة في شهر حزيران ١٩٧٨م الموافق جمادى الثّانية ١٣٩٨هـ مفنّدًا أقوال الدّكتور تدمري، مبطلاً لأقواله تلك بالحجج والحقائق التّأريخيّة الواضحة، وقد أوردت ذلك في دائرة المعارف الإسلاميّة الشّيعيّة في المجلّد التّاسع.. كما أورد أمثلة أخرى على ذلك.

وبعد لقد كانت مجالس العلاّمة السّيّد حسن الأمين، ومحاضره، وكلماته، ومحاضراته، ومؤلّفاته، وشعره، وأدبه، ورحلاته غنيّة بالتّحقيق والبحث والفكر والحكمة.. كما أنّه (رحمه الله تعالى) عاش نصف قرن بعد رحيل والده آية الله العظمى السّيّد محسن الأمين (قده) في سنة ١٩٥٢م ولغاية وفاته في عام ٢٠٠٢م، محقّقًا لآثار والده العظيم وناشرًا

لها. وفي الدّفاع عن حياض الإسلام، والتّشيّع لأهل البيت عليهم السلام، وقد أعطى المكتبة الفكريّة والإسلاميّة الكثير من وقته وحياته، ومن أعظم ما ترك لنا: دائرة المعارف الإسلاميّة الشّيعيّة، ودائرة المعارف الإسلاميّة، ومستدرك أعيان الشّيعة. وغيرها من تصانيف مفيدة[1]»].

(١) الفقرة هـ نقلاً عن كتابنا: «التذكرة أو مذكرات قاضٍ» ج ٣ ص: ٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٤.

١٠ ـ آية الله العظمى
الشّيخ محمّد أمين زين الدّين (قده)(*)

أ ـ الحديث عن الشّيخ (قده)، والنّجف الأشرف:

الحديث عن سماحة آية الله العظمى الشّيخ محمّد أمين زين الدّين (قده)، هو حديث عن حوزة النّجف الأشرف وجامعتها العظيمة، خلال أكثر من نصف قرن منذ سنة ١٩٣٠م ولغاية أيّامنا هذه، حيث قصدها فقيدنا طالباً في ريعان شبابه لطلب العلم على جهابذتها الأعلام.

وحديث عن ما رافق هذا التّاريخ من صفحات مشرقة، من تأريخ العراق، وتأريخ الإسلام ابتدأ بنيل العراق استقلاله ودخوله في عصبة الأمم سنة ١٩٣٠ بفضل الله تعالى، وثورة النّجف سنة ١٩٢٠. وزيارة أحد مراجع النّجف الأشرف الكبار الإمام الشّيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (قده)، لفلسطين ومشاركته في مؤتمر القدس العالميّ سنة ١٩٣٢، وإمامته لعلماء المسلمين المشاركين في المؤتمر في صلاة العشاء بعد خطبته الشّهيرة الّتي خطبها بين العشائين، وفضح فيها المخطّط البريطانيّ الصّهيونيّ على شعب فلسطين. وأعلن فيها رأي النّجف الأشرف في الوحدة الإسلاميّة قائلاً: أنّ الإسلام هو دين التّوحيد، وتوحيد الكلمة،

(*) ألقيت هذه المحاضرة في ذكرى تأبين الشّيخ زين الدّين (قده) في مركز الإمام الخمينيّ الثّقافيّ ـ حارة حريك. بدعوة من المنتدى الثّقافيّ العراقيّ في لبنان، ورئيسه الشّيخ عليّ البهادلي (قده) في: ٩/ آب/ ١٩٩٨م.

إلى آخر هذه الصّفحات المشرقة من حياة الأمّة والّتي كان لفقيدنا الكبير دوراً في المشاركة في صناعة بعض القرارات العلميَّة والحوزويّة، ابتدأ من عام ١٩٨٥م كما سوف تعرف.

وهو حديث أيضاً عن آل زين الدّين الأسرة العلميّة المهاجرة من البحرين إلى البصرة، وحديث عن بني عبد قيس وولائهم لأهل البيت عليهم السلام وعن جهاد هذه العشيرة وخدمتهم للإسلام وللّغة العربيّة، وللمثل العليا للأخلاق.

وهو حديث عن أساتذة شيخنا الرّاحل وهم من أعلام النّجف الأشرف، وسادتها في الفقه، والأصول، والفلسفة الإسلاميّة، ومن أصحاب النّظريات العلميَّة في تلك العلوم وهم: الإمام الشّيخ محمّد حسين الأصفهاني الكمباني (قده)، وآية الله السّيّد حسين البادكوبي (قده)، وآية الله الشّيخ محمد طاهر الخاقاني (قده)، والإمام السّيّد أبو الحسن الموسويّ الأصفهانيّ (قده)، والإمام السّيّد محسن الطّباطبائي الحكيم (قده).

وهو حديث عن جمعيّة العلماء في النّجف الأشرف الّتي تأسّست سنة ١٩٥٨م في النّجف الأشرف لمحاربة المدّ الإلحاديّ الشّيوعيّ في العراق بشكل خاصّ، وفي العالم الإسلاميّ بشكل عام، حيث تأسّست هذه الجماعة برئاسة آية الله العظمى الشّيخ مرتضى آل ياسين (قده) حيث كان شيخنا الرّاحل (قده)، من أقطابها مع سماحة آية الله العظمى السّيّد محمّد حسين فضل الله (دام ظله)، وآية الله الشّيخ محمّد مهدي شمس الدّين (قده)، وسماحة حجّة الإسلام الشّيخ كاظم الحلفيّ صاحب مجلّة الأضواء، الّتي كانت تصدُر عن هذه الجماعة وغيرهم من الأقطاب الّذين كانت مواقفهم وأقلامهم، مدرسة كبرى للثّقافة الإسلاميّة الحديثة الّتي وقفت في وجه المدّ الشّيوعيّ الأحمر في العراق، وفي سائر البلاد

الإسلاميّة، ومقارعته الحجّة بالحجّة، والدّليل بالدّليل كما وقفت هذه المدرسة في وجه المدارس العلمانيّة والقوميّة وسائر النّظريات الأخرى.

لقد انتصرت هذه الجماعة في معارك كثيرة، وخسرت في معارك أخرى ومن أهمّ الإنتصارات الّتي حقّقتها الجماعة هو إدخال الإسلام إلى جميع الجامعات في العراق، وفي بعض البلاد الإسلاميَّة، وفي بعض جامعات الشّرق والغرب.

كما استطاع مُلهِمُ هذه الجماعة وسيّدها الإمام الشّهيد السّعيد السّيّد محمّد باقر الصّدر (قده)، أن يقارع جميع الفلسفات والمذاهب الإقتصاديّة الحديثة بالدّليل والحجّة ويثبت بطلانها ويصوغ لهم نظريّة المعرفة الإسلاميّة، والمذهب الإقتصاديّ الإسلاميّ، وأطروحة البنك اللاربويّ في الإسلام، والأسس المنطقيّة للإستقراء بأسلوب علميٍّ حديث. والحديث عن تلك الجماعة المباركة يحتاج إلى تصنيف كتاب خاصّ بذلك، وهو حديث عن تلامذة شيخنا الرّاحل، ودورهم في المحافظة على العلم، واللّغة، والأدب، والأخلاق، وهم حجج الإسلام ومنهم آية الله الشّيخ أحمد البهادلي، وآية الله السّيّد حسين بحر العلوم، والعلاّمة الدّكتور محمّد بحر العلوم، والعلاّمة السّيّد إبراهيم الزّنجاني. والعلاّمة الدّكتور الشّيخ عبد الهادي الفضلي، وشقيقه المرحوم العلاّمة الشّيخ عليّ زين الدّين، وولده العلاّمة الشّيخ ضياء الدّين، ومنهم شاعر العراق الكبير السّيّد مصطفى جمال الدّين (رحمه الله تعالى). وغيرهم من العلماءِ الأعلام.

والحديث الّذي سوف نتكلّم عنه في هذه العجالة، هو أسلوب شيخنا الرّاحل الفريد في بابه، والقويّ في حجّته، والرّفيع في لغته.. حيث قيل في ذلك: «يمتاز الشّيخ زين الدّين (رحمه الله) بالإضافة إلى غزارة علمه، وفقهه، بأسلوب رائع وببيان أروع، وهو منعكس عن ثقافة

واسعة وممتدّة إلى خارج الحوزة العلميَّة ممّا أدّى إلى أن يُصبح محور حلقة من الطّلبة الشّباب الواعيّ الّذي تأثّر بأسلوبه المميّز وببيانه وأدبه»[١].

ب ـ الحديث عن أسلوب الشّيخ (قده):

والحديث عن أسلوب الشّيخ (قده) ومنهجه في البحث والكتابة طويل، ومتشعّب سوف نقتصر فيه عن الحديث عن أسلوبه في استنباط فلسفة الأخلاق عند الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السَّلام وفي ردّه على نظريّة العقد الاجتماعيّ.

قال (رضوان الله عليه) في رسالته إلى ولده العلاّمة الشّيخ ضياء الدّين والمؤرّخة في ١٤ رمضان ١٣٨٤هـ الموافق لسنة ١٩٦٣م. شارحاً نظريّة العقد الاجتماعيّ عند الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسّو المتوفّى سنة ١٧٧٨م وملخّص النّظريّة ذاتها: إنّ الطّبيعة قد زوَّدت كلّ فرد من النّاس بقسط من القوّة يحفظ لنفسه البقاء، وقسطه هذا من القوّة محدود، وهو لا يملك من القوّة زيادةً على ما وهبته الطّبيعة منها... وها هنا عوائق كثيرة وشديدة تضرُّ بسلامة الأفراد وتهدّد بقاءهم في الحال الطّبيعيّة وتقاوم ما لديهم من القوى الخاصّة الّتي يملكها كلّ فرد، حيث يصبح بقاء النّاس متعذّراً وهلاكهم محتوماً... وليس للنّاس وسيلة للبقاء والتّغلّب على هذه المقاومات إلا التّكتّل. ثمّ يتابع (رحمه الله تعالى) شرحه لهذه النّظريّة الّتي تنتهي إلى أطروحة وجود دولة ديمقراطيّة تحمي بقوّتها شخص كلّ مشترك فيها وأمواله وحقوقه، مع الاحتفاظ بالحريّة الكاملة لكلّ فرد منهم من خلال العقد الاجتماعيّ الّتي تصبح فيه الدّولة الدّيمقراطيّة قوّة كبرى والجميع عندها سواسية كأسنان المشط، بعد أن

---

(١) معجم رجال الفكر والادب في النجف الأشرف، للدكتور الشيخ الاميني، ج٢ ص: ٦٥٠ و ٦٥١ بتصرف.

يضع كلّ واحد من المشتركين في العقد الاجتماعيّ شخصيّته، وجميع قوّته شركة تحت إدارة الإرادة العامّة، بحيث يكون المجموع هيئة ويكون كلّ عضوّ جزءاً منها.

وهو يعقِّب على ذلك بأنّه إذ باع كلّ واحد من الأفراد نفسه بأسرها أصبحَ هذا الشّرط متساوياً نحو الجميع، وإذا كان متساوياً نحو الجميع لم يكن لأحد منهم مصلحة في جعل الشّرط ثقيلاً على الآخرين.

كما ذكر (قده) في البداية أنّ الثّورة الفرنسيّة قامت بعد موت الفيلسوف بأحد عشر عاماً وبعد ظهور كتابه (العقد الاجتماعيّ) بثمانية وعشرين عاماً فأحيت ذكر ذلك الفيلسوف وترسمت أهداف كتابه، وجعلته إنجيلاً لها.

كما ذكر (قده) أنّ روسّو لم يكن هو الواضع الأوّل لخطوط هذه النّظريّة فقد ذهب إليها من قبله الفيلسوفان البريطانيان (جون لوك) المتوفّي سنة ١٧٠٤م، و(توماس هويز) المتوفّي سنة ١٦٧٩م على فارق بين آرائهم في وجه هذه النّظريّة وفي نتائجها ثمّ أشار (رحمه الله تعالى) إلى تلك الفوارق.

ثمّ بيّن وجهة رأي الإسلام في ذلك، وأنّ جميع النّاس مشتركون متساوون في العبوديّة لله والتّعلّق به والفقر إليه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾. [فاطر: ١٥].

ومن أجل ذلك كان النّاس أحراراً في ما بينهم، فلا سيطرة لأحد على أحد متساوين في الفرص الّتي تؤهّلهم للمقامات الكريمة في قانون الله، ثمّ في عادل جزائه وموفور عطائه.

وَقوّام هذه الصّلة بين الإنسان وأخيه الإنسان هي الإيمان بربوبيّة الله تعالى ووحدانيّته في كلّ شيء. وكلّ خير وجده ابن آدم أو يجده في حياته أو هو يرجوه في ما بعد هذه الحياة فإنّما هو أثرٌ من وجود هذه

الصّلة وفيض من برّها: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النّحل: ٥٣].

وأن يُنظر في صلاته بالنّاس وبالموجودات كافّة على ضوء ذلك النّظام الإلهي الرّشيد، فيتوجّه بها إلى حيث أراد الله وينصرف بها عمّا نهى ويقيمها على الأسس الّتي وضعها الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرّعد: ١٩، ٢٠، ٢١].

ثمّ يتابع (قده) الحديث شارحاً قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

وعلى ضوء ذلك ومن خلال ما تقدّم من كلامه الطّويل حول نظريّة الحكم في الإسلام وعن معنى المبايعة لرسول الله ﷺ ولوليّ الأمر الشّرعيّ من بعد الرّسول. حيث قال (قده): «والخضوع لله في هذا المجال يتمثّل بالخضوع لحكم الله الّذي تأخذ به الدّولة في كلّ ناحية من نواحي الحكم، ونظم الله الّذي تطبّقه في كلّ حقل من حقول الحياة، والدّولة إذا لم تمثّل حكم الله ولم تنتهج هُداه فلا حقّ لها في طاعةِ على أحد أبداً، وقول اللهِ في هدمها صريحةٌ قبل قول الأمة...»[1].

ج ـ المذهب الأخلاقيّ عند الإمام الصّادق عليه السلام:

وأمّا كلام شيخنا الرّاحل عن المذهب الأخلاقيّ في مدرسة أهل البيت عليهم السلام من خلال كلمات ووصايا الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام، فهو كلام قارن فيه بين المذاهب الأخلاقيّة وناقش فيه فلاسفة الأخلاق في آرائهم ثمّ تكلّم عن علم الأخلاق عند الإمام جعفر

---

(١) أنظر إلى الطليعة المؤمنة للشيخ زين الدين (قده) بتصرف.

بن محمّد الصّادق عليه السلام. وكيف بيّنه، وأوضحه للخاصّة، وللعامّة حيث وجد فيه الأميّ ما أدركه بالفطرة، وقرأ فيه الفيلسوف ما أثبته بالبرهان. قال شيخنا الرّاحل (قده) منتقداً الدّكتور أحمد أمين في كتابه عن الأخلاق: «ولعلنّا نحاسب الأستاذ أحمد أمين عن نظرته إلى الأخلاق في الإسلام، فإنّ علاقتها باللّفظ أشدُّ من علاقتها بالمعنى والأستاذ حين يتسرّع بإرسالها يُشبِهُ البسطاء الّذين يكتفون في معرفة الشّيء بظواهره الشّكليّة». الأخلاق ص ١٦. ثمّ تكلّم (رحمه الله تعالى) عن أسلوب الإمام الصّادق عليه السلام فيقول: «عَلِمَ الإمامُ الصّادق عليه السلام بذلك، وَعَلِم أنّ لهؤلاءِ العامّة أنّها ما لا تقبلُ المصطلحاتِ الغريبة، ولا تستسيغ العبارات البعيدة. فكان لزاماً عليه أن يوضّحها لهم على حسب ما يدركون، وأن يترجمها لهم بما يفهمون، فكان من أبرعِ من أوضح وأدقٌ من ترجم، على أن أكثر ما يهتمّ به المثاليون من قادة الدّين هي ناحية التّطبيق من علم الأخلاق، لإنّها أكثر دخلاً في التّوجيه الخلقيّ الّذي يهتمُ به الدّين. ولأنّ الوحي قد كفاهم مؤونة الاستقراءِ، وأراحهم من عَناءِ البحث»[1].

ولو أردنا أن نتكلّم من سائر آثار شيخنا الرّاحل (قده) في مُصنفاته العديدة، وفيما تركه لنا في مجلّة الأضواء، وفي رسالته العلميّة ـ كلمة التّقوى ـ وعن مبانيه في الاستنباط، وعن شعره وأدبه، وعن مواقفه من المدّ الإلحاديّ والشّيوعيّ في العراق عندما منعوه من طباعة كتابه الحجاب بين السّلب والإيجاب، وعن رسالته لوزير الأوقاف في مصر الشّيخ الباقوري بمناسبة اعتراف الحكومة المصريّة بالمذهب الجعفريّ وغير ذلك لبلغ بنا المقام حدّاً كبيراً من الاستطراد.

وحسب شيخنا الرّاحل (قده) أنّه كان من أقطاب جماعة العلماء في النّجف الأشرف، ومن أساتذة الحوزة العلميّة الكبار، ومن مراجع العلم

(١) نفس المصدر، ص: ١٧.

والتّقوى في النّجف الأشرف الّذين تُشدُّ إليهم الرّحال بعيد وفاة الإمام الخوئيّ (قده) في ٨ آب ١٩٩٢م ومن المدافعين الكبار عن مدرسة أهل البيت (عليهم السَّلام) في تصدّيه للدّكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدويّة، وفي بيانه لجهاد الإمام الحسن، من خلاله صلحه مع معاوية وفي غير ذلك من مواقف، وأراء. وفي مرجعيّته للمدرسة الإخباريَّة عند الشّيعة الإماميَّة في القرن العشرين.

رحم الله تعالى شيخُنا الرّاحل وجزاه عن الإسلام، وعن أهل البيت خير جزاء، وَحفِظ الله تعالى الحوزة العلميَّة في النّجف الأشرف عن كل مكروه، وأدامها الله تعالى ذُخراً للإسلام وللعلم وللتّقوى وللغة الضّاد.. إنَّه سميع الدّعاء حميد مجيد. آمين.

١١ ـ الحديث عن النّجف الأشرف وآل الخرسان(*)

أ ـ تمهيد:

الحديث عن النّجف الأشرف بشكل عامّ وعن آل الخرسان والعلاّمة السّيّد محمّد هادي بشكل خاصّ وفي هذه الأيّام ذكّرني بمسرحيّة نشيد مُحمّد للمفكر وللأديب الألماني الكبير بوهان فون غوته المتوفّى سنة ١٨٣٢م.

ووجه الشّبه في ذلك «تأثّر غوته بأجواء سيرة المصطفىﷺ وبهدايته للنّاس من ظلمات الشّرك إلى نور التّوحيد وإلى الصّراط المستقيم في الحياة، وبنصرة أهل بيته له وأعظمهم على الإطلاق ابنة النّبيّ فاطمة الزّهراء وزوجها عليّ عليهما السّلام عن ذلك النّهر العظيم والخالد وهو النّبيّ محمّدﷺ الّذي يبدأ بالتّدفّق رقيقًا هادئًا، ثمّ لا يلبث أن يجيش بشكل مُطرد، ويتحوّل في عنفوانه إلى سيل عارم، وهو تصوير رائع لاتّساع هذا النّهر وتعاظم قوّته الرّوحيّة في زحفه الظّافر الرّائع ليصبّ أخيرًا في البحر المحيط رمز الدّعوة إلى التّوحيد[١].

وانطلاق ذلك النّهر العظيم والخالد خلود السّماوات والأرض كان من وادٍ غير ذي زرع من بطحاء مكّة، ومن رمضاء وهجير صحرائها

(*) مجلّة النّور الصّادرة من لندن في ربيع الثّاني ١٤٢١هـ الموافق لشهر تمّوز ٢٠٠٠ عدد ١١٠ ـ ص ٦٣، بتصرّف.

حيث ملأ الدّنيا والخافقين بعذوبة مائه، وصفاء ضيائه.

وانطلاق الحوزة العلميّة في النّجف الأشرف على يدي الشّيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطّوسيّ (قده) سنة ٤٤٨هـ أيّام حكم السّلاجقة الأسود في العراق كان له الأثر العظيم والكبير في حفظ علوم وفقه أهل البيت عليهم السلام من الضّياع والاندثار، وفي التوسّع في فتح باب الاجتهاد بعد أن أغلقت سائر المدارس الفقهيّة الأخرى أبوابها وفي إحياء مجالس المعرفة، والآداب، واللّغة العربيّة. والنّجف الأشرف هي وادٍ غير ذي زرع وبلدة صحراويّة مياه آبارها مالح، وقد تعرّضت في تأريخها الطّويل ولا زالت إلى نكسات عسكريّة، وأمنيّ خطيرة كان أهمّها على الإطلاق غزوات إعراب نجد لها عدّة مرّات، وعلى الرّغم من هذا وذاك فلقد كانت النّجف الأشرف في عطائها الفكريّ، والعلميّ، والفقهيّ، والأدبيّ خلال ألف عام كنهر الفرات العظيم الّذي نظر إليهم غوته في نشيده العظيم أنّهم سادة الوجود الإنسانيّ، وقدوة الأنام في الهداية نحو الصّراط المستقيم صراط التّوحيد.

والسّادة الأشراف من آل الخرسان غي النّجف الأشرف ابتدأ تأريخهم العلميّ من أيّام جدّهم الأكبر السّيّد ابن معصوم الموسويّ (قده) في بداية القرن السّادس الهجريّ في قضيّة مشهورة يؤرّخ لها المقريزيّ في خططه في ترجمته للوزير الفاطميّ المعروف بالملك الصّالح[1] ولا زال عطاء هذه الدّوحة الكريمة يتجدّد ويعطي ثماره في كلّ قرن وفي كلّ جيل.

وما علاّمتنا السّيّد محمّد هادي المحتفى فيه في يومنا هذا إلاّ مصداق من مصاديق نهر الفرات العظيم الّذي يشتقّ نبعته وهويته من تلك

---

(١) راجع معجم رجال الفكر والأدب في النّجف الأشرف خلال ألف عام للدّكتور الشّيخ الأميني ج٢ ص ٤٨٤ ـ ٤٨٥.

الشّجرة المباركة من محمّد وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين (عليهم أفضل الصّلاة والسّلام).

لقد تعرّفت على علاّمتنا الكريم منذ سنة ١٩٧١م الموافق لسنة ١٣٩١هـ في ديوان جدّه الكبير آية الله السّيّد حسن الموسويّ الخرسان (قده) في النّجف الأشرف، وذلك عندما كان في الثّانية عشرة من عمره الشّريف وكذلك كنت أراه مع والده سماحة آية الله السّيّد محمّد رضا وعندما كنت أزور عمّه سماحة شيخي وأستاذي آية الله السّيّد محمّد مهديّ حيث كنت أرى فيه النّجابة والأدب وحبّه لجدّه الكبير وتقريب ذلك الجدّ له. لقد كنت مع زملائي وأخواني من طلبة العلوم الدّينيّة اللّبنانيّة في النّجف الأشرف نتردّد على دور آل الخرسان ـ الآنفة الذّكر ـ للنّهل منها المعرفة، والأدب، والتّقوى، وعلوم الفقه، والأصول، والدّراية والحديث، وغيرها من علوم حيث كانت علاقتنا بأولئك السّادة اللّهاميم كعلاقة المرء مع أستاذه وأبيه في الصّدق، والإخلاص، والعاطفة، والعمل الصّالح.

ب ـ العمل في الإسلام:

وأطروحة علاّمتنا العزيز حول العمل في الإسلام ودوره في التّنمية الإقتصاديّة أتت في نهاية القرن العشرين وبعد صراع سياسيّ وإقتصاديّ كبير بين المذهب الإقتصاديّ في الإسلام الّذي استنبطه الإمام الشّهيد سيّدنا الأستاذ الصّدر (قده) وبين المذهبين الماركسيّ والرّأسماليّ في العالم الإسلاميّ بشكل عامّ وفي إيران بعد نجاح الثّورة الإسلاميّة على يديّ الإمام السّيّد روح الله الخمينيّ (قده) بشكل خاصّ حيث إختارت الجماهير أطروحة الجمهوريّة الإسلاميّة والإقتصاد الإسلاميّ على الأطروحات الفكريّة والإقتصاديّة الأخرى في استفتاء سنة ١٩٧٩م.

ج ـ مع الأطروحة:

وأطروحة السّيّد الخرسان الّتي قدّمها في كليّة الإمام الأوزاعيّ للدّراسات الإسلاميّة تتألّف من مقدّمة تمهيديّة حول تمهيد مصطلحات البحث ومن أربعة فصول وخاتمة وقد ذكر في أسباب اختياره لهذا البحث وأهدافه ما يليّ:

١ ـ «معالجة المشاكل الّتي تعترض الإنسان من خلال الفكر الإسلاميّ لما يمثّله من نقاء في النّبع، وشفاء في العلاج، ممّا يعطي الدّواء النّاجح والبلسم الشّافيّ.

٢ ـ المشاركة بمقترحات قد تكون مفيدة في وضع الحلول المناسبة لإشكاليّة الإقتصاد والتّنمية في جانب العمل عند المسلمين.

٣ ـ التّعريف بالطّاقات الفكريّة الّتي يحملها الفكر الإسلاميّ في مجالات المعرفة والحياة، وليتعاون كلّ من ذوي الإختصاص، والمؤسّسات الإقتصاديّة، والمجامع العلميّة المعنيّة بالمشكلة الإقتصاديّة في تقييم المقترحات في إطار الفكر الإسلاميّ»[١].

كما ينتهي إلى القول في مقدّمته للبحث بقوله: «والخلاصة في الحلّ الإلهيّ تتمثّل في الصّيغة التّالية: من يتّبع هدى الله يعيش حياة طيّبة، ومن يعرض عنه يعش عيشة ضنكًا»[٢].

لقد أتت هذه الأطروحة في الوقت المناسب لتقدّم لرجال الإقتصاد في العالم وجهة نظر إسلاميّة نجفيّة حول العمل والتّنمية الإقتصاديّة في الإسلام آملين من سيّدنا السّيّد الخرسان تزويد المكتبة الإقتصاديّة المزيد

---

(١) أطروحة العمل في الإسلام ودوره في التّنمية الإقتصاديّة للسّيّد الخرسان محمّد هادي محمّد رضا الخرسان ص ١٠.

(٢) المصدر السّابق ص ٨.

من البحوث، والأطروحات في هذا الباب الّذي نفتقر إليه.

وفي الختام لا يسعنا إلاّ أن نقول لأبناء الرّافدين عشتم وعاش العراق وعاشت النّجف الأشرف، عشتم وعاش الفرات المتدفّق من جوار أمير المؤمنين عليه السلام بالعلم، والنّور، والهدى، والحياة. عشتم وعاشت الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران حاملة أطروحة النّظام والإقتصاد الإسلاميّ في العالم. عشتم وعاش المنتدى الثّقافيّ العراقيّ في لبنان.

الأربعاء في ١٣/٧/٢٠٠٠م

الموافق ١١ ربيع٢ ١٤٢١هـ

الفصل الثّالث

ذكريات علمائيّة حول نشاط
عدد من العلماء العاملين

مع بعض الاستدراكات
لكتاب «التذكرة، أو مذكرات قاضٍ»

١ ـ مع ذكرى رحيل الإمام الخمينيّ (قده)

إنّ إحياء ذكرى العظماء في كلّ أمّة، دليل شعور تلك الأمّة نحو عظمائها، وإحياء ذكرى مراجعنا الأعلام هو تكريم للعلم والفضيلة والتّقوى الّتي كان يمثّلها أولئك الأعلام البررة الأتقياء، (رضوان الله تعالى عليهم)، وتطبيق لسُنّة رسول الله والأئمّة الطّاهرين من آله (عليهم أفضل الصّلاة والسّلام)، في احترام الفقهاء الأتقياء، من شيعتهم أحياءً وأمواتًا.

لقد كانت وفاة الإمام المجدّد السّيّد الخمينيّ (قده) سنة ١٤١٠هـ، الموافق للخامس من شهر حزيران ١٩٨٩م، مأساة كبرى لمحبّي الإمام الرّاحل (قده)، حيث أحبّه كلّ من عرفه عن قرب، أو عرف مواقفه البطوليّة العظيمة في تحرير الشّعوب الإيرانيّة من شاه إيران والقوى الاستكباريّة الّتي كانت تقف معه، وأهمّها على الإطلاق الولايات المتّحدة الأمريكيّة وبريطانيا وإسرائيل، ومواقفه البطوليّة في صدّ العدوان العراقيّ الغاشم عن الشّعب الإيرانيّ، لمدّة ثماني سنوات باءت بالفشل الذّريع، مع العلم أنّ صدّام حسين كان رأس الحربة لجميع المعسكرات الشّرقيّة والغربيّة والعربيّة في تلك الحرب العدوانيّة، وقد استعمل جميع الأسلحة المحرّمة دوليًّا، ضدّ الشّعب الإيرانيّ المظلوم، وضدّ جماعات كثيرة من أهل العراق، كانوا مع الإمام الخمينيّ (قده)، ولمواقف الإمام (قده) في تأييد المقاومة الإسلاميّة في لبنان وفلسطين، وغير ذلك من مواقف وتضحيات يطول الحديث عنها، وهي أشهر من نار على علم.

هذا، وقد عرفت الإمام السّيّد روح الله الموسويّ الخمينيّ (قده) عن قُرب في النّجف الأشرف، وتشرّفت عدّة مرّات بزيارته، وتقبيل يده الطّاهرة، وشرب الشّاي عنده في منزله المتواضع في محلّة الحويش المتفرّعة من شارع الرّسولﷺ في النّجف الأشرف، وفي طرح بعض الأسئلة الدّينيّة عليه. كما تشرّفت أيضًا بسؤاله عن حياته العلميّة حين أرّخت له في كتابي: المدخل إلى أصول الفقه الجعفريّ، في الصّفحة ١٨٠، الطّبعة الأولى، بيروت. كما سُمح لي بالدّخول عليه في غرفته في النّجف الأشرف، مع سماحة العلاّمة الخطيب السّيّد جواد شُبّر (قده)، لتعزيته باستشهاد نجله آية الله السّيّد مصطفى الخمينيّ (قده).

وقد قمت إثر معرفتي بنبأ الوفاة بإذاعة القرآن الكريم في جامع المعيصرة، وفتح الحسينيّة لتقبّل التّعازي، وإعلان الحزن العامّ، وإحياء مجالس القرآن الكريم والمجالس الحسينيّة على هذا الرّاحل العظيم. ومن ثمّ كلّفت أحد الموظّفين في المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان وهو ابن عمّي السّيّد محمود مصطفى عَمرو بإرسال برقيّات تعزية كتبتها باسمي، واسم المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان، والمستضعفين في قضاءي جبيل وفتوح كسروان، بالبريد من منطقة المزرعة ـ بيروت، إلى آية الله العظمى الشّيخ الآراكي (قده)، وإلى آية الله السّيّد الخامنئي (دام ظلّه). وإلى سماحة حجّة الإسلام الشّيخ رفسنجاني، وغيرهم من المسؤولين في الجمهوريّة الإسلاميّة، كما أرسلت برقيّات أخرى، إلى جميع العلماء الأعلام والهيئات العلمائيّة في لبنان وخارجه.

كذلك وفّقني الله تعالى لإحياء ذكرى أسبوع الإمام (قده)، في مشروع ثانويّة المعيصرة النّموذجيّة الحديثة، بغرفة النّاطور وبالباحة الخارجيّة قبل إكمالها، وكذلك ذكرى الأربعين، وتوزيع الطّعام والشّاي على من حضر من المؤمنين عن روحه (رضي الله تعالى عنه)، إذ أنّ تلك

الثانويّة العتيدة هي من مبرّاته (رحمه الله) كما سبقت الإشارة إلى ذلك آنفًا.

وممّا يجدر ذكره أيضًا أنّ إجازتي عن الإمام الرّاحل السّيّد الخمينيّ (قده) في الأمور الحسبيّة كانت من السّيّد الفهريّ ممثّله في سوريا ولبنان في ١٥ شعبان سنة ١٤٠٥هـ، في دمشق الشّام.

٢ ـ مع ذكرى رحيل الإمام الخوئي (قده)

وعند وفاة الإمام السّيّد أبي القاسم الموسويّ الخوئيّ (قده)، وهو المرجع الأعلى للطّائفة الإسلاميّة الشّيعيّة في العالم، وزعيم الحوزة العلميّة في النّجف الأشرف لأكثر من نصف قرن، يوم السّبت الواقع في ٨ صفر ١٤١٣هـ، الموافق ٨ آب ١٩٩٢م، أعلنتُ الحداد العامّ، وأنزلتُ في وكالة الأنباء الوطنيّة اللّبنانيّة نعيًا باسم المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان، بواسطة صديقنا الصّحافيّ المرحوم الأستاذ ناجي الغازي جاء فيه: «وفاة الإمام الخوئيّ خسارة كبرى للإسلام وللإنسانيّة عمومًا، وللشّعب العراقيّ خصوصًا، وفاجعة لكلّ من تتلمذ على يديه، ولمن قلّده، واتّصل به، لما كان يمتاز به هذا الإمام الرّاحل من قداسة، وورع واجتهاد وحبّ للإنسانيّة». وقد نقل هذا النّعيّ فضيلة الدّكتور الأستاذ عليّ البهادليّ (قده) في كتابه القيّم: ومضات من حياة الإمام الخوئيّ، الصّفحة ١٠٠، الصّادر عن دار القارئ ـ بيروت، ١٩٩٢م.

كما وفّقني الله تعالى لإحياء ذكرى أسبوع الإمام الخوئيّ (قده)، في قاعة لا سيته دال في سنتر البعينيّ، في مدينة جبيل، صباح يوم الأحد في ١١ آب ١٩٩٢م، الموافق ١٥ صفر ١٤١٣هـ، دَعينا إليه باسم المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان، وحضره حشد كبير من أبناء المنطقة، وحضر قسم من ذلك الاحتفال التّأبينيّ نجل الإمام الرّاحل الأستاذ السّيّد عبّاس الخوئيّ، وقد تكلّمت في ذلك الاحتفال التّأبينيّ عن حياة الرّاحل العظيم، وعن دوره الكبير في الحوزات العلميّة

عند الشّيعة الإماميّة في العالم.وفي غير ذلك من أمور، كما تكلّم فضيلة العلاّمة الشّيخ جمال كنعان، عن فضل العلم والعلماء في الإسلام، وقدّم للاحتفال فضيلة الأستاذ الشّيخ محمّد أحمد حيدر بكلمة جيّدة من وحي المناسبة، ثمّ ختم الاحتفال بمجلس عزاء حسينيّ في ذكرى وفاة الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام. وكان ذلك الاحتفال على نفقة صديقنا الأستاذ خميس حسين خميس من أهالي البحرين (رحمه اللّه تعالى).

لقد كان سيّدنا الأستاذ الإمام الأكبر السّيّد الخوئيّ (قده)، كهفًا للمسلمين الشّيعة في العالم بشكل عامّ، وللتّشيّع والشّيعة في العراق بشكل خاصّ. كما كان لي الشّرف الكبير في التّتلمذ عليه لمدّة أربع سنوات تقريبًا، ولأن أكون وكيله الشّرعيّ في فتوح كسروان وبلاد جبيل لمدّة طويلة.

وأمّا إجازتي عن الإمام الخوئيّ (قده) في الأمور الحسبيّة، فكانت ٢٢ ربيع في الأوّل في سنة ١٣٩٩هـ، صادرة عن النّجف الأشرف، والإجازة الثّانية منه (قده) كانت في ٣ صفر سنة ١٤٠٨هـ، صادرة عن النّجف الأشرف أيضًا. كما وردني رسالة تعزية بالإمام الخوئيّ (قده) من فضيلة مفتي طرابلس الجعفريّ الأستاذ الشّيخ عليّ محمود منصور مؤرّخة في ١٤/٨/ ١٩٩٢م، جاء فيها:

علاَّمةَ الشّعب إنّا إذ نشاطرُكُم	بما تقومون في فعلِ الكراماتِ
نرجو الخلودَ لمن قد كانَ رائدَنا	للدِّين في هذه الدّنيا وللآتي
في آية الله الأقلامُ شاهدة	كانتْ منابرنا نحوَ السّماواتِ
إنَّ أبا القاسمِ الخوئيَّ أكرمَهُ	ربِّي بما جاء من فضلٍ وآياتِ
قضى الحياة بنَشر العلمِ مغتبطاً	بما رَواه عن الأطهار ساداتي
وهل سوى علم أهل البيت ينفعُنا	في هذه الدّار إيصالاً لجنّاتِ
قد كان مرجعنا نأوي لحوزته	في كلّ ميدانِ علم للمباراةِ
فنربح الشّوط مهما طال مجلسنا	في بحث علمٍ وفي كلِّ المجالاتِ

لذا بما خطَّ من علم ومن أدبٍ ما زال حيًّا بإحياءِ الرّسالاتِ
والنّفسُ لا يعتريها الموتُ خالدة خلودَ انتاجها في حقلِها الذّاتي
ونفس مرجعنا الخوئيّ داخلة في الخُلد لا يحتويها الموتُ هيهاتِ

وممّا يجدر ذكره أنّه أرسل نسخة أخرى من تلك الرّسالة، وهذه الأبيات أيضًا إلى سماحة آية اللّه الشّيخ محمّد مهديّ شمس الدّين (قده) في حينه[١].

---

(١) قد فُجعنا بوفاة فضيلة المفتي الشيخ منصور رحمة الله تعالى في أواخر شهر رمضان المبارك ١٤٢٦ الموافق لاواخر شهر تشرين أول ٢٠٠٥م، أثناء تصحيح هذا الكتاب.

٣ ـ رسالة من آية الله العظمى السّيّد عليّ العلاّمة الفانيّ الأصفهانيّ (قده) إلى المصنّف

آية الله العظمى السّيّد عليّ العلاّمة الفانيّ الأصفهانيّ (قده) المتوفّى في قمّ المقدّسة في ٢٣ شوّال ١٤٠٩هـ، من كبار أساتذة بحوث الفقه والأصول في النّجف الأشرف، وفي أصفهان وقمّ. وقد حضر عليه في النّجف الأشرف جمع من قُدامى الطّلبة اللّبنانيين كان من أبرزهم آية الله الشّيخ محمّد مهديّ شمس الدّين (قده).

وقد أدركته (رحمه الله تعالى) في أوائل أيّام حضوري في النّجف الأشرف لدراسة السّطوح حيث كان قد اختصّ به، ولازمه مدّة طويلة صديقنا حجّة الإسلام الشّيخ محمّد يزبك حيث أفرد له منزلاً خاصًّا في جواره لسكناه مع عائلته الصّغيرة. وقد جاءت معرفتي به من خلال سماحة الشّيخ يزبك وسماحة الشّيخ يوسف دعموش (حفظهما الله تعالى). حيث كان يشملني وزملائي اللّبنانيين بالرّعاية والعطف والتّوجيه الصّحيح، وذلك عندما كنّا نجلس في رحابه.

وقد ترك النّجف الأشرف واستقرّ في مدينة أصفهان إمامًا وأستاذًا ومرجعًا لها في سنة ١٩٧٥م تقريبًا إثر المضايقات الكثيرة الّتي وجّهت إليه، وإلى طلاّبه من الحكومة العراقيّة وأجهزة استخباراتها الكثيرة.

وعندما زرت إيران مع ابن عمّي فضيلة الشّيخ عصمت عبّاس عَمرو في شهر شعبان لسنة ١٣٩٦هـ الموافق صيف عام ١٩٧٦م عرّجنا على

أصفهان ونزلنا في ضيافة صديقنا العلاّمة الشّيخ عبد الله الأخرس العامليّ. حيث قمنا آنذاك بزيارته (رحمه الله تعالى) مع الشّيخ الأخرس. وقد غمرنا في تلك الزّيارة بالرّعاية والعطف والتّوجيه والحنان الأبويّ.

ومن لطائف تلك الزّيارة أنّه التفت إلى ابن عمّي فضيلة الشّيخ وسأله عن اسمه؟ فأجابه: عصمت.

فلم يستحسن (رحمه الله تعالى) هذا الإسم التّركيّ الّذي يكرهه أهل أصفهان وينفرون منه ومن جميع الأسماء والمصطلحات التّركيّة البعيدة عن الذّوق الأصفهانيّ فقال له: حتّى لو أصبحت من كبار المجتهدين والمراجع فإنّ النّاس سوف ينفرون منك ولن يقلّدوك أو يرجعوا إليك بسبب هذا الإسم! وسوف أطلق عليك منذ الآن اسم: محمّد باقر.

فسكت فضيلة الشّيخ عصمت، وسكتُّ ولم نستطع جوابًا.

وعندما ودّعناه وانصرفنا إلى منزل صديقنا الشّيخ الأخرس شاهد فضيلة الشّيخ عصمت على أحد جدران أصفهان ورقة بلاغ ونعي إلى المؤمنين بوفاة فقيدهم العزيز الشّيخ محمّد باقر...

وفي اليوم الثّاني عندما زرناه (قده) للوداع أخبره فضيلة الشّيخ عصمت عَمرو بخبر تلك الورقة، وبوفاة الشّيخ محمّد باقر!

فضحك سماحته كثيرًا لجواب الشّيخ ولهروبه من هذا الإسم الجديد، بهذا النّبأ الظّريف!

وعندما وفّقني الله تعالى لطباعة كتاب «أبو تراب»، الطّبعة الأولى، في مطبعة القضاء في النّجف الأشرف في أواخر عام ١٩٧٦م، الموافق لعام ١٣٩٦هـ، أرسلت لسماحته إلى أصفهان بواسطة البريد نسخة هديّة فأرسل إليّ الجواب الآتي المؤرّخ في التّاسع من شهر ربيع الأوّل

١٣٩٧هـ. وقد ضاعت النّسخة الأصليّة من الرّسالة وبقيَ ما نقلته عنها في الصّفحتين ١٦٤ و ١٦٥ من التّذكرة القديمة، وهي على الشّكل الآتي:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

بعد السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلني كتابك الطّاهر المؤلّف في تكنية مولى الثّقلين بأبي تراب. فأبتهل إلى المولى، أن يوفّقك لتشييد مباني الفقه وأصوله وترويج تراث محمّد وأهل بيته ﷺ، وتنوير أفكار شعبك وملّتك، أخذ الله بعضدك فما أجمل صنعك، وألطف ذوقك، حيث اخترت للتّنويه باسم عليّ عليه السلام وإظهار مكارمه العالية بالكتابة حول كنيته المُقدّسة.

فسلامي عليك، وإلحاحي إليك أن تسلّم على عليّ عليه السلام تحت قبّته نيابة عن هذا البعيد المحروم من زيارة مرقده. وسلّم عنّي إلى جناب العلاّمة الفاضل المهذّب الحاجّ الشّيخ حسن طراد العامليّ. وسلّم على الشّيخ محمّد يزبك العامليّ دام تأييده والشّيخ عليّ العفّي وفّقه الله لمرضاته وسائر الأحبّة. وسلامي عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته.

عليّ الحسينيّ الأصفهانيّ

العلاّمة الفاني

٤ ـ مع سماحة شيخنا المرجع الدّينيّ آية الله الشّيخ محمّد تقيّ الفقيه (قده):

تقدّم الكلام عن سماحة شيخنا المرجع الدّينيّ آية الله الشّيخ محمّد تقيّ الفقيه (قده) في الباب الأوّل من الفصل الأوّل في الجزء الثّاني من هذا الكتاب، وفي الفصل الثّاني في الباب السّادس تحت عنوان: إجازات شرعيّة في الأمور الحسبيّة، فراجع.

والشّيء الّذي لم نقله هناك: أنّه رحمه الله كان يهتمّ بأمور المسلمين الشّيعة في بلاد جبيل وفتوح كسروان، ورعاية شؤونهم الدّينيّة من خلال زوج ابنته «السّيّدة أم رضوان» فضيلة الشّيخ عصمت عبّاس عَمرو، ومن خلال نجله الخطيب الحسينيّ فضيلة الشّيخ محمّد باقر الّذي كان يأذن له بالقراءة الحسينيّة في منطقتنا في سنوات ١٩٨٩م و ١٩٩٠م و١٩٩١م.

وفي كتابه: «جبل عامل في التّاريخ» الطّبعة الثّانية ١٩٨٦ دار الأضواء ـ الغبيري. قال في صفحة ١٩٢: «وأمّا حسين العَمرو أو حسين المرجي فربما يكونان واحدًا».

ثمّ قال في الهامش رقم (٢) من الصّفحة الآنفة الذّكر: «(٢) يوجد اليوم بيت في عاملة يسمّونه بيت المرجي يقيمون في قرية زبدين منهم الشّيخ أمين مرجي، وولداه الحاجّ محمّد أمين مرجي، والحاجّ عليّ مرجي وهم بررة أتقياء وقد حدّثنا الشّيخ أمين عن محمّد بك الأسعد أنّه

نزل ضيفًا على جدّه عندما كان ذاهبًا إلى جباع للنّظر في قضيّة تتعلّق بالشّيخ عبد الله نعمة والشّيخ عليّ الحرّ.

وقد حصلنا على قطعة خطيّة استنسخها الشّيخ يوسف عَمرو من الكتاب المخطوط الموجود عند آل عَمرو في وادي السّلوقيّ. وقد صرّح فيه بأنّ حسين العَمرو هو من آل عَمرو وذكر سبب تسميتهم ببيت المرجي، وربما يتّسع هامش هذا الكتاب في الطّبعة المقبلة لنشر قطعة من الكراسة الّتي وصلت إلينا فهي تتعلّق بما نحن فيه».

وتعليقتنا على ما ذكره (رحمه الله) أنّ ما كتبته في ١٤ آب ١٩٧٣م، وقدّمته لسماحته (قده) كان من إملاء المرحوم الشّيخ كامل كاظم عَمرو ومحفوظاته عن كتاب: «أمل الآمل في تاريخ قبائل جبل عامل، وجبل لبنان، والبقاع» للحرّ العامليّ، ومن محفوظاته. وقد طلبت من المرحوم الشّيخ كامل أن يُطلعني على ذلك الكتاب فوعدني خيرًا ولم يفعل!

وأمّا مزرعة السّلوقي فهي تقع غربي مدينة شمسطار، في قضاء بعلبك، وهي تابعة لبلديّة شمسطار، وحيث يسكن بها أرحامنا من آل عَمرو، وكانت مدينة شمسطار مع مزارعها أيّام المتصرفيّة تابعة لقضاء كسروان.

٥ ـ مع سماحة آية الله الشّيخ إبراهيم سليمان في كتابه: «بلدان جبل عامل»

في أوائل الخمسينات من القرن العشرين حلّ في بلدة علمات بتكليف من الإمام السّيّد محسن الطّباطبائيّ الحكيم (قده) وبطلب من الوجيه الكريم المرحوم الحاجّ إبراهيم عوّاد، وأهالي بلدة علمات سماحة آية الله الشّيخ إبراهيم سليمان، وقد استقرّ في بلدة علمات قرابة العامين ثمّ تركها، حيث عاد إلى النّجف الأشرف، وفي السّتينيّات من القرن الماضي وبناءً على طلب المسلمين الشّيعة في الكويت، والحكومة الكويتيّة، من الإمام السّيّد محسن الطّباطبائيّ الحكيم (قده)، بتكليف قاضي شرع للمذهب الجعفريّ في الكويت من قبله. قام الإمام الحكيم (قده)، بتكليف شيخنا الشّيخ سليمان بهذه المسؤوليّة الشّرعيّة الّتي تولاّها من قبل الحكومة الكويتيّة خير قيام. وقد بقي في الكويت إلى حين بلوغه سنّ التّقاعد القانونيّ حيث عاد بعدها إلى قريته البيّاضة في قضاء صور في أواخر السّبعينات من القرن الماضي. وعندما قام (حفظه الله تعالى) بزيارة النّجف الأشرف في أوائل السّبعينات حلّ ضيفًا في منزل أستاذنا سماحة آية الله الشّيخ مُحمّد مفيد الفقيه (دام ظلّه). وقد قمت مع زملائي من اللّبنانيين بزيارته، وعندما عرف أنّني من قضاء كسروان رحّب بي ترحيبًا حارًا، وحثّني على متابعة هذا الطّريق، وأخبرني عن بعض ذكرياته عن قرية علمات والقرى المجاورة لها... وممّا يجدر ذكره أيضًا أنّ شيوخ بلدة علمات يحتفظون بذكريات جميلة، ولطيفة عنه، وفي كتابه: «بلدان

جبل عامل» الصّادر عن مؤسّسة الدّائرة ـ بيروت، في سنة ١٩٩٥م، لم ينسَ بلاد جبيل وكسروان. حيث قام بنقل ما كتبته في مجلّة «الوحدة الإسلاميّة» الصّادرة عن تجمّع العلماء المسلمين في العدد ١٦١٧، تشرين الثّاني ١٩٨٤م، الموافق لشهر صفر ١٤٠٥هـ، تحت عنوان: «المسلمون في جبيل وكسروان وجود إسلاميّ أصيل» من الصّفحة ٦٥٣ ولغاية الصّفحة ٦٥٩ بدون تعليق، وإنّما ذكر تلك المقالة لفظًا بلفظ.

وكذلك قام بنقل ما كتبناه أيضًا لفظًا بلفظ في مجلّة العرفان المجلّد ٧٢، كانون الثّاني ١٩٨٤م، تحت عنوان: «نظرة على ماضي وحاضر الشّيعة في بلاد جبيل وكسروان» في كتابه الآنف الذّكر من الصّفحة ٦٥٩ ولغاية الصّفحة ٦٧٣.

توفاه الّله في العام ٢٠٠٤م ونقل جثمانه الطاهر إلى النجف الاشرف في تشييع مهيب. وقد قيل في رثائه قصائد كثيرة، منها ما قاله فضيلة العلامة الاديب الشيخ حسن شاهين من قصيدة بلغت ١٨ بيتاً. نقتطف منها ما يلي:

يا شيخُ ابراهيمُ يا عَلَمَ الهدى ... إنَّ العلومَ تلألأتْ أنوارا
يا شيخُ ابراهيمُ لا لا لم تَمُتْ ... فعلى هُداك سنقتفي الآثارا
من كان مثلك ذا يراع مُبدعٍ ... يُبقي له في كلّ قلب دارا
أمَّا وقد جاورتَ روضة حيدرٍ ... فلقد كتبت لإسمك استمرارا
لاغرو إن ضجَّت لفقدك عاملٌ ... لاغرو إن لفَّ السواد ديارا.

٦ ـ مع سماحة شيخنا الأستاذ آية الله العلاّمة الشّيخ حسن طراد العامليّ دام ظلّه

سماحة شيخنا الأستاذ آية الله الشّيخ حسن طراد العامليّ، دام ظلّه، هو قطب من أقطاب العلم، والتّقوى، والاجتهاد، والأدب في لبنان، ومرجع من مراجع الصّلاح، والإصلاح في السّاحة الإسلاميّة العامليّة، وأستاذ في الفقه والأصول، نهل عليه الكثير من أهل الفضل والعلم: أيّام النّجف الأشرف، وفي معهد الرّسول الأكرم ﷺ للدّراسات العليا في بيروت. وقد نهلت عليه في النّجف الأشرف واستفدت من نمير علمه وأخلاقه. وخلاصة القول أنّه يصدق عليه قول أمير الشّعراء أحمد شوقي:

قف للمعلّم وفّه التّبجيلا ... كاد المعلّم أن يكون رسولاً

١ ـ تفضّل سماحة آية الله الشّيخ حسن طراد العامليّ بهذا التّقديم لكتاب «أبو تراب»، بعد مراجعته له وإبداء ملاحظاته القيّمة. الطّبعة الأولى في مطبعة القضاء في النّجف الأشرف ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

من وحي أبي تراب عليه السلام

نور الحقيقة والصّواب ... متمثّلٌ بأبي ترابِ
عنوانُ مجد شامخ ... متنزّهٌ عن كلّ عابِ
قد أبدعته يدُ السّما ... ليجيء بالعَجَب العُجابِ

ويكونَ نفسَ محمّد　　في حفظ أحكام الكتابِ
فعلومه من علمه　　وبيانه فصل الخطابِ
كم شعَّ من أفكاره　　نورٌ محا ظُلَمَ ارتيابِ
وأنار منهاج الرّشا　　د لطالب نهجَ الصّوابِ
وحمى بصارم عزمه　　شَرع النّبيِّ من انعطابِ
ليظلَّ وضّاح السَّنا　　عبر المدى، غضّ الأهابِ
يحيى الأنام بما يجو　　دُ به، ويعطي من لبابِ
فتعبُّ من نبع الحقيقة　　لا تُخادَعُ بالسَّرابِ
هذي الحقائق قد تجـ　　ـلَت في كتاب (أبو ترابِ)
أملاه ـ يوسف ـ من هدى الـ　　ـكرّار ـ هديًا للشّبابِ
ليحقِّقوا هدف السَّماءِ　　ويسعدوا يوم الحسابِ

النّجف الأشرف

في يوم الأربعاء ٣٠ رجب الحرام ١٣٩٦هـ



٢ ـ وممّا تفضّل به علينا أيضًا سماحة آية الله الشّيخ حسن طراد العامليّ (دام ظلّه) بمناسبة تعزيته بوفاة الوالد الحاجّ «أبو يوسف» الحاجّ محمّد جعفر عَمرو في ٧/ ٦/ ١٩٩١م.

صبرًا على حُكمِ القضا يا يُوسفُ　　ولأنتَ أدرى بالقضاء وأعرفُ
إن غاب والدُكَ الجليلُ فلم يزل　　ببقاك يسمو في الحياةِ وَيُشرفُ
لا زلت رمزًا للفضيلة ساميًا　　يعطيه حقَّ الاحترام المُنصِفُ
ما أشرقت شمسٌ وأنشدَ بلبلٌ　　لحنًا به سمعُ الزَّمَانِ يشنَّفُ

٣ ـ وإليك أيضًا ما تفضّل به علينا سماحة آية الله الشّيخ حسن طراد العامليّ دام ظلّه، بمناسبة تعزيته بوفاة الوالدة الحاجّة «أم يوسف» رقيّة محمّد حسين عَمرو، في ٨/ ٦/ ١٩٩٤م، الواقع في ليلة ٣٠ ذي الحجّة ١٤١٤هـ.

إن غُيِّبَت أمُّ الفضيلة والعُلى عنّا بجسم وانطوى جُثمانُ
فلسوفَ يُحيي ذكرَها عبر المدى بين الأنامِ البرُّ والإحسان
من فضل معهدها تخرّج عالمٌ نَدْبٌ جليلٌ بالتّقى مزدانُ
نهل المعارفَ من منابعِ فيضه اهديًا تشعُّ بنوره الأذهانُ

٤ ـ ولمّا لم يتمكّن سماحة آية الله الشّيخ حسن طراد دام ظلّه من تلبية دعوتنا في تلك ليلة من ليالي شهر رمضان المباركة، «وهي دعوة المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان للإفطار في مطعم الكوستا برافا ـ خلدة»، فأرسل لنا هذه القصيدة الجميلة والمؤرّخة في ١١ رمضان ١٤١٦هـ، الموافق ٣/ ٢/ ١٩٩٦م.

«بدافع الحبّ والإخلاص والتّقدير والإجلال، لأعضاء المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان، برئاسة سماحة العلاّمة الجليل أخي العزيز الوفيّ المجاهد الشّيخ يوسف عَمرو حفظه الله.

أهديت الأبيات الآتية لسماحته وبقيّة أعضاء هذه المؤسّسة المباركة وسائر الإخوان المتعاونين معهم على البرّ والإحسان.

ومؤسَّسٌ قد شيْدَ بالإيمانِ من أجل نشر البرِّ والإحسانِ
لا شكّ يحظى بالنّجاح ويجتني ثمرَ المنى بعناية الدّيَّانِ
وينال دعم المحسنين ببذل ما يهبونه عنّا لنيل جنانِ
وبذاك يجنون الثّناء معجَلاً والفوزَ يوم الحشر بالرّضوانِ
ولذا أزفُّ التّهنئات لكلِّ من وافى لهذا الحفلِ من إخواني
نالوا بذاك من الإله ثوابهم والشّكر يتحفه أخو الإيمانِ
وأخصُّ بالذّكرِ المعطَّر عالمًا فذًّا سما بمكارم القرآنِ
أعني بذلك يُوسفَ الفضل الّذي قد شعَّ بدرًا في سما الأذهانِ
وأنار درب المكرمات مُوجّهًا بأشعّة الإيمان والعرفانِ
آثاره الغرّاء أصدقُوا شاهد يُملي بأفصح منطق وبيانِ
أسفارُهُ وجهودُهُ من أجل أن يجدي الورى تُغني عن التّبيانِ

وقضاءهُ بالعدل منقبةٌ لها | يُحمى الهدى ومصالحُ الإنسانِ
وبنيله حُبَّ الأنام مؤسّسًا | يزهو بنور تعاطفٍ وحنانِ
هو منبعُ للخير يمنحُ جائعًا | شبعًا ويكشف غلّة الظّمآنِ
والخلق عائلة الإله ومن حبا | نفعًا لها يدنو من الرّحمنِ
لا زال عالمنا الجليلُ مؤيّدًا | عبر المدى بعناية المنّانِ
ما أشرقت شمسٌ وغرّد بلبل | يُجلو الكروب بأعذب الألحانِ»

٥ ـ وممّا تفضّل به علينا أيضًا سماحة شيخنا الأستاذ آية الله الشّيخ حسن طراد العامليّ (دام ظلّه)، تعزية لنا، وللعلماء والطّلبة الدّينيين من آل عَمرو، ولعائلة آل عَمرو بفقد المرحوم الحاجّ منير بن عليّ بن مشرف بن الحاجّ يحيى آل عَمرو «أبو رياض»، هذه الأبيات مؤرّخة في ١٩/ ٤/ ١٤٢٢هـ، الموافق ١٠/ ٧/ ٢٠٠١م، إذ ألقاها من فوق منبر حسينيّة الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام في المعيصرة، عصر يوم الخميس الواقع في ١٢/ ٧/ ٢٠٠١م، ثمّ قدّمها لي، وهي مع مقدّمتها على الشّكل الآتي:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

نظمت القصيدة الآتية، لتلقى في ذكرى اليوم الثّالث لوفاة الأخ العزيز والمؤمن الصّالح الحاجّ أبي رياض منير عَمرو (رحمه الله)، وفاءً لبعض حقّه الأخويّ، وحقّ أسرته المؤمنة آل عَمرو الكرام، المعروفين بالنّبل، والشّهامة، ومكارم الأخلاق. وخصوصًا الأخ العزيز سماحة العلاّمة الجليل، والمجاهد المخلص الشّيخ يوسف عَمرو (حفظه الله)، وسدّد خطاه. والخطاب في مستهلّ القصيدة موجّه إلى الفقيد العزيز المغفور له:

أشرقت في أفق الوجود مُنيرا | بدرًا لتبعث في القلوب سرورا
ومضيت في درب الحياة مُجاهدًا | لتنَال أجرًا بالجهاد كثيرا
وختمت عُمرًا بالصّلاح مُباركًا | في بيت ربِّك مُشرفًا ومُديرا
وحملت آلامًا بدائك صابرًا | لتنال أجرًا سابغًا وكبيرا

ورحلت عن دار الفناء مجاورًا ربًّا كريمًا راحمًا وغفورا
وبقيت بين أحبّة وأقارب دومًا بأوصاف الثّنا مذكورا
ولنا العزاء بمن تركت أحبّة تَحكيك خُلقًا عاطرًا ونضيرا
والسّادة العلماء أفضل سلوة إذ كان كلّ بالتّقى مشهورا
وأخصُّ بالذّكر المعطّر يُوسفًا بالفضل أضحى بالثّناء جديرا
جعل الشّريعة مصدرًا لقضائه بين الأنام وطبّق الدّستورا
ومضى على نهج السّما مؤلّفًا كُتُبًا تُبثُّ على العقول النّورا
(وأبو تراب) شاهد ومحدِّثٌ عمّا ذكرت ليكشف المستورا
وإلى الحضور تعازيًا بفراق من أضحى الجميع بفقده مقهورا
وأنا المُعزَّى بالفقيد لأنّه قد كان خلاً مُخلصًا ونصيرا
ولروحه تُهدى الفواتحُ كُلَّمَا طلع الصّباح على الحياةِ مُنيرا

٧ ـ مع سماحة آية الله
الشّيخ احمد البهادلي دام ظلّه في المعيصرة:

سماحة آية الله الشّيخ أحمد بن الحاجّ كاظم السّد خان، زعيم عشيرة البهادل المولود في عام ١٣٥٥هـ الموافق لعام ١٩٣٦م. قال عنه العلاّمة الدّكتور الشّيخ محمّد هادي الأميني (قده): «عالم جليل كامل، مؤلّف محقّق متتبّع في الفقه والأصول، عُرف في الأوساط العلميّة بأدبه الجمّ وفضله الواسع، وخبرته اليافعة، وُلد في مدينة العمارة بالعراق، وتلقّى علومه الإسلاميّة في الحوزة العلميّة بالنّجف الأشرف، وحضر على العلاّمتين الشّيخ محمّد أمين زين الدّين، والشّيخ الرّاحل عليّ زين الدّين، ونبغ في التّدريس في المدارس الدّينيّة بالنّجف، وبحلقات الدّراسة في الجوامع فتخرّج عليه نفر من نخبة طلبة العلم، أمثال السّيّد عبّاس (أبو عليّ) الموسويّ، والشّيخ حسن عبد السّاتر، والشّيخ يوسف عبد السّاتر، والشّيخ أحمد طراد، والشّيخ ضياء الدّين زين الدّين، والحاجّ عليّ دخيّل، والشّيخ سلمان البهادلي، والشّيخ حسين العبد الله، والشّيخ عبد الرّسول القطيفيّ، والشّيخ أحمد العربيّ، والأستاذ عبد الحسين البقّال، والشّي حسين معن، والشّيخ خير الله البصريّ وغيرهم.

شارك في اللّجنة العلميّة المكلّفة بتحقيق موسوعة (اللّمعة الدّمشقيّة) صدرت عن (الجامعة الدّينيّة النّجفيّة).

أولاده: الأستاذ عليّ، حسين مات سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م. الأستاذ

محمّد باقر ماجستير في الحقوق من جامعة بغداد، محمّد كاظم خرّيج كليّة الآداب ببغداد، الأستاذ محمّد جعفر خرّيج كليّة الآداب ببغداد، الأستاذ محمّد جواد الطّالب بكليّة الفقه.

له: من أوبئة المجتمع، سلسلة دروس أخلاقيّة نشرت منها الحلقة الأولى بعنوان (الغيبة) عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م. محاضرات في العقيدة الإسلاميّة ط. وأعيد طبعه خمس مرّات. محاضرات في أصول الفقه، طبعتها كليّة الفقه ضمن كتبها الدّراسيّة المقرّرة. تفسير القرآن «معجم رجال الفكر والأدب في النّجف» ج١/ ص ٢٦٧.

ونستطيع أن نستدرك على هذه التّرجمة لشيخنا البهادليّ (دام ظلّه) ما أتحفني به ولده الدّكتور الشّيخ عليّ (قده) من ترجمة له مخطوطة بخطّ يده كما يأتي: إنّ من أهمّ أساتذته في بحث الخارج في الأصول والفقه هو الإمام السّيّد أبو القاسم الموسويّ الخوئيّ (قده) وكان وكيلاً من قبله في مدينة الهنديّة قرب كربلاء.

كما أنّه (حفظه الله تعالى) درّس في جامعة النّجف الأشرف الدّينيّة منذ عام ١٩٦٠م ولغاية عام ١٩٨٠م، شغل فيها منصب نائب للعميد، ومشرفًا على المجلّة الّتي كانت تصدر عنها تحت عنوان: «دراسات إسلاميّة» وعلى تحقيق موسوعة اللّمعة الدّمشقيّة في الفقه الجعفريّ وغيرها من كتب. كما شغل منصب عضو في جمعيّة منتدى النّشر ونائبًا للرّئيس منذ عام ١٩٧٠م وأستاذًا في كليّة الفقه التّابعة لها في مادتي العقيدة، وأصول الفقه، ومؤسّسًا لقسم الدّراسات العالية بها، وحتّى تاريخ حلّ هذه الجمعيّة وتلك الكليّة من قبل النّظام العراقيّ البائد.

وأمّا مصنّفاته الأخرى الّتي لم يذكرها الدّكتور الأميني (قده) فهي:

١ ـ رسالة الحياة، جامعة النّجف الأشرف عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٢ ـ في تهذيب النّفس: ط أولى، دار حسام للطّباعة ـ بغداد، ١٩٩٤م. ط ثانية، دار التّعارف ـ بيروت، ١٩٩٥م.

٣ ـ في آداب العشرة: ط أولى، دار حسام للطّباعة ـ بغداد، ١٩٩٤م. ط ثانية، دار التّعارف ـ بيروت، ١٩٩٥م.

٤ ـ مفتاح الوصول إلى علم الأصول (جزءان): ط أولى، دار حسام للطّباعة ـ بغداد، ١٩٩٤م. ط ثانية، دار التّعارف ـ بيروت، ١٩٩٥م.

٥ ـ الصّفات الإلهيّة في أشهر المذاهب الإسلاميّة: ط أولى، دار حسام للطّباعة ـ بغداد، ١٩٩٨م.

٦ ـ منع الحمل وإجهاض النّطفة في الفقه الإسلاميّ والدّيانة المسيحيّة: ط أولى، دار حسام للطّباعة ـ بغداد، ١٩٩٩م. ط ثانية، مؤسّسة الفكر الإسلاميّ ـ بيروت، ٢٠٠١م.

٧ ـ طاعة الرّسول الأعظم ووجوبها الإرشاديّ في الكتاب والسّنّة، مخطوط.

٨ ـ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، مخطوط.

٩ ـ حديث الأحكام، مخطوط.

١٠ ـ الفقه المقارن، مخطوط.

١١ ـ محاضرات في العقيدة الإسلاميّة، طُبع عدّة مرّات في العراق ولبنان.

كان اللّقاء مع سماحة شيخنا آية الله الشّيخ أحمد البهادليّ (دام ظلّه) على مائدة سماحة العلاّمة الشّيخ قاسم قبيسي إمام مسجد الشّياح القديم بعد صلاة ظهر يوم الإثنين في ٢٨ كانون الثّاني ٢٠٠٣م، الموافق ١٤ ذو القعدة ١٤٢٢هـ حيث اجتمع على مائدة الشّيخ القبيسي أيضًا جمع من العلماء والفضلاء العراقيين واللّبنانيين من تلامذة وأصدقاء سماحة الشّيخ البهادليّ (دام ظلّه).

وكان اللّقاء بسماحته مؤثّرًا ولطيفًا وجميلاً حيث وجدته (دام ظلّه) بعد فقده لولده فضيلة الشّيخ الدّكتور عليّ كالطّود الشّامخ الّذي لم تؤثّر فيه الأعاصير، رابط الجأش، مسلّمًا أمره إلى الله تعالى تعلو وجهه أنوار نجفيّة، وثقة بالله تعالى، وتوكّل عليه سبحانه في جميع أموره الّتي قام بها في لبنان خلال إقامته القصيرة والّتي كانت قرابة الشّهرين قام خلالها برعاية أرملة ولده «أم أحمد» وأحفاده الثّلاثة «سنين وأحمد وحسن» وتوفير مدخول شهريّ لهم جميعًا من خلال تأجير الشّقة الّتي كان يملكها المرحوم ولده في منطقة العمروسية العقاريّة، وبدفع مبلغ مالي يقوم بكفايتهم مع إيجار الشّقّة لمدّة عام من تأريخه، وبعمل حصر إرث شرعيّ لولده مع وصاية شرعيّة على الأيتام كلّفني بها النّيابة عنه بعد اعتذار عمّ «أم أحمد» الحاجّ محمّد الحاجّ عليّ تامر عَمرو رحمة الّله تعالى، عن القيام بها. كما قام أيضًا بطباعة بعض كتبه الآنفة الذّكر في لبنان.

كما قام (حفظه الله تعالى) بتلبية دعوتي على العشاء مساء يوم الثّلاثاء في ٢٩ كانون الثّاني لعام ٢٠٠٢م حيث قمت بدعوة جمع من العلماء الأعلام والفضلاء، وكان أبرز الّذين أتوا لزيارته في تلك اللّيلة، أو من الّذين لبّوا دعوتي للعشاء سماحة آية الله الشّيخ حسن طراد العامليّ (دام ظلّه)، والعلاّمة السّيّد حيدر نجل آية الله العظمى السّيّد محمّد سعيد الحكيم (دام ظلّه)، وحجّة الإسلام السّيّد عبّاس عليّ الموسويّ، والعلاّمة الشّيخ عليّ خازم، وحجّة الإسلام النّائب الأسبق السّيّد إبراهيم أمين السّيّد، والعلاّمة الشّيخ محمّد كوثراني، وفضيلة الأخ الأستاذ الحاجّ حامد الخفّاف، والعلاّمة السّيّد محمّد هادي الخرسان، والعلاّمة الشّيخ محمّد حسين عَمرو، والعلاّمة الشّيخ عصمت عبّاس عَمرو، وفضيلة الشّيخ شريف حسين عَمرو، والأستاذ الحاجّ أحمد قيس، وفضيلة الأستاذ محمّد حسن، والأستاذ رامي كنعان، والحاجّ سامي عبّاس عَمرو، والحاجّ محمّد الحاجّ عليّ تامر عَمرو رحمة الله تعالى والحاجّ شهاب عَمرو

وشقيقاه: مُحَّمد والمرحوم عليّ أبناء المرحوم الحاجّ حسين عَمرو مختار قرية المعيصرة الأسبق، وبعض الطّلبة العراقيين من طلاّب حوزة المرحوم ولده سماحة الدّكتور الشّيخ عليّ (قده).

كان سماحته (دام ظلّه) في هذه الأمسية والذّكرى العطرة الّتي قرأنا بها الفاتحة عن روح ولده المرحوم الدّكتور الشّيخ عليّ، راضيًا بقضاء الله تعالى وقدره وإزاء جميع الأسئلة الّتي وجّهت إليه كان جوابه بتسليم أمره، وأمر الشّيعة في العراق وحوزة النّجف الأشرف إلى الله تعالى، وهو موقف الإمامين السّيّدين السّيستاني والحكيم وسائر مراجع النّجف الأشرف الأعلام الشّبيه بموقف عبد المطلب (رضوان الله تعالى عليه) أمام إبرهه الحبشيّ وفيله وجيشه عندما أرادوا مهاجمة الكعبة، والقضاء على بيت الله تعالى!

وعندما قام (حفظه الله تعالى) بزيارة المعيصرة عصر يوم السّبت الواقع في ٢٣ شباط أقمت على شرفه مأدبة صغيرة في منزلي دعيت لها أبناء المرحوم مختار المعيصرة الأسبق، ومختار المعيصرة السّيّد غازي نجيب عَمرو، ومدير ثانويّة المعيصرة الرّسميّة الدّكتور حسن حيدر أحمد، وبعض الأرحام، كما أقام أبناء مختار المعيصرة الأسبق الحاجّ حسين عَمرو وهم: الحاجّ شهاب، ومحمّد، والمرحوم عليّ ظهر يوم الأحد في ٢٤ شباط عام ٢٠٠٢م مأدبة على شرفه، حضرها بعض الأرحام ومختار المعيصرة. وقد أقمت عصر ذلك اليوم في حسينيّة المعيصرة مجلس عزاء عن روح ولده المرحوم الدّكتور الشّيخ عليّ حيث كان القارئ فضيلة الشّيخ أحمد شحادة. كان الحضور في المجلس جيّدًا على الرّغم من حالة الجوّ الباردة، وقد تكلّمت فيه بكلمة عن المرحوم الدّكتور الشّيخ عليّ، وما تركه في نفسي ونفوس أهالي المعيصرة من آثار حسنة وذكريات جميلة، وأنّنا نعتبر وجود مرقده في المعيصرة وسامًا على صدورنا، ومصدر فخر لنا في الدّنيا والآخرة.

٨ ـ مع سماحة حجّة الإسلام السّيّد أبو الفتح دعوتي في الغبيري:

سماحة حجّة الإسلام السّيّد أبو الفتح دعوتي من رجال العلم والقلم والسّياسة في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، له باللّغة الفارسيّة أكثر من مائتي كتاب في مختلف العلوم والفنون، إضافة إلى كتاب واحد باللّغة العربيّة هو مُسند بُريدة الأسلمي وفيه تحقيق لأحاديث بُريدة الأسلمي ولأحاديثه عن رسول الله ﷺ. وقد اختارته القيادة في الجمهوريّة الإسلاميّة لتمثيلها الدّبلوماسيّ في عدّة دول في القارّة الأفريقيّة، وفي إسبانيا خلال عشرين عامًا ثمّ اختاره القائد آية الله العظمى السّيّد عليّ الحسينيّ الخامنئيّ (دام ظلّه) مستشارًا له نظرًا لخبرته وكفاءته.

وقد عرفته من خلال صهره لابنته فضيلة الأخ الفاضل الأستاذ السّيّد محمود رضا أكملي الأستاذ في حوزة الإمام الهادي عليه السلام في حارة حريك. إذ كان صهره ـ الآنف الذّكر ـ يحدّثني عنه في جميع اللّقاءات والجلسات الّتي كنت ألتقيه بها.

وقد فوجئت في ليلة السّبت الموافق ٣٠ شوّال ١٤٢٣هـ الواقع مساء يوم الجمعة في ٢٣ كانون الثّاني بزيارته لنا مع صهره السّيّد محمود وزوجه وطفليهما في منزلنا في الغبيري قادمين من بعلبك وكان الطّقس باردًا وممطرًا، اعتبرت هذه الزّيارة نعمة من الله تعالى غير متوقّعة، وقد وفّقني الله تعالى للقيام بضيافتهم وللسّهر مع سماحته، وتقديم نسخة من

مؤلّفاتي هديّة له، ونسخ أخرى هديّة لسماحة السّيّد القائد (دام ظلّه). وقد سألني عن بعض المعاني في سورة الإسراء في القرآن الكريم حيث تباحثنا بها من خلال ما ذهبت إليه في تفسير تلك المعاني في كتابي: «المسيح الموعود والمهديّ المنتظر».

كما أخبرني (حفظه الله تعالى) عن يوم مولد كريمته وهي زوج السّيّد محمود وأنّه كان في ليلة ١١ شباط عام ١٩٧٩م، ليلة انتصار الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران.

وقد انطلق مع أسرته الصّغيرة بعد أن أمضوا سواد تلك اللّيلة عندنا صباح يوم السّبت إلى مطار بيروت الدّوليّ عائدين إلى طهران.

وبعد تلك الزّيارة زادت معرفتي بهذا السّيّد الجليل إيماني الكبير أنّ الله تعالى أيّد الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة برجال صدق يتواصون بالحقّ والصّبر، ويسهرون على خدمة المستضعفين في الأرض.

٩ ـ مع سماحة
الدّكتور الشّيخ محمّد حسين الصّغير

عندما كنت طالبًا في النّجف الأشرف تعرّفت على سماحة الدّكتور الشّيخ محمّد حسين الصّغير من خلال قصائده وشعره عن فلسطين، وقضايا المسلمين المصيريّة في بعض المجلاّت الأدبيّة النّجفيّة ولم أوفّق لمعرفته إلاّ قبل ظهر يوم الإثنين في ٢٠٠١/٩/١٧م في مكتب الإمام السّيّد السّيستاني (دام ظلّه) في بيروت، حيث كان في ضيافة الأخ الفاضل الحاجّ حامد الخفّاف. وقد وجدت فيه شخصيّة الأديب الشّاعر، والعامل المحقّق، والأكاديميّ الباحث، والّذي اختار البقاء في النّجف الأشرف إلى جوار أمير المؤمنين عليه السلام مُدافعًا عن حياض الإسلام والتّشيّع بالكلمة وبالإشراف على مائة رسالة ماجستير ودكتوراه في الدّراسات القرآنيّة والبلاغيّة والنّقديّة على مغادرة العراق، مؤمنًا أنّ سياسة البقاء في هذا السّجن الكبير الّذي اسمه العراق إلى جانب المرجع الأعلى للطّائفة الإسلاميّة الشّيعيّة الإمام السّيّد عليّ الحسينيّ السّيستانيّ (دام ظلّه)، وسائر مراجعنا وعلمائنا الأعلام هو تكليفه الإنسانيّ والشّرعيّ، لما فيه من محافظة على بيضة الإسلام المتمثّلة بالحوزة الدّينيّة في النّجف الأشرف.

كما كان لي الشّرف الكبير في دعوته على الغداء مع الأخ الفاضل الحاجّ حامد الخفّاف بعيد صلاة يوم الجمعة في ٢٠٠١/٩/٢١م

والموافق ٤/رجب/١٤٢٢هـ في منزلي في الغبيريّ، وقد دعوت على شرفه السّادة:

١ ـ الأستاذ الحاجّ حامد الخفّاف.

٢ ـ سماحة الشّيخ قاسم قبيسي إمام جامع الشّياح القديم.

٣ ـ سماحة الشّيخ محمّد حسين عَمرو.

٤ ـ فضيلة الشّيخ عصمت عبّاس عَمرو.

٥ ـ فضيلة الشّيخ محمّد أحمد حيدر.

٦ ـ فضيلة الشّيخ محمّد مرتضى حسن.

٧ ـ الحاجّ أحمد قيس.

٨ ـ الأستاذ رامي أحمد كنعان.

٩ ـ الحاجّ زهير نزيه عَمرو.

١٠ ـ الحاجّ ماجد الخفّاف.

وفي هذا الاجتماع المبارك نهلنا من بعض نمير علمه وأدبه المبارك، كما تكلّم (حفظه الله تعالى) عن ردّه على شبهات أحمد الكاتب حول الشّيعة والتّشيّع في كتابه الّذي أهداه لي بهذه المناسبة وهو تحت عنوان: «الفكر الإماميّ من النّصّ حتّى المرجعيّة»، وعن مواقفه الأخرى اتجاه بعض الكتّاب الّذين يتكلّمون عن الشّيعة والتّشيّع دون الإطّلاع على مصادرهم الموثوقة.

وقد قمت بإهدائه بعض النّسخ من كتبي من منشورات دار المؤرّخ العربيّ وهي: أبو تراب عليه السلام في طبعته الخامسة، والمسيح الموعود والمهديّ المنتظر عليهما السّلام في طبعته الأولى، والموجز في علمي الدّراية والحديث في طبعته الأولى.

كما قمت بإرسال نسخ منها بواسطته لسماحة الإمام السّيّد السّيستانيّ في النّجف الأشرف.

وفي عام ٢٠٠٢م عندما دُعيت إلى مائدة سماحة الشّيخ قبيسيّ في الشّياح على شرف الدّكتور الصّغير مع ثلّة من أهل العلم والفضل، توجّه (حفظه الله تعالى) إليّ بالكلام ناقلاً لي تحيّات الإمام السّيّد السّيستانيّ (دام ظلّه) وإعجابه بمؤلّفاتي الآنفة الذّكر. بعد أن تكلّم عنّي أمام سماحته (دام ظلّه). فشكرته على هذه المبادرة الكريمة. حامدًا الله تعالى على هذا التّوفيق، وعلى صحبته ومعرفته (حفظه الله تعالى).

وبعد فقد جاء عنه (دام حفظه) مُعرّفًا نفسه في سطور في كتابه الآنف الذّكر الّذي أهدانيه الآتي:

«الدّكتور الشّيخ محمّد حسين الصّغير، وُلد في النّجف الأشرف ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

التحق بالحوزة العلميّة بالبحث الخارج العالي للإمام الخوئيّ عام ١٩٧٥م.

حصل على جائزة الرّئيس جمال عبد النّاصر للدّراسات العليا في جامعة القاهرة عام ١٩٦٩م.

أكمل دراسته العليا في جامعة بغداد، وجامعة القاهرة، وجامعة درهام البريطانيّة.

حصل على دكتوراه في الآداب بدرجة الامتياز ومرتبة الشّرف الأولى ١٩٧٩م.

حصل على درجة الأستاذيّة (البروفسير) عام ١٩٨٨م.

مؤسّس الدّراسات العليا في كليّة الفقه في النّجف الأشرف عام ١٩٨٥م.

مؤسّس الدّراسات العليا في جامعة الكوفة عام ١٩٨٨م.

حصل على مرتبة الأستاذ الأوّل في جامعة الكوفة في عام ١٩٩٣م.

أشرف وناقش أكثر من مائة رسالة ماجستير ودكتوراه في الدّراسات القرآنيّة، والبلاغيّة، والنّقديّة. أصدر أكثر من خمسين بحثًا علميًّا وعشرين مؤلّفًا».

١٠ ـ مع سماحة حجّة الإسلام
السّيدّ فخر الدين أبو الحسن في المعيصرة.

سماحة حجّة الإسلام السّيِّد فخر الدين السّيِّد عبَّاس أبو الحسن الموسويّ العامليّ إمام مدينة الغازيّة في جنوب لبنان عرفته عن قرب عندما زار النجف الأشرف في أوائل السبعينيات من القرن الماضي، ونزل في ضيافة شقيقه العلاّمة السّيِّد إبراهيم في محلة الجديدة. حيث كنت مع بعض زملائي من طلبة العلوم الدينيَّة اللبنانيين نزوره بين الحين والآخر للتعرف عليه ولنستفيد من علمه وأخلاقه.

كما كان لي الشرف في زيارته في مدينة الغازية في صيف عام ١٩٩٥م لتعزيته بوفاة المرحومة والدته[١] حيث تكررت زياراتي له بعد ذلك في بعض المناسبات إذ كنت أستقبل منه بالحفاوة والاحترام.

ومساءَ يوم السبت الواقع في ٢٣ حزيران ٢٠٠١ كنت مُجتمعاً في منزلي في الغبيري مع بعض أرحامي من آل عَمرو، وبعض أصدقاء المرحوم الدكتور الشيخ علي البهادليّ (قده) نتداول في قضية تشييع جنازته ودفنه ونقله إلى مثواه الأخير... إذ كان إقتراحي وإقتراح آل عمرو دفنه في المعيصرة، وكان إقتراح أصدقائه العراقيين نقله إلى النّجف

---

(١) لقد تكلّمت عن زيارتي الأولى الآنفة الذكر لسماحته في مدينة الغازيّة في صيف عام ١٩٨٥م في الجزء الثاني من كتابي، "التذكرة أو مذكرات قاض" ص: ٤٠٥، راجع.

الأشرف، أو دفنه في جبانة روضة الشهيدين في الغبيري. اللّهم إن لم نتمكن من نقله إلى مسقط رأسه في النجف الأشرف. وقد طال الكلام، والنزاع والجدال بيننا دون الوصول إلى نتيجة حاسمة. كما إتصل بعض الأخوة العراقيين آنذاك بصهر المرحوم البهادليّ فضيلة الدكتور رشاد الأنصاريِّ في هولندا لمعرفة رأيه، ورأي والد الفقيد سماحة آية الله الشيخ أحمد البهادلي بهذه القضية؟.

ولكن جواب الشيخ الأنصاريِّ كان غير حاسم، وبعد جدال ونقاش فوجئنا بقدوم سماحة السّيِّد أبو الحسن لزيارتنا للتعزية ولقراءة الفاتحة. فشكرت له إطلالته البهيَّة علينا. وطرحت عليه موضوع النزاع مع الأخوة العراقيين طالباً منه حلَّ هذا الإشكال والجواب؟.

وبعد أن طرح علينا سماحته وعلى الأخوة العراقيين بعض الأسئلة أجاب (حفظه الله تعالى) بما يلي: ما دام الطبيب الشرعيّ الذي كشف على الجثة قال بتعذر إنتقالها إلى النجف الأشرف لعدم قابليتها لذلك حسب ما عرفته ممَّا تقدَّم من كلام. فيكون دفنه في بلدة أرملته في المعيصرة أفضل، وحتّى يكون قبر المرحوم البهادليّ في المعيصرة رابطاً روحياً لأطفاله. يَشدُّهم نحو آل البهادليّ في النجف الأشرف، ومصدر عزاء لأرملته، ولبيت عَمِّه، ولأرحامهم!.

وهكذا كان كلامه (حفظه الله تعالى) سَيِّد الكلام وفيصلها في هذه القضيَّة جزاه الله تعالى عن آل عَمرو، وعن أهالي المعيصرة خير الجزاء. آمين.

وفي ذكرى المرحوم الشّيخ البهادليّ وذكرى عمِّه مختار المعيصرة الحاج حسين الحاج علي تامر عَمرو قام سماحته (حفظه الله تعالى) مع صديقه الحاج علي نحله، وجماعة من المؤمنين من جبل عامل بالمشاركة في هذه الذكرى في بلدة المعيصرة حيث قمت بإستقباله مع أهالي القرية أجمل إستقبال.

كما قمت وبالتنسيق مع العلاّمة الشيخ مُحمَّد حسين عَمرو بدعوة سماحته، ومع ثلة من المؤمنين من جبل عامل، ومن الجالية العراقية إلى الغذاء عن روح الفقيدين الكريمين في منزل الشيخ مُحمَّد حسين عَمرو.

لقد كانت زيارة سماحة السّيِّد فخر الدين إلى منزلي في الغبيري، ومن ثم إلى بلدتي المعيصرة في المناسبة الآنفة الذكر دليلاً أن البقيَّة الباقيَّة من العلماء الأعلام في جبل عامل في مطلع القرن الواحد والعشرين هم المرجعيَّة الصالحة للإصلاح بين ذات البين، وللعلم والفضيلة، وللوحدة الوطنيَّة بين اللبنانيين.

وسماحة السّيِّد فخر الدين حفظه الله تعالى هو من هذه البقيَّة الباقيَّة، والتي هي ملح الأرض والتي هي موضع إحترام النَّاس وإجلالهم وتقديرهم في لبنان.

وهو خليفة والده المُقدّس آية الله السّيِّد عبَّاس أبو الحسن(قده) في مدينتي صيدا، والغازيّة وجوارهما من قرى عامليَّة.

١١ ـ مع العلاّمة الزاهد الشّيخ حسين عوَّاد.(قده).

عندما وفّقني الله تعالى لطلب العلوم الدينيّة في المعهد الشرعيِّ الإسلاميِّ في برج حمود ، النبعة . في أوائل عام ١٩٦٧ كنت أسمع أساتذة المعهد العامليين النّجفيين يتكلمون عن سماحة العلاّمة الزاهد التقي الشّيخ حسين عوَّاد بإحترام وإجلال.

وفي سنوات ١٩٦٩و١٩٧٠ وأوائل عام ١٩٧١ عندما كنت أزور بعض قرى قضاء جبيل للتبليغ الدينيِّ كنت أسمع المؤمنين في تلك القرى يتحدثون عن إبن علمات وإمامها البَّار الشّيخ حسين عوَّاد بإحترام وإجلال، ويثنون على قوله الحقَّ ومواقفه الصادقة مهما كلفه ذلك من ثمن، وعن عدم رضوخه للدنيا ولشهواتها، وعن عزوفه عن تلبية ولائم النَّاس ودعواتهم. وأنَّه كان يتأبط زاده المؤلف من بعض الأرغفة، والخضروات، وحبيبات الزيتون في حلّه وترحاله في تلك القرى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد التقيت معه في حياتي مرتين، الأولى: كانت في مسجد الإمام زين العابدين عليه السَّلام في الغبيري في عام ١٩٦٨ تقريباً.

والثانيّة: عندما زرته في منزله الصغير في برج البراجنة في صيف عام ١٩٧٢م. وفي كلتيها لم أستطع معرفة هذا الرجل العالم الرَّبانيِّ والعامل بعلمه على حقيقته إلا بعد وفاته، حيث شاركت في مأتمه،

ووداعه في أواخر شهر نيسان عام ١٩٨٣م. إذ نقل جثمانه الطاهر إلى النّجف الأشرف.

قال العلاّمة السّيِّد عباس علي الموسوي عنه:[" العلاّمة الشّيخ حسين عوَّاد رضوان الله عليه مدرسة متميزة ونهج منفرد ونحن بأمسِ الحاجة إلى كتابة دراسات وأبحاث عنه، لإكتشاف جوانب العظمة والعبقريَّة في تلك الشخصيّة الفذة التي جسدت وبدقة لا نظير لها أرقى ما يمكن أن يكون عليه إنسان بعد الأنبياء والأئمة توفراً على مفاهيم الروحانيّة والعرفان والمستويات الشاهقة من الورع والتقوى والمدى الأبعد في التفاني والجهاد والعطاء في حضور قوي ودائم لحبِّ الله والحب في الله والأسلوب المدهش في البساطة والأروع في التأثير، ولانشك أبداً في أن دراسته والكتابة عنه من خلال الاف النَّاس الّذين تتلمذوا عليه من العلماء والمؤمنين من شتى أرجاء لبنان ستؤدي بنا إلى نتائج تخدم بحزم مصلحة الرسالة المُقدَّسة، وتقدم الدين الحنيف في قلوب وعقول وسلوك المسلمين، وإننا نتطلع بلهفة إلى اليوم الذي سيوفق فيه فريق من العلماء والباحثين إلى دراسة وتحليل تلكم الشخصيَّة الرَّبانيَّة المُلهمة[١].»]

---

(١) علماء ثغور الإسلام ج١ ص: ٢٧٥.

١٢ ـ مع سماحة المستشار القاضي
السّيّد محمّد حسن الأمين ومجلّة: «شؤون جنوبيّة»

يعدّ سماحة العلاّمة الأديب القاضي المستشار السّيّد محمّد حسن الأمين من أعلام العلم والفكر والأدب والثّقافة والحوار في لبنان. وقد تقدّم الكلام عن إعجاب صديقي القاضي المرحوم السّيّد فيصل أمين السّيّد (قده) بمواقفه، ودعوته لي للقيام بزيارته في منزله القديم في الضّاحية الجنوبيّة حيث التقينا في منزله بالرّئيس الأستاذ رشيد الصّلح وذلك في عام ١٩٨٤م. كما تكلّمنا أيضًا عن قيامي مع فضيلة الشّيخ محمّد حسين عَمرو بزيارته في منزله في صيدا، ودعوته لإلقاء محاضرة، وجلسة حوار مع سيادة النّائب البطريركيّ العام مطران جبيل بشارة الرّاعي في قاعة لا سيته دال ـ جبيل، وعن تلك المحاضرة في الجزء الثّاني من هذا الكتاب.

وقد وفّق الله تعالى سماحته مع ولده الأستاذ السّيّد عليّ، وجمع من أهل الفكر والقلم لإصدار مجلّة «شؤون جنوبيّة» العدد (صفر)، في أوّل كانون الثّاني عام ٢٠٠٢م، حيث جاءت هذه المجلّة كحلقة مفقودة في حاضر جبل عامل، وحاضر لبنان الفكريّ والثّقافيّ بعد الانتصار الكبير الّذي حقّقته المقاومة الإسلاميّة والوطنيّة في ٢٥ أيّار عام ٢٠٠٠م.

وقد قمت بكتابة مقال من ٢٤ صفحة تقريبًا تحت عنوان: «نظرة إلى المرجعيّة الدّينيّة عند الشّيعة الإماميّة في جبل عامل».

وقد قام ولده الأستاذ عليّ الأمين (حفظه الله تعالى) بنشر القسم الأوّل من المقال الآنف الذّكر في العدد الثّامن الصّادر في أوّل أيلول عام ٢٠٠٢م، والعدد التّاسع الصّادر في أوّل تشرين أوّل عام ٢٠٠٢م.

وفي الختام لا يسعني إلاّ توجيه الشّكر لسماحته، ولولده الأستاذ السّيّد عليّ الأمين، ولهيئة التّحرير في هذه المجلّة المباركة. سائلاً الله تعالى أن يوفّقني لنشر هذه المقالة بجميع صفحاتها في كتابي القادم «صفحات من ماضي الشّيعة وحاضرهم في لبنان».لما فيه من فوائد علميّة وفكريّة..

١٢ ـ مع مفتي طرابلس الجعفريّ
الأستاذ الشّيخ عليّ محمود منصور

تقدّم الكلام عن صاحب الفضيلة الأستاذ الشّيخ منصور في عدّة فقرات سابقة. كان أهمّها الفصل الأوّل تحت عنوان:

أوّلاً: توطيد أواصر الأخوّة ما بيننا وبين الأخوة المسلمين الشّيعة على الطّريقة العلويّة في شمال لبنان. تكلّمت عنه أيضًا في الفصل الآنف الذّكر، وفي الفقرة الآنفة الذّكر تحت عنوان: ٥. الإمام السّيّد موسى الصّدر في الصّفحتين: كما تكلّمت عنه أيضًا تحت عنوان: مبادرات فرديّة لعلماء الشّيعة والعلويين من أبناء الشّمال، وفي عدّة مناسبات أخرى، فراجع.

إنّ فضيلة المفتي أطال الله تعالى بعمره الشّريف، والّذي أحبّنا، وأحببناه قد أتحفنا بعدّة قصائد، وأبيات شعريّة في مناسبات كثيرة كان أهمّها على الشّكل الآتي:

١ ـ الأبيات الّتي اقتطعناها من قصيدته المباركة عندما دُعينا إلى مائدته في طرابلس مع سعادة الرّئيس الأوّل لمحاكم استئناف طرابلس الأستاذ حسن الحاجّ، ورئيس محكمة حلبا في عكّار الأستاذ عماد الزّين، وقائد جهاز أمن الدّولة في الشّمال العقيد جان نصر الله، وقد أوردناها في الفصل الأوّل، فراجع.

٢ ـ كما أوردنا أبياته الشّعريّة الجميلة الّتي أرسلها لنا للتّعزية بالإمام السّيّد الخوئيّ (قده)، مؤرّخة في ١٤/٨/١٩٩٢م، بمناسبة ذكرى أسبوع الإمام الخوئيّ (قده) الّتي أقمناها في قاعة لا سيته دال في سنتر البعينيّ في مدينة جبيل، صباح يوم الأحد الواقع في ١١/٨/١٩٩٢م، ولم يستطع المشاركة فيها آنذاك، وذلك في الفصل الأوّل تحت عنوان: مع ذكرى الإمامين الرّاحلين السّيّد الخمينيّ (قده)، والسّيّد الخوئيّ (قده)، فراجع.

٣ ـ كما أتحفنا بقصيدة عصماء يذكر بها أحكامنا الشّرعيّة في القضاء، من خلال محكمة طرابلس الشّرعيّة الجعفريّة. ويذكر بها ما كنت أقوم به من إصلاح بين ذات البين، وإفشاء للسّلام والوئام بين النّاس وغير ذلك بالرّسالة الآتية:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله أجمعين وبعد، فهذه شهادة حقّ ندليها بصدق وإطراء لائق تفرضه الحقائق لقاضينا وماضينا فضيلة الشّيخ يوسف عَمرو الّذي يحمي ويذود، والّذي أبى إلاّ أن يكون في محلّ الإباء والخلود. فأهلاً وسهلاً ومرحبًا.

الحقّ يرسم والحقيقة تشهدُ ... أنّ لقاضينا الثّنا يتجدّدُ
عاشرت إخوانًا كرامًا قبله ... فرأيتهم لا يصمدون ويصمدُ
إن كان يوسف بالجمال مُبرّزًا ... فبيوسف الأخلاق لا تتقلّدُ
مرحى أبا الأفضال حقًّا إنَّكم ... من أسرة فيها الوفا يتجسّدُ
ماذا أقول وكلّ قول لا يفي ... إن قلت إنَّكم الفريد السَّيّدُ
أخلاقكم فرضت محبّتكم على ... من زاركم والحبُّ فضل ردّدوا
والحبُّ يسكره الجمال ولا أرى ... لومًا على حبٍّ ليس له يدُ
يا قاضيًا بالحقّ حقّكم على ... من قد قضيتم أن لكم يتودّد
أحكامكم بالمكرمات تناسقت ... لا قسوة فيها ولا من يطردُ

بالحلم والعلم الغزير تبوّأت ... أخلاقكم عرش العلايا مرشدُ
حقًّا أقول بأنّكم من معشر ... بسلوكهم باهى السُّهى والفرقدُ
كرّمتم علّمتم فهّمتم ... إنّ الكريم إذا تواضع يصعدُ
لم تحجبوا أبوابكم عن طالب ... وافى إليكم بابكم لا يوصدُ
تستقبلون النّاس في وجه الرّضى ... ولكم لكم من شاكرين إذا غدوا
فبمثلكم لا شكّ يفتخر القضا ... والعدلُ في أيّامكم يتأوّدُ
أنت الّذي كرّمت نفسك لا أنا ... كلاّ ولا غيري تُقاك يؤكّدُ
ووظيفة القاضي الّتي نيطت بكم ... كرّمتها بقبولكم تتميّدُ
يا صاحب الخُلق الرّضي تحيَّة ... منّي إليك وما لغيرك أنشدُ
يا ليت في سلك القضا أمثالكم ... هيهات من أمثالكم لا يوجدُ
فرض فرضتم أن أكون مفاخرًا ... فيكم إذا ذُكر الإبا والسّؤددُ
ولذا إذا ما رمتُ أنشد مادحًا ... لجنابكم فالقلب عنكم ينهدُ
أحللتم في القلب بارك حبّكم ... وغدا بكم في حُبِّه تقيّدُ
أخلاقكم دلّت على أعراقكم ... يا حبّذا منها التّقي يتولّدُ
ما إن ذكرتم في مجلسنا الّتي ... نحيا بها إلاّ شذاكم يشردُ
ويعطّرُ الأجواء ينشرُ عابقًا ... أطيابه وبه يبوح المسجدُ
وإذا تعهّده النّسيم ومرَّ في ... حقل الزّهور له يخرُّ ويسجدُ
من خير أوصاف الكرام صفاتكم ... يا مؤمن يا محسن يا منجدُ
أهديك من قلبي تحيّاتي ولي ... أمل القبول بحيث يبتسم الغدُ
ولأنّ حبّ الصّالحين سعادة ... يلتذُّ في إشراقها المتعبّدُ
ولأنتم في حبِّ آل مُحمّد ... مستمسكون نعيمكم لا يفقدُ
لمُحمَّد والآل واليتم لذا ... فزتم ولَمْ لا والشّفيعُ مُحمّدٌ
بشراكم بُشرى لمن والأكُم ... بالخُلد نعمى خُلدكم لا ينفدُ
والله أدعو أن تطول حياتكم ... ليكمل التّاريخ ما تتعهّدُ
وتشعّ أنوار الكرامة والحجى ... في ذاتنا والعبقريّة موردُ
يا صاحب الخلق المميّز بالتّقى ... طابت أرومتكم فطاب المولدُ
إنّي أهنّئكم أبارك سعيكم ... بالخير فعلُ الخير لا يتحدّدُ
وأقول من أمثالكم يا ربّنا ... زدنا ففي أمثالكم نتوحّدُ

ويعمُّ نادينا الصّفا ونسرُّ في | أحبابنا لمّا بهم نتجنّدُ
للخير لا للشّرّ علمًا أنَّه | ما يزرع الإنسان يومًا يحصد

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته مفتي طرابلس الجعفريّ

طرابلس في ١٦/١٢/١٩٩٣م.
الشّيخ عليّ محمود منصور»

٤ ـ وقد أتحفنا بهذه القصيدة بعد عودتنا من حجّ بيت الله الحرام بالسّلامة مؤرّخة في ١٦ أيّار ١٩٩٦م، وقد جاءت ضمن رسالة على الشّكل الآتي:

«باسمه تعالى

باقة من الزّهر مصحوبة ببعض أبيات من الشّعر تحمل التّرحيب والتّهنئة لصاحب الفضيلة سماحة العلاّمة القاضي الشّرعيّ الجعفريّ الشّيخ يوسف عَمرو، بمناسبة قيامه بالحجّ إلى بيت الله الحرام ورجوعه بالسّلامة إلى وطنه لبنان.

أهلاً وسهلاً بقاضي الحقّ قاضينا | يا مرحبًا بالّذي وافى تهانينا
حججت حجكّ مبرورٌ بعافية | وسعيكم سعي مشكور أمانينا
والحمد للّه إذ عدتم بعافية | واستقبلتكم أهازيج المحبّينا
ونحن لسنا بحاجّ وصف حجّكم | وما به قمتم والعلم يدعونا
إذ أنتم كنتم للوفد داعيا | كيس يدفع الوفد ما كنتم تسنُونا
والوفد أحرمتم لعمرتكم | حجُّ تمتّع مبغاكم ترومونا
في مكّة النّور أتممتم مناسككم | وفي مساجدها رحتم تصلّونا
وبعد ذا قد لبستم للمخيط إلى | أن أقبل الحاجّ باشرتم تلبّونا
وقد خلعت ثيابًا لا يليق بها | حاجّ وأحرمتم للحاجّ تسعونا
وتاسع الشّهر أصبحتم على جبل | مُقدّس فيه آثار النّبيّينا
لم تبرحوه إلى وقت الغروب وقد | بتّم بمزدلف للصّبح تمضونا
وبعد ذا لمنى صارت ركائبكم | وقد رميتم حصى جمرًا الشّياطينا

ومكّة النّور بعد الحلق وجهتكم أتممتم الحجَّ فيها والصلّينا
وقد رجعتم لأجل الرّجم ثانية إلى منى ورجمتم لا تقلّونا
وقد ختمتم ويا للّه رحلتكم إن زرتم المصطفى زرتم موالينا
أعود أدعو لربيٍّ أن يوفّقكم يا قاضي الحقّ الدُنيا دائمًا دينا

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته مفتي طرابلس الجعفريّ

طرابلس في ١٦/٥/١٩٩٦م
الشّيخ عليّ محمود منصور

٥ ـ كما تفضّل علينا بقصيدة عصماء يذكر فيها كتابنا «أبو تراب» وفضائل مولانا أبي تراب (. وأيّامنا في القضاء في المحكمة الشّرعيّة الجعفريّة في طرابلس، مؤرّخة في أوّل أيّار ١٩٩٧م، الموافق ٢٤ ذي الحجّة ١٤١٧هـ، وذلك في ٤٢ بيتًا. وقد ذكرت تلك القصيدة مع مقدّمتها في كتابي «أبو تراب» في طبعته الرّابعة، والخامسة نورد منها بعض الأبيات الآتية:

أمير المؤمنين به أرجيّ النّجاة بحبّه من كلّ عادِ
وللآل الكرام ومن يليهم أوالي أبتغي تكريم زادي

❁ ❁ ❁

ولست بغافل عن مدح قاضٍ تصدّى للقضاء وللرّيادِ
وكان الكُفء في تطبيق شرعِ النبيِّ بكلّ ما يقضي ينادي
بدا ما بيننا شيخًا غريبًا بما قد خُصّ من ربٍّ جواد
كثير الحفظ موفور الثّنايا كريمُ الخلق موفور الأيادي
حليم الطّبع لا يُصغي لواشٍ بحقِّ النّاس داع الأعادي
هو الشّيخ الإمام أبو المعالي غزير العلم يوسف بحر هادِ
إلى عَمرو له نسب شريف يمتُّ فحبّذا عَمرو الجوادِ
جزاه الله عمّن قام في من الأبحاث في تعظيم فادِ
وعظّم أجره وأطال ربّي بعُمر فقيهنا القاضي العمادِ
ففي أمثاله لا شكّ خير لطلّاب المروّة باطّرادِ

حــلـــيـــم أريـــحـــي لـــوزع سـريـع الـبـذل أن يـحـدوه حـاد
تـواضـع فـاعـتـلـى وازداد قـدرًا وأسـقـط مـن تـكـابـر وهـو عـادِ
بـحـكـمـتـه وحـنـكـتـه تـداعـي تـؤول إلـى الـتّـوافـق لا الـتّـعـادي
ومـجـلـس حـكـمـه إنـس ودرس مـن الأخـلاق فـي شـرح الـموادِ
سلـوا عـنه الـمـحـامـيـن الّـذيـن قـاضـوا عـنـده هـذا مـرادي
فـقـد ذهـلـوا بـمـا لـلـشّـيـخ فـيـه مـن الألـطـاف مـع حـصـن الـوفـادِ
وقـاسـوا غـيـره فـإذا سـواه رديـفـي مـيـاديـن الـطّـراد
وفـاز بـدرجـة الـتّـقـديـر مـمّـن تـحـدّث نـحـوهـم بـالاجـتـهـاد
أحـيـيـه أبـجـلـه أهـنّـي الأولى في حبّـه تـهـنـا بـلادي
وأخـتـم بـالـصّـلاة عـلـى نـبـيّ الهدى والآل فخري واعتمادي»

❀ ❀ ❀

٦ ـ كما قد أتحفنا بقصيدة في استقبال شهر رمضان المبارك للعام الهجريّ ١٤١٥هـ، وهي مؤرّخة في ١٤ كانون الثّاني ١٩٩٥م، مؤلّفة من ٣٦ بيتًا، قمت بنشرها في العدد الأوّل من نشرة «الكلمة»، الصّادرة عن المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان في الصّفحة ٢٣.

كما قام بإهدائي قصيدة رثاء لآية اللّه العلّامة الشّيخ محمّد مهدي شمس الدّين (قده) وتعزية لجميع محبيه ومريديه، وهي مؤلّفة من إحدى وعشرين بيتًا من الشّعر، ومؤرّخة في ١٨/٢/٢٠٠١م، جاء في خاتمتها الأبيات الآتية:

«رحـم الله عـالـمًـا وفـقـيـهًـا وخـطـيـبًـا وكـلّ ذنـب مـحـاهُ
ورعـا الله والـدًا وبـنـيـنًـا وحـبـاهـم غـفـرانـه ورضـاهُ
لـسـت أنـسـاه كـم كـتـبـت إلـيـه عـطّـر الله بـالـطّـيـوب ثـراه
وأثـابَ الألـي مـن الـشّـعـب جـاؤوا يـوم ذكـراه عـارضـيـن ثـنـاهُ»

٧ ـ كما أنّه وقف، أكثر من مرّة، فوق منبر حسينيّة مركز أهل البيت

الإسلاميّ في مدخل طرابلس الجنوبيّ، ـ على الرّغم من شيخوخته وضعفه ـ يوم العاشر من شهر محرّم من كلّ عام ليرثي الإمام الحسين بن عليّ عليهما السّلام بشعره الجميل، بدعوة منّي، ومن لجنة الاحتفال برئاسة الأخ العزيز الحاجّ حسين أسعد، وقد سُجلت قصائده تلك على أشرطة الفيديو الخاصّة بالمركز[1].

(١) وقد فُجعنا أثناء تصحيح هذا الكتاب بنبأ وفاته رحمه الله تعالى في أواخر شهر رمضان المبارك عام ١٤٢٦هـ الموافق لأواخر شهر تشرين أوّل ٢٠٠٥م. فإنا لّله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالّله العليّ العظيم.
وعصر يوم الأربعاء الموافق للتاسع من تشرين الأول ٢٠٠٥ إنطلقت مع وفد علمائي من قبل المجلس الاسلاميّ الاعلى، ومكتب الإمام السَّيِّد السيستاني دام ظله في بيروت لتعزية آل منصور بوفاة عميدهم، وعميد الشيعة في طرابلس بهذا المصاب الجلل، ففوجئت أنه رحمة الّله تعالى ترك وصية شعرية من إثنتي وخمسين بيتاً مؤرخة في ١٨ رمضان ١٤٢٦هـ جاء فيها:

وأوصيكم بفعل الخير بعدي	كما كنتم به تتقابلوني
ففعل الخير للإنسان عوّن	لنيلِ الخير من ربٍّ مُعين
بحبّ المصطفى والآل أوصي	ففي آرشادهم شيدت حصوني
ففزت بحبهم وحمدت ربّيّ	لانهم لربّيّ عرَّفوني
ولست بخائف من أي شيء	وهم عوني كما يوحي يقيني

طالباً من أبناء سماحته جمع ديوان والدهم رحمه الّله تعالى، مع سائر مؤلفاته وطباعتها ونشرها لإنها المرآة الصافية والصادقة لنضال المسلمين الشيعة في شمال لبنان خلال خمسين عاماً، بالتعاون مع المجلس الإسلاميّ الشيعي الاعلى، ومكتب الإمام السَّيِّد السيستانيّ دام ظله في بيروت.

١٤ ــ آية الله السّيّد موسى الصّدر في شمال لبنان

والّذي ترك بصماته الواضحة في جمعيّة القرى الخمس الخيريّة، وعلى السّادة المؤسّسين الأوائل، وعلى رأسهم المرحوم الأستاذ الشّيخ خليل حسين ـ أبو ماهر ـ حيث استطاعت هذه الجمعيّة المباركة من بناء خمسة مساجد في القرى الآتية: بنهران، بحبوش، زغرتا المتاولة، متريت، ديربلا، كما أقامت في بلدة بنهران جانب المسجد حسينيّة، ومشغل خياطة للبنات، ونادٍ رياضيّ وغير ذلك من أعمال البرّ والإحسان.

كما أنّه ساعد الأخوة العلويين في بناء مسجد الإمام عليّ عليه السلام في محلّة باب التّبانة في طرابلس. وعمل على افتتاح المحكمة الشّرعيّة الجعفريّة في طرابلس في شارع الثّقافة سنة ١٩٦٤م، وعلى افتتاح دار الإفتاء الجعفريّ في الشّارع الآنف الذّكر، وتنصيب أمين سرّ نقابة المحامين في طرابلس فضيلة الأستاذ الشّيخ عليّ محمود منصور مُفتيًا جعفريًّا للمسلمين الشّيعة الجعفريين، وللمسلمين الشّيعة الجعفريين على الطّريقة العلويّة كما سبقت الإشارة إلى ذلك آنفًا، في سنة ١٩٧٣م. وتوظيف فضيلة الأستاذ الشّيخ عليّ عزيز إبراهيم مدرّسًا دينيًّا في دار الإفتاء الجعفريّ في طرابلس.. ووقف عشرة آلاف متر من الأراضي في قرية الدّغلة في قضاء عكّار، ليبنى عليها مسجد ومدرسة ومستوصف

ونحو ذلك من أعمال البرّ والإحسان بالتّعاون مع أهالي البلدة.

كما أنّه أرسى قواعد الوحدة الإسلاميّة في شمال لبنان ما بين السُّنّة، والشّيعة والعلويين من جهة، وما بينهم وبين جيرانهم المسيحيين من جهة أخرى. ولا زال الشّيعة في شمال لبنان منذ أيّام آية الّله الصّدر، ولغاية تأريخه التّلاميذ الأوفياء لمدرسة آية الّله الصّدر في المحبّة والوئام، وفي الإصلاح بين ذات البين، بين أبناء العائلة اللّبنانيّة الواحدة.

١٥ ـ آية الله
الشّيخ عبد الله نعمة (قده) في طرابلس.

وهو أوّل قاضٍ جعفريّ في مدينة طرابلس في سنة ١٩٦٤م، بعد ثمانمائة وخمسة وخمسين عامًا، أيّ بعد سقوط طرابلس بأيدي الصّليبيين عام ٥٠٢هـ، الموافق لسنة ١١٠٩م. إذ أنّ قضاة طرابلس قبل التّاريخ الآنف الذّكر وفي ظلّ دولة بني عمّار كانت غالبيتهم على المذهب الجعفريّ كما هو معروف ومشهور عند مؤرّخي طرابلس في العصور الوسطى. لقد كان الشّيخ نعمة (رضوان الله تعالى) عليه، المثل الأعلى لكلّ قاضٍ في لبنان، في علمه، وفضله، وعدالته، وتقواه، وحرصه على الوحدة الإسلاميّة.

كما أنّ من مبرّاته الباقية في شمال لبنان تلاميذه في المحكمة الشّرعيّة الجعفريّة في طرابلس، والّذين نهلوا من آدابه وأخلاقه وهم: المأذون الشّرعيّ فضيلة الأستاذ يوسف غانم الخطيب، إمام مسجد فاطمة الزّهراء (عليها السّلام) في محلّة بعل محسن في طرابلس، وفضيلة الأستاذ الشّيخ محمّد اليحفوفي رئيس قلم محكمة طرابلس، والمأذون الشّرعيّ من قبله، والأديبان الشّاعران حسن صالح، والمرحوم الأستاذ محمّد صالح، العاملان في ملاك المحكمة الشّرعيّة الجعفريّة.

والمبرّة الثّانية له بناء مسجد في محلّة ضهور الهوا التّابعة لبلدة بطرام في قضاء الكوره، للأخوة الشّيعة الجعفريّة على الطّريقة العلويّة.

وفي الختام لا يسعني إلاّ التّنويه بالجهود المباركة لقضاة الشّرع الشّريف من أسلافي في محكمة طرابلس الجعفريّة وهم: ١. آية الله الشّيخ خليل ياسين (قده). ٢. العلاّمة الشّيخ محمّد زغيب (قده). ٣. العلاّمة الشّيخ عبد الله مديحلي (قده). ٤. حجّة الإسلام السّيّد عبد الكريم نور الدّين. ٥. العلاّمة الشّيخ حسين درويش.

١٦ ـ الشّهيد السّعيد
السّيّد عبّاس الموسويّ (قده) في شمال لبنان.

إذ أنّه كان يزور طرابلس، وبعض القرى الشّيعيّة مع تلاميذه النّجباء من أبناء الشّمال ومنهم الحاجّ محمّد صالح، والحاجّ أحمد درّة، وفضيلة الشّيخ حسين سليم، كما كان يزور المرحوم صاحب الفضيلة الشّيخ سعيد شعبان، أمير حركة التّوحيد الإسلاميّ، وبعض علماء طرابلس والشّمال من لبنانيين وفلسطينيين.

كما ترك (رحمه الله)، بصماته الواضحة في مدرسة المقاومة الإسلاميّة ضدّ إسرائيل، وعملائها في البقاع الغربيّ، والجنوب اللّبنانيّ، والّتي قدّمت عشرات الشّهداء من شمال لبنان من أبناء السُّنّة، والشّيعة، على تراب الجنوب، والبقاع الغربيّ. كما أنّ أنفاس ذلك الشّهيد المبارك وتعاليمه في شمال لبنان، أنتجت عدّة مؤسّسات تربويّة وخيريّة منها: ١. مؤسّسة الشّهيد هيئة فرع فلسطين، ٢. جمعيّة الإمداد الخيريّة الإسلاميّة، ٣. وجمعيّة القرآن الكريم للتّوجيه والإرشاد برئاسة فضيلة الشّيخ يُوسف آل الحاجّ يوسف وغيرها من أعمال البرّ والإحسان. وأهمّها على الإطلاق بناء مسجد وحسينيّة وحفر بئر ماء ارتوازيّة في قرية حتشيت قضاء عكّار، وتخصيص عقار لبناء ثانويّة عليه مع ميتم خيريّ، وهي تابعة لجمعيّة الإمداد الخيريّة الإسلاميّة، وبناء ثانويّة حديثة في بلدة راشكيدا قضاء البترون تحت اسم مجمّع مدارس الإمام الباقر عليه السلام، حيث تبرّع بالعقار إمام البلدة فضيلة الأستاذ الشّيخ رضا محمّد، وترميم مسجد راشكيدا القديم، وغيرها من أعمال البرّ والإحسان.

١٧ ـ آية اللّه الشّيخ محمّد مهديّ شمس الدّين (قده) في شمال لبنان.

وأوّل لقاء كان مع سماحته، وسماحة حجّة الإسلام المفتيّ الجعفريّ الممتاز الشّيخ عبد الأمير قبلان على أرض الشّمال في قرية بنهران، في ذكرى مرور سنة على وفاة المرحوم المهندس محمود نجل المرحوم الشّيخ خليل حسين رئيس جمعيّة القرى الخمس الخيريّة، قبل ظهر يوم الأحد في ١٤ ربيع الأوّل ١٤١٢هـ، المصادف في ٢٢ أيلول ١٩٩١م. حيث حضر ذلك الاحتفال وفود من مدينة جبيل، ووفود من شمال لبنان، وبعض أرحام الفقيد من آل المولى في مدينة جبيل، ووفود رسميّة وشعبيّة من جميع العائلات الرّوحيّة في شمال لبنان. وقد تكلّم في الاحتفال ممثّل عن غبطة البطريرك المارونيّ صفير وهو سيادة المطران فرنسيس البيسريّ، وممثّل عن غبطة بطريرك الرّوم الأرثوذكس وهو سيادة المطران إلياس قربان، وقاضي طرابلس الأوّل سماحة الشّيخ عبد اللّطيف زيادة، وبعض الأدباء والشّعراء.

وكانت كلمة آية اللّه الشيخ شمس الدّين (قده) خير كلمة على الإطلاق في ربط النّاس بالله تعالى، وفي الوحدة اللّبنانيّة بين أفراد العائلة اللّبنانيّة الواحدة.

لقد تابع سماحته (رحمه الله) بعض الأعمال، والّتي قام بها الإمام الصّدر في شمال لبنان بصبر وثبات، من خلال جمعيّة القرى الخمس

الخيريّة، ومن خلال صاحب الفضيلة الشّيخ عليّ محمود منصور المفتيّ الجعفريّ في طرابلس، على الرّغم من بُعد المسافة والاتصالات أيّام الأحداث اللّبنانيّة. ومن أهمّ الأعمال الّتي ساعد بها بناء المركز الصّحيّ الاجتماعيّ الكبير في بلدة بحبوش ـ الكورة التّابع لجمعيّة القرى الخمس الخيريّة.

١٨ ـ مع قاضي جبيل الأسبق
السّيّد فيصل أمين السّيّد (قده)

ثمّ انطلقت إلى شارع أسعد الأسعد في الشّياح، حيث كان أخي سماحة القاضي المرحوم السّيّد فيصل أمين السّيّد ينتظرني في منزله، وقد أخبرته بجواب سماحة الرّئيس حول اقتراحه الآنف الذّكر.. ثمّ انطلقنا إلى المحكمة الشّرعيّة الجعفريّة في مدينة جبيل، حيث كان رئيس القلم الأستاذ الحاجّ حمد الحاجّ يوسف، والموظّف جميل حيدر أحمد، والمستخدم دياب عوّاد، وجنديان منتدبان للمحافظة على أمن المحكمة، أحدهما من آل شمص والآخر من آل ناصر الدّين بانتظارنا. كان اللّقاء بهم جيّدًا، إذ عرّفتهم، على سماحة السّيّد (رحمه الله)، ومكثنا هناك قرابة السّاعة انطلقنا بعدها إلى محكمة طرابلس الشّرعيّة الجعفريّة حيث التقينا بالموظّفين في ملاك المحكمة وهم: فضيلة الأستاذ الشّيخ محمّد اليحفوفي، والشّاعر حسن صالح، وشقيقه المرحوم الشّاعر محمّد صالح وهما من آل الحاجّ يوسف، والمستخدم حسن شحادة صالح. كان اللّقاء مؤثّرًا وقد ودّعني أولئك الأخوة بالبكاء والنّحيب، وودّعتهم وفي القلب حسرة على فراق الأحبّة. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

٣ ـ انطلقنا بعدها إلى عمشيت مع سماحة السّيّد (قده) حيث أقامت المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان، مأدبة تكريميّة

صغيرة لسماحة السّيّد (قده)، في منزل فضيلة الأخ الشّيخ جمال رميحيّ كنعان. حضرها كلّ من الأخوة أصحاب الفضيلة من أعضاء المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة الآنفة الذّكر، ومن علماء المنطقة: الشّيخ محمّد عليّ عيتاويّ، والشّيخ رضوان المقداد، والشّيخ محمّد أحمد حيدر، اتّفقنا في تلك الجلسة المباركة على التّنسيق بين الأخوة العاملين في التّبليغ في المنطقة، وبين سماحته (قده)، وعلى أن يقوم سماحته بعقد سهرات وندوات دينيّة، في بعض المنازل في مدينة جبيل وضواحيها، كلّ أسبوع، الغاية منها: إعطاء دروس في العقيدة، والشّريعة الإسلاميّة، والإجابة عن أسئلة الحاضرين وفق طريقة سماحته بالتّبليغ الدّينيّ منذ ثلاثة عقود تقريبًا، وقد نجحت طريقته تلك في مدينة جبيل نجاحًا جيّدًا.

٤ ـ ثمّ انطلقنا بعدها لزيارة آل المرحوم فهد جعفر المولى، في مدينة جبيل لتعزيتهم بالمرحوم الدّكتور عصام فهد المولى.

ومن خلال تلك المأدبة في عمشيت، وزيارة التّعزية لآل المولى الكرام في المدينة، تمّ التّعارف واللّقاء بين قاضي المنطقة الجديد، وبين علماء المنطقة والأهالي، والتّعاون على البرّ والتّقوى. غير أنّ أيّام سماحته في جبيل لم تطل وكانت كالحلم الجميل، إذ نُقل بعدها إلى محكمة البقاع الشّرعيّة الجعفريّة الكائنة في مدينة الكرك قرب زحلة، بموجب المرسوم الجمهوريّ رقم ١١٠٢٦ الصّادر في ١٥ أيلول ١٩٩٧م، بعد أن أحبّه المؤمنون في جبيل، واستفادوا من دروسه، ومواعظه، وقد توفّاه الله تعالى بعدها في ١٩٩٩/٤/٧م، الموافق ٢١ ذي الحجّة ١٤١٩هـ، إثر مرض خبيث ألمّ به حيث مضى (رحمه الله) إلى ربّه، عالمًا بعلمه، وقاضيًا عادلاً وبريئًا ممّا ألصق به بعض الغوغاء في الهرمل من بعض الأمور.

١٩ ـ مع سماحة السّيّد الشّهرستانيّ في بلاد جبيل وفتوح كسروان:

بعد وفاة الإمام السّيّد أبو القاسم الموسويّ الخوئيّ (قده) زعيم الحوزة العلميّة في النّجف الأشرف في ٨ آب ١٩٩٢م. الموافق ٨ صفر ١٤١٣هـ.

توجّهت الأنظار، إلى بعض الأعلام الكبار من طلاّبه في النّجف الأشرف، والجمهوريّة الإسلاميّة في إيران. وكان من أعلم أولئك الطّلاب على الإطلاق، حسب ما ذهب إليه أهل الخبرة والتّحقيق هو: آية اللّه العظمى السّيّد عليّ الحسينيّ السّيستانيّ (دام ظلّه)، المقيم في النّجف الأشرف، أضف إلى ذلك ترشيح الإمام الرّاحل السّيّد الخوئيّ (قده) له، إذ رشّحه أثناء حياته لمقاليد المرجعيّة والفتوى في مؤسّسة الإمام الخوئيّ في لندن والّتي تدير عدّة مراكز، ومدارس، وحوزات، ومؤسّسات خيريّة في شتّى بقاع الأرض، وكذلك جميع المؤسّسات والحوزات الّتي ترجع للإمام الخوئيّ (قده) في العراق، وإيران، ودول الخليج، وسوريا، ولبنان.

غير أنّ الوضع القائم في العراق، والّذي سوف نتعرّض له بعد قليل، قد منع الإمام السّيستانيّ (دام ظله)، من أبسط حقوقه الإنسانيّة، كتأدية صلاة الجماعة في مسجد الخضراء الّذي رممه، وأعاد تأهيله سلفه السّيّد الخوئيّ (قده)، وإلقاء الدّروس من على منبر ذلك المسجد، أسوة

بسلفه الصّالح، ومن أيّ نشاط آخر كان يقوم به سلفه الصّالح، حتّى شابهت حياة هذا السَّيِّد الطاهر منذ استلامه لمقاليد المرجعيّة العامّة في ٨ أب ١٩٩٢م، ولغاية أيّامنا هذه، حياة الإمام السّابع من أئمّة أهل البيت الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليهما السّلام) في سجون هارون الرّشيد.

وقد استطاع الاتّصال بوكلائه، في شتّى بقاع العالم وبمقلّديه من خلال أجهزة التّلفون، والفاكس، والإنترنت الموجودة في منزله الصّغير، والّذي لا يتجاوز المائة متر مربع، وهو بالإيجار من الوقف الخيريّ للمدرسة الشبَّريَّة في النّجف الأشرف، ومن خلال زوّار العتبات المُقدّسة في العراق، والّذين يخضعون لسلسلة من الإجراءات الأمنيّة قبل الدّخول عليه. ومن خلال وكيله العام في إيران وسائر بلاد العالم آية الله السّيّد محمّد جواد الشّهرستانيّ في قمّ المُقدّسة.

والسّيّد الشّهرستانيّ، قد قام بأعباء مرجعيّة الإمام السّيستانيّ (دام ظلّه) خير قيام، وأنشأ في إيران مدنًا سكنيّة لطلبة العلوم الدّينيّة في عدّة مدن إيرانيّة، ومؤسّسات حديثة، برعاية الإمام السّيستانيّ (دام ظلّه). كما قام برعاية الحوزات الدّينيّة في إيران، وباكستان، والهند، وآذربيجان، وسوريا، ولبنان، وغير ذلك من أعمال إسلاميّة وإنسانيّة، واجتماعيّة. أمّا اهتمامه بنشر الفكر والثّقافة الإسلاميّة، وإحياء تراث وعلوم أهل البيت عليهم السلام، فالحديث عنها طويل وذو شجون، بل يحتاج إلى تصنيف كتاب خاصّ بذلك، لما قام به من أعمال إذ تُعدّ فتحًا جديدًا في تأريخ الفكر الشّيعيّ.

وأوّل معرفة لسماحته (حفظه الله تعالى)، كانت من خلال صديقه ووكيله في لبنان صاحب الفضيلة الأستاذ الحاجّ حامد الخفاف، صاحب دار المؤرّخ العربيّ في بيروت، ومدير فرع مؤسّسة إحياء تراث أهل

البيت عليهم السلام في بيروت ـ حارة حريك، ومن خلال صاحب الفضيلة الأخ الخطيب الشّيخ هاني التّامر ـ أبو محمود الغفاريّ ـ الّذي قرأ المجالس الحسينيّة في قريتي المعيصرة في أوائل شهر محرّم الحرام لسنة ١٤١٦هـ، الموافق لأوائل شهر حزيران ١٩٩٦م، وحلّ ضيفًا في منزلي طوال تلك المدّة. وكذلك من خلال أصحاب الفضيلة الخطباء سماحة العلاّمة الشّيخ بهاء الدّين العراقيّ، الّذي قرأ المجالس الحسينيّة في التّأريخ الآنف الذّكر في قريتي زيتون والحصين، وحلّ ضيفًا في منزلي برفقة الشّيخ الغفاريّ، وكذلك من خلال صاحب الفضيلة الشّيخ أبي يونس الحسينيّ العراقيّ الّذي قرأ المجالس الحسينيّة في عمشيت حي كفرسالا، وفي التّأريخ الآنف الذّكر أيضًا، وحلاّ ضيفين كريمين في منزلي في بعض الأيّام، إذ أجمع أولئك الفضلاء على فضل السّيّد الشّهرستانيّ، ورعايته لأعمال التّبليغ الإسلاميّ، وغير ذلك من أعمال البرّ والإحسان. (وممّا يجدر ذكره أيضًا أنّه في الاحتفال الحسينيّ الكبير الّذي أقامتها المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان في قاعة لاسيته دال ـ جبيل قبل ظهر يوم الأحد الواقع في ١٣ محرّم ١٤١٦هـ، الموافق ١١/٦/١٩٩٥م، وقع اختياري واختيار ابن خالتي فضيلة العلاّمة الشّيخ محمّد حسين عَمرو، وفضيلة ابن عمّي العلاّمة الشّيخ عصمت عبّاس عَمرو على صاحب الفضيلة الشّيخ الغفاريّ «هاني التّامر» لقراءة ما تيسّر من السّيرة الحسينيّة المباركة لما امتاز به من خير وصلاح.

وقد ذكرت ذلك الاحتفال جريدة نداء الوطن الصّادرة في بيروت صباح يوم الاثنين في ١٢/٦/١٩٩٥م. وكذلك محطّة تلفزيون I.C.N لمشاركة صاحبها المهندس هنري صفير في ذلك الاحتفال. كما شارك في ذلك الاحتفال الوزير الأسبق الشّاعر جوزيف الهاشم، والنّائب الأسبق الأستاذ كميل زيادة، والنّائب عن بلاد جبيل في أيّامنا هذه الدّكتور فارس سعيد، وفضيلة القاضي الدّكتور الشّيخ يحيى الرّافعيّ،

وتخلّلت الاحتفال كلمتان للمؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان لصاحبي الفضيلة الشّيخ محمّد حسين عَمرو، والشّيخ جمال رميحي كنعان.

وكان عريف الاحتفال الأستاذ الحاجّ عدنان عيتاويّ.. وهذا ممّا جعلني بالتّالي أتأبط خبر ذلك الاحتفال الحسينيّ، وورقة طلبنا من سماحته للشّيخ الغفاريّ، عند لقائي بالسّيّد الشّهرستانيّ في قمّ.

وعندما تشرّفت بزيارة قمّ المقدّسة، قمت بزيارة السّيّد الشّهرستانيّ (دام ظلّه)، برفقة سماحة العلاّمة الشّيخ مصطفى قصير، في يوم الاثنين الموافق الخامس من شهر صفر لسنة ١٤١٦هـ، الموافق ٣ تمّوز ١٩٩٥م. كان لقاؤه بنا جيّدًا ولطيفًا وقد تكلّمت معه، حول طلبي القديم الّذي أرسلته له بواسطة الشّيخ الغفاريّ أو بواسطة وكيله في بيروت، وهو مساعدة بلاد جبيل وفتوح كسروان بوجود خطيب حسينيّ بين ظهرانيهم، ووقوع اختيارنا على الشّيخ الغفاريّ، وعلى نفقة سماحته لعجز منطقتنا على القيام بذلك!!! فأجاب بالإيجاب والموافقة على ذلك شرط، أن يقوم بمساعدة الشّيخ الغفاريّ لمدّة سنة واحدة لا غير، وأمّا نفقة السّنوات القادمة تكون على حساب أهالي المنطقة فوافقت على ذلك.

ومن ثمّ قدّمت له طلبين آخرين وهما: طلب وكالة من الإمام السّيستانيّ (دام ظلّه) لي في الأمور الحسبيّة، والطّلب الآخر هو مساعدتنا في بناء مشروع مركز إسلاميّ في مدينة جبيل فوعد خيرًا.

وقد أتت الوكالة لي في الأمور الحسبيّة بواسطة مكتبه في بيروت، صادرة عن النّجف الأشرف في ١٥ رجب ١٤١٦هـ.

وأمّا طلب مساعدتنا في شراء أرض، وبناء مدرسة إسلاميّة حديثة للصّبيان وللبنات في مدينة عمشيت، أو شراء بناء المدرسة التّوجيهيّة مع رخصتها في مشان لمصلحة المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل

وكسروان، والّذي تقدّمت به لسماحته مع فضيلة الشّيخ محمّد حسين عَمرو، عند لقاءنا به في بيروت في ٨/ ١١/ ١٩٩٥م، أو قبول هبة عقار من ابن عمّنا الدّكتور رباح أبي حيدر في قريته الحصون، ليشاد عليه مبرّة للأطفال المعوقين من قبل سماحته وذلك بناءً على اقتراح الدّكتور أبي حيدر واقتراحي مع اقتراح سماحة الشّيخ محمّد إسماعيل خليق حول ذلك، وغير ذلك من اقتراحات، فكان جواب سماحته في ذلك كلّه: ليكن هناك التّبرّع بالمال لما تقدّم من مشاريع ونحن نجيزه بصرف ذلك من الحقوق الشّرعيّة، حسب الأصول المرعيّة الإجراء.

وبناء على دعوة سابقة لسماحته لزيارة المنطقة، فقد قام (حفظه الله تعالى) مع وفد كريم من علماء أعلام من قمّ المقدّسة، ومن المسؤولين في مكتب الإمام السّيّد السّيستانيّ (دام ظلّه) في دمشق، وبيروت، بزيارة مركز المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان القديم في عمشيت ـ حي كفرسالا ظهر يوم الخميس في ٩ تشرين الثاني، ١٩٩٥م. حيث استقبلتهم مع أصحاب الفضيلة علماء المنطقة: الشّيخ محمّد حسين عَمرو، والشّيخ جمال رميحيّ كنعان، والشّيخ محمّد أحمد حيدر، ومع بعض أعضاء المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة من الهيئتين الإداريّة والعامّة. كان برنامج الاستقبال مُقتصرًا على قراءة القرآن الكريم، وكلمة ترحيبيّة لي بسماحة السّيّد ورفاقه الكرام، وتقديم المرطبات والشّاي لهم، ثمّ تقديم هدايا لكلّ عضو من أعضاء الوفد وهي مجموعة من منشورات المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان من كتب ومنشورات، ثمّ انطلقنا للمسجد الجامع في كفرسالا للصّلاة جماعة وقد حاولت تقديم السّيّد الشّهرستانيّ (دام ظلّه)، ليصلّي إمامًا ولكنه رفض ذلك، وطلب منّي التّقدّم، وهكذا كان.

بعدها انطلقنا إلى منزلي في المعيصرة، حيث كان مدير ثانويّة المعيصرة النّموذجيّة الحديثة الأستاذ الحاجّ حسن سلهب في انتظاري مع بعض الأهالي. بعد الغداء وشرب الشّاي وتبادل الكلمات، دعانا مدير

الثّانويّة ـ الآنفة الذّكر ـ لزيارتها فزرناها مع سماحته، والوفد الكريم، وتفقّدنا أقسامها. وقد سرّ سماحته بهذه الزّيارة، وبذلك الاستقبال، وبتلك الحفاوة.

وممّا يجدر ذكره أيضًا أنّ صاحب الفضيلة الشّيخ الغفاريّ استوطن حي كفرزبونا في مدينة بلاط وهي من ضواحي مدينة جبيل قرب المسجد القديم، إذ قام (حفظه الله تعالى) منذ أواخر سنة ١٩٩٥م ولغاية أيّامنا هذه، بالتّعاون مع الأهالي بترميم المسجد وإصلاحه، كما قام بإحياء التّبليغ الدّينيّ، والمجالس الحسينيّة، في مدينة جبيل وضواحيها خير قيام.

وبعد انتهاء عام على تأييد سماحة السّيّد الشّهرستانيّ الماديّ للشّيخ الغفاريّ، طلبت من سماحته تمديد تلك المهلة، وإضافة عام آخر نظرًا لفقر المؤمنين من أبناء المدينة وضواحيها، وعدم قدرتهم على أداء الحقوق الشّرعيّة، ودفع الصّدقات، فوافق على ذلك.

واستمرّ ذلك الدّعم الماديّ للشّيخ الغفاريّ بنسبة ٥٠٪ لغاية أيّامنا هذه، من قبل سماحة السّيّد الشّهرستانيّ، حرصًا منه على إحياء المجالس الحسينيّة المباركة في بلاد جبيل وكسروان. وبعد سقوط الطّاغية في العراق في شهر نيسان عام ٢٠٠٣م بقليل سافر الشّيخ الغفاريّ إلى العراق عن طريق إيران، حيث زار في رحلته تلك مدينة الخالص قرب بغداد، فطلب منه أهلها البقاء بين ظهرانيهم وإمامة مسجدهم الجامع للمودّة الّتي تجمعهم معه منذ أيّام الإمام الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر فقبل الطّلب تاركًا كفرزبونا وضواحي جبيل وأهلها للقدر!!

٢٠ ـ مع سماحة النّائب الأوّل لرئيس المجلس الإسلاميّ الشّيعيّ الأعلى في المعيصرة.

لقد كان المفتيّ الجعفريّ الممتاز، والنّائب الأوّل لرئيس المجلس الإسلاميّ الشّيعيّ الأعلى، حجّة الإسلام الشّيخ عبد الأمير قبلان المؤيّد والمساعد لانطلاق الفرع الثّانويّ في علمات للعام الدّراسيّ ١٩٨٣. ١٩٨٤م. بإدارة الدّكتور حسن حيدر أحمد، كما سبقت الإشارة إلى ذلك الفرع آنفًا، كما كان المؤيّد لنا أيضًا عند الوزير الأستاذ جان عبيد في القرار الوزاريّ الآنف الذّكر، وفي قضيّة دمج المرحلة المتوسّطة بالثّانويّة عند الوزير الأستاذ محمّد يوسف بيضون كما عرفت ممّا تقدّم، وفي القضيّتين الرّابعة والخامسة وهما:

الرّابعة: وهي، حاجتنا لبناء طابقين إضافيين للبناء القديم كقاعات للمحاضرات، وللمختبر، وللكمبيوتر، وصفوف دراسيّة، حيث توجّهنا إلى نائب المنطقة الأستاذ كميل زيادة، طالبين إقراضنا من الشّركة العامّة اللّبنانيّة الأوروبيّة المصرفيّة ـ فرع أنطلياس مبلغًا وقدره عشرون مليون ليرة لبنانيّة. وقد وافق الأستاذ زيادة وأحالنا على البنك الّذي عقدنا معه اتّفاقًا قانونيًّا مقابل رهن عقار المدرسة التّابع للجمعيّة لمصلحة البنك الآنف الذّكر، وكذلك رهن الإيجار السّنويّ من قبل وزارة التّربية الوطنيّة لمدّة أربعة أعوام. ونتيجة الاتّفاق الآنف الذّكر، فقد قبضنا المبلغ الآنف الذّكر باسم الجمعيّة، ووضعناه في فرع المصرف الآنف الذّكر في

جونية، وسحبنا منه لمصلحة الجمعيّة مليون وأربعمائة ألف ليرة لبنانيّة.

وفي حفل وضع حجر الأساس لبناء طابقين إضافيين فوق المدرسة القديمة، في عقار الجمعيّة رقم ٥٢٨ في المعيصرة، وبمناسبة مولد الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السّلام) في ٧ شعبان ١٤٢١هـ، الموافق ٤/ ١١/ ٢٠٠٠م، تعهّد سماحته بدفع عشرين مليون ليرة لبنانيّة لنا لمتابعة البناء في الطّابقين الآنفي الذّكر، شرط أن نرجع المبلغ المُقترض إلى البنك الآنف الذّكر.

وقد وافقنا على هذه المبادرة الكريمة من سماحته على حذر، لأنّ إرجاع المبلغ الآنف الذّكر إلى المصرف الآنف الذّكر ليس أمرًا يسيرًا. إذ أنّ ذلك المصرف يطلبنا بمليون وأربعمائة ألف ليرة مع فوائدها، وعمولتها، ونحو ذلك حيث يصبح المطلوب مليونين وأربعمائة ألف ليرة لبنانيّة تقريبًا وهذا ما لم نقدر عليه. وعندما فاتحنا سماحته بالقضيّة أحالنا إلى أحد المدراء في ذلك المصرف وهو الدّكتور أحمد الحاجّ، والّذي قام بتسديد كامل المبلغ نيابة عن الجمعيّة. وبفكّ رهن العقار الآنف الذّكر مع فكّ رهن الإيجار عن العقار الآنف الذّكر في الدّوائر ذات الاختصاص. وذلك وفاءً من الدّكتور الحاجّ إلى مدرسة الإمام السّيّد موسى الصّدر، وللمحرومين من أبناء قرى منطقتنا المحرومة، جزاه الله تعالى خير الجزاء.

الخامسة: وهي قضيّة جمع التّبرعات والمساعدات للطّلاّب الفقراء والأيتام ومساعدتهم بالكتب المدرسيّة، وبالمواصلات ونحو ذلك من قبل لجنة أصدقاء الثّانويّة، والّتي كان لي شرف رئاستها فقد وفّقنا الله تعالى لجمع القسم الأكبر من المبالغ، والقروض المطلوبة للقيام ببعض الواجب كما وفّقني الله تعالى، لسدّ العجز الحاصل في بعض الأحايين من حسابي الخاصّ أو من حساب زوجتي الحاجّة أم حسين، مقترضًا تلك المبالغ منها.

وسوف تفرد الهيئة الإداريّة للجمعيّة كتيبًا حول ذلك بعد الانتهاء من جميع الأعمال يذكر فيها أسماء المحسنين الكرام، والمساهمين في هذا المشروع التّربويّ الكبير. والّذي ساهم به أبناء قضاءي جبيل وكسروان بشكل عامّ، وأبناء الفتوح بشكل خاصّ. «غير ناسين أيضًا مساعدات معالي الوزير الأستاذ عبد الرّحيم مراد لنا في وزارة التّربية، كما لا ننسى أيضًا زيارة الأخ الأستاذ عليّ نجل سماحة المفتي الشّيخ قبلان، وزيارته لمشروع البناء الجديد في الثّانويّة برفقة فضيلة الشّيخ عصمت عَمرو، واهتمامه بهذا المشروع»، سائلاً الله تعالى لكلّ من ساعدنا في هذا العمل الطّيّب التّوفيق، والتّسديد، آمين.

٢١ ـ مع سماحة الشّيخ اليحفوفيّ (قده)، وميثاق عنّايا.

في مجلس آخر مع سماحة حجّة الإسلام الشّيخ سليمان اليحفوفيّ (قده) مفتي بعلبك، وفي منزله في بعلبك تكلّمت معه حول ما تقدّم فأجابني رحمه الله، أنّه وبعد اجتماعي معه في النّجف الأشرف، في منزل نسيبه آية الله السّيّد عليّ مكّيّ، وبعد رجوعه إلى بعلبك، طلب من مطران بعلبك للطّائفة المارونيّة سيادة المطران عبد الّله نجيم، الاهتمام بالطّائفة الإسلاميّة الشّيعيّة في بلاد جبيل وفتوح كسروان. فرحّب المطران عبد الله نجيم بذلك الطّلب، وطلب من سماحة المفتي التّوسّط لدى الحركة الوطنيّة اللّبنانيّة المسيطرة على طريق عيون السّيمان، حدث بعلبك آنذاك.

وبالتّالي قيامه (رحمه الله) بمصاحبة سيادة المطران حتّى عيون السّيمان. وبعد ثلاثة أيّام عاد سيادته إلى بعلبك، ومعه ميثاق عنّايا الشهير الموقّع من وجهاء وأعيان المسلمين والمسيحيين في قضاء جبيل في ٢١ أيلول ١٩٧٥م، وفيه تعهّد صريح وواضح من جميع الأطراف بالمحافظة على الوحدة الوطنيّة، والعيش المشترك بين أبناء العائلة الجبيليّة الواحدة. وما قيام سيادة المطران نجيم بذلك إلاّ اعتراف منه بالمبادرة الوطنيّة الطّيّبة الّتي قام بها الإمام موسى الصّدر، ونائبه الشّيخ اليحفوفيّ في الدّفاع عن أهالي دير الأحمر، وسائر القرى المسيحيّة في البقاع حيث

قال آية الّله السَّيِّد الصّدر آنذاك: كلّ طلقة نار توجّه إلى دير الأحمر، إنّما توجّه إلى موسى الصّدر. رحم الّله تعالى الشيخ اليحفوفيّ، وجزاه الّله تعالى عن الإسلام والمسلمين في بلاد جبيل وفتوح كسروان خير الجزاء. آمين.

٢٢ ـ مع العلاّمة الخطيب الشّهيد السّيّد جواد شبّر (قده) في النّجف الأشرف.

لقد كان صديقنا العلاّمة الخطيب السّيّد جواد عليّ شبّر الحسينيّ (قده)، من أفضل خطباء النّجف الأشرف على الإطلاق، إذ أفنى شبابه في الوعظ، والإرشاد، والخطابة، في العراق وفي الخليج، وفي إخراج وتحقيق كتب جدّه الأكبر آية الله السّيّد عبد الله شبّر (قده)، المتوفّى سنة ١٢٤٢هـ.

وفي إخراج موسوعته الكبرى: «أدب الطّفّ أو شعراء الحسين عليه السلام»، وفي بناء المدرسة الشّبّريّة لطلبة العلوم الدّينيّة في النّجف الأشرف، وتنظيمها، وترتيبها، ووقف بعض العقارات لها.

كنت أزوره في مكتبه في تلك المدرسة، فيستقبلني أجمل استقبال، ويأمر لي بالشّاي، ونتحدث معه حول تأريخ صدر الإسلام، وأدب الطّفّ، أو شعراء الحسين عليه السلام. كما كان يصطحبني لاستماع مجالسه الحسينيّة عن سيّدة النّساء فاطمة الزّهراء (عليها السّلام)، في منزل آية الله السّيّد حسن الموسويّ الخرسان (قده)، في محلّة الحويش في النّجف الأشرف. وقد تأثّرت بمجالسه عن الزّهراء (عليها السّلام) تأثّرًا كبيرًا، ونظمت قصيدتي الكبرى، والّتي أخرجتها بكتاب صغير تحت عنوان: «فاطمة الزّهراء وقصائد أخرى» من وحي تلك المجالس المباركة. كما قد وفّقني الله تعالى لطباعتها في بيروت على نفقة المحسن الكريم السّيّد

عليّ جواد، منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات في بيروت سنة ١٩٧٧م. وأخبرته بذلك بعد طباعة ذلك الكتاب. فسُرّ بذلك سرورًا كبيرًا، وأخبر المؤمنين في إحدى مجالسه المباركة عند السّيّد الخرسان (قده) بالخبر ودون أن يذكر اسمي.

كما قد تألّقت المدرسة الشّبّريّة ـ الآنفة الذّكر ـ بسكن سماحة آية الله الشّيخ محمّد جواد مغنيّة (قده) بها. حيث كنت أزوره مع زملائي اللّبنانيين في غرفته المتواضعة في تلك المدرسة. وقد اصطحبني السّيّد شبّر ذات مرّة لتعزية الإمام السّيّد روح الله الموسويّ الخمينيّ (قده) بولده الشّهيد آية الله السّيّد مصطفى (قده)، في منزله في محلّة الحويش النّجف الأشرف في سنة ١٩٧٨م.. وقد خصّنا الإمام (قده) آنذاك بالإذن لنا بالدّخول إلى غرفته الخاصّة لتقديم العزاء له. وقد انتهزت تلك المناسبة لتقبيل يده الطّاهرة، ولتأكيد النّظر في وجهه المبارك حيث كان وجهه الشّريف طافحًا بالبشر بوعد الله تعالى بالنّصر، ولسانه كان منطلقًا بحمد الله تعالى وشكره على بلائه، والتّسليم بقضائه.

كما تقدّم الكلام حول لقائي مع نجل سيّدنا السّيّد شبّر في طهران، في الفصل الأوّل من الجزء الثّاني تحت عنوان: المؤتمر العالميّ للإمام الشّهيد السّيّد الصّدر (قده) في طهران، في أواخر كانون الثّاني لسنة ٢٠٠١م. في الصّفحة ٢٦٨، فراجع. حيث أخبرني أنّ والده لم يستشهد، وإنّما ما زال على قيد الحياة في سجون النّظام العراقيّ، ممّا استدعى تصحيح ما جاء في الطّبعة الرّابعة من كتابي «أبو تراب» في سنة ١٩٩٧م، في طبعته الخامسة سنة ٢٠٠١م، حول ما تقدّم من قولي بشهادته في الطّبعة الرّابعة. ولكن بعد سقوط نظام الطّاغية في العراق في ٩/٤/٢٠٠٣م. تأكّد خبر استشهاد السّيّد شبّر (قده)، وسائر العلماء الأعلام والأحرار الكرام، في سجون طاغية العراق.

وقد جاء في الصّفحة ٢٥٩ من كتابي «أبو تراب» في طبعته

الخامسة ما يلي: «وقد تفضّل علينا العلاّمة الخطيب السّيّد جواد شبّر (قده) بهذه الأبيات في مدرسته الشُّبّريّة في النّجف الأشرف يوم الثّلاثاء ٢١ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ، الموافق ١٠ أيّار ١٩٧٧م. وقد جعلتها على غلاف الطّبعة الثّانية من الكتاب المطبوع سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، توزيع مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات ـ بيروت، وهي:

«عقود أم فصولٌ من كتاب ... منضدة بفضل أبي تراب

وذا عرف الولاء يفوح منها ... أم الوردُ المنثّر في الرّوابي

روائحُ يوسف الصّدّيق فاحت ... لترشدنا إلى نهج الصّواب

إلى مولى علا قدرًا، وفضلاً ... وفي آياته فَصلُ الخطاب»

وممّا يجدر ذكره أيضًا، أنّني قمت بردّ التّحيّة له وتقديم هذه الباقة الشّعريّة لسماحته (قده)، والّتي نظّمتها في يوم السّبت ٢١ جمادى الأولى ١٣٩٨هـ، الموافق لشهر نيسان ١٩٧٨م، تحت عنوان: «أدب الطّفّ أو شعراء الحسين»، في مدرسته المدرسة الشّبّريّة في النّجف الأشرف، فسُرّ بذلك سرورًا كثيرًا. وهي الأبيات الآتية:

«أدب الطّفّ

عطاءُ الحسين فوق كلّ عطاء

حلّق بالشّعر فوق كلّ سماء

أغنى الأدبِ عن كلّ ابتذال

عطاءُ الحسين ألهم «الجواد»

ليعطي للعربيّة زادًا كريمًا

من عطاء كلّ شهم غيور

شعره معطّرٌ بأريج الحسين

❀ ❀ ❀

أريج الحسين فوق كلّ أريج
إنّه عطر محمّدٍ، والزّهراء، والإسلام
أعطى الحياة للشّعوب بالدّماء
والرّفض والبكاء على الحسين
أدب الطّفّ
عقيدة، وجهاد، وصفاء
وفروسيّةٌ، وخُلقٌ عظيم
وتمرّدٌ على تأريخ الملوك والطّغاة
بالقصيدة، والكلمة، والدُّعاء
إنّه أدبُ شعبي العظيم
شعب رافض لكلّ عتلٍ زميم
مدّع ثمّ أثيم
ولكلّ فكر لئيم
شعبٌ ساخر من أنواع العذاب
بالبكاء على الحسين
وتذكّر جراحاته في كربلاء
ومنتظرٌ للمهديّ الموعود
مهديُّ القرآن والسّماء
إنّه رجوة فاطم وراءَ الباب الحزين
إنّه دعوة الحسين عند الأصيل
وأمل شعراء الطّفّ عبر القرون»

❀ ❀ ❀

٢٣ ـ مع العلاّمة الأديب
الشّيخ محمّد رضا آل صادق (قده) في النّجف الأشرف.

كان صديقي العزيز سماحة العلاّمة الأديب الشّيخ محمّد رضا آل صادق (قده) أخًا لي في الله تعالى، ورفيقًا لي في دراسة الفقه والأصول على الإمامين الرّاحلين السّيّد الخوئيّ (قده) والسّيّد الصّدر (قده)، في النّجف الأشرف. وكان ضليعًا في اللّغة العربيّة، وآدابها. وقد تكلّمت عنه (رحمه الله) في كتابي «أبو تراب» في طبعاته الثّانية، والثّالثة، والرّابعة، والخامسة. وممّا جاء في الطّبعة الخامسة في الصّفحتين ٢٦٠و٢٦١ ما يلي: «وقد تفضّل علينا سماحة الأخ العلاّمة الأديب الشّيخ محمّد رضا آل صادق النّجفيّ (رحمه الله)، عضو جمعيّة التّحرير الثّقافيّ في النّجف الأشرف بالابيات التالية:

لسفر أبي تراب خير سفر ... «ليوسف» شبل من يمنى لعَمرو
حقائقه المبيَّنة ساطعات ... على صفحاته كسطوع بدر
وهل كأبي تراب في السّجايا ... وقد فاضت بكلّ سنًا وطُهر

ثمّ لم يكتف (رحمه الله) بهذه الأبيات بل تفضّل علينا بعد ثلاثة أيّام بهذه القصيدة الجميلة إذ قال فيها:

أخي يوسف الصّديق حسبك مفخرًا ... بسفر بأنوار المكارم أسفرا
وهل كأبي السّبطين فضلاً وسؤددًا ... وحلمًا، وعلمًا، طبق الكون في الورى
فتىً كان صنو المصطفى وابن عمّه ... وفاديه حقّاً وصهرًا مطهّرًا

وكان له ما كان هارون قبله   لموسى أخيه ناصرًا ومؤزرًا
سوى أنّه لم يأته الوحي مثلما   أتاه، وما كان الحديث ليفترى
فقل فيه ما قد شئت إنَّ خصاله   لعمري عزّت أن تعدَّ وتحصرا
وقد عدَّ منها يوسف بن مُحمّد   بإسناد صدق أربعين محرّرا
فطوبى له فيما حواه كتابه   وبورك من غرس وجدناه مثمرا

وفي ليلة ١٧ ربيع الثّاني ١٣٩٨هـ، زارني في منزلي في النّجف الأشرف فأهديته كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدّينوريّ فأنشأ يقول مرتجلاً:

أيوسف قد أهديت لي متفضلاً(عيونًا من الأخبار) لا زلت مكرّما

وفي اليوم التّالي وبعد انتهاء حضورنا برفقته (رحمه الله) لدرس الفقه في كتاب الطّهارة على سماحة سيّدنا الأستاذ الشّهيد السّعيد الإمام السّيّد محمّد باقر الصّدر (قده) في مسجد الطّوسيّ (قده)، قدّم إليّ ثلاثة أبيات أخرى تكملة للبيت الأوّل وهي:

ومثلك من يهدي لمثلي مثلها   فسبحان ربّي واهب الفضل منعما
ولست بناس زورتي لك ليلة   وجدت لنفسي عند بيتك مغنما
فسلمت وحياك اللّطيف بلطفه   وبوركت فذا، ثاقب الرّأي مسلما

كما وجدت في النّسخة الخطيّة الأولى لكتابي «التّذكرة» الّتي كتبتها في أيّام النّجف الأشرف بخطّه وتوقيعه (رحمه الله) ما يلي:

«وفي يوم الخميس ٢٣ رجب ١٣٩٨ زرت سماحة العلاّمة الشّيخ يوسف محمّد عَمرو، وكان عنده سماحة الشّيخ عصمت عبّاس عَمرو ابن عمّه، وبين يديه طبق فيه عنب، وفاكهة قاتمة اللّون، تشبه المشمش بطعمها، فقلت مرتجلاً:

ليوسف جئت في يوم الخميس   ويوسفُ خير خدن للجليسِ

يفيض هدية ً لطفًا وطيّبًا   فيؤنسني وبورك من أنيسِ
وعصمت أكل عنبًا شهيًّا   وفاكهة كلون الخندريسي

٢٣/ ٧/ ١٣٩٨هـ   التّوقيع

٢٩/ ٦/ ١٩٧٨م   محمّد رضا آل صادق»

كما قد قام (رحمه الله) بالثّناء على كتابتنا الأولى للتّذكرة أيّام النّجف الأشرف بخطّه وكتابته الآتية في الصّفحة ١٤ من تلك الكتابة بما يلي:

«١ رجب ١٣٩٨هـ - ٧/ ٦/ ١٩٧٨م

وقد زارني سماحة العلاّمة الشّيخ يوسف محمّد عَمرو في مدرسة قوام، وأطلعني على تذكرته، فأعجبت بها أيّما إعجاب، جعله الله من ذوي الألباب، الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، والله الموفّق وإليه المآب. وآخر دعوانا أنّ الحمد للّه ربّ العالمين».

وقد تُرجم له في كتاب: «المنتخب من أعلام الفكر والأدب»، في الصّفحة ٥٠٣، للأديب العراقيّ الأستاذ كاظم عبّود الفتلاويّ، فراجع.

أ ـ مع نقده لكتابي «فاطمة الزّهراء وقصائد أخرى»:

لقد قمت بإهداء شاعرنا المغفور له العلاّمة الشّيخ محمّد رضا آل صادق (قده) نسخة من كتابي الجديد «فاطمة الزّهراء وقصائد أخرى» وطلبت منه إعطاء الرّأي بها. فكتب لي جوابًا مؤرّخًا في ١٦ ربيع الثّاني ١٣٩٨هن الموافق لشهر آذار ١٩٧٨م، ما نصّه:

«كتاب فاطمة الزّهراء (عليها السّلام) وقصائد أخرى. هذا الكتاب حديث يقع في ١٠٨ صفحات من القطع الصّغير، لسماحة الشّيخ يوسف محمّد عَمرو الوائليّ الكسروانيّ.

وإنّ من نافلة البيان أن أشير إلى أنّ ما اخطمّ عليه هذا الكتاب

نسيج وحده حتّى يكاد أن يميّز صوت صاحبه وأسلوبه، فهو من الشّعر المنثور الّذي يدور في فلك العقيدة الإسلاميّة فحسب. وأنا مع مؤلّفه الفاضل في صحّة تسميته بالشّعر البرزخيّ، فهو كما قال: الطّريقة الوسطى في الأدب التّعبيريّ والرّمزيّ الّتي تعتبر القريحة الشّاعريّة مطيتها في الأداء والإيقاع بدون تقيّد بالبحور الشّعريّة والأوزان إلاّ ما أتى بطريقة الصّدفة أحيانًا، وساقت إليه القريحة أخرى».

ويصحّ أن نسمّي مؤلّف هذا الكتاب: تلميذ القرآن والحديث، لأنّه يحاول أن يتأدب بأدبهما، وينسج على منوالهما، فأسلوبه شائق حقًّا، لأنّه مطبوع غير مصنوع، ينساب عفو الخاطر دون عناء وتكلّف، بل على رسله.

والملحمة الأولى فاطمة الزّهراء بفصولها، تنقل القارئ إلى تصوّر العصر الّذي عاشته سيّدة النّساء «أم أبيها» (عليها السّلام)، وتعكس ظلامتها واهتضامها.

والقصائد الأخرى الّتي تلت الملحمة وهي: معركة بدر، وأبو تراب، والرّبيع والحياة، لا تقلّ عن سابقتها إشراقًا وجزالة..

وليس ذلك بدعًا فشاعر الملحمة شاعرها جميعًا، وإنّني إذ يسرّني أن أشدّ على يدي أخي العلاّمة الشّيخ يوسف محمّد عَمرو مهنّئًا على إصدار هذا الشّعر البرزخيّ الشّائق الّذي ينمّ عن أسلوبه الرّائق، فطوبى له وحسن مآبًا.

إلاّ أنّ لي بعض الملاحظات الّتي لا تنقص الكتاب ولا تقلّل من قيمته أذكرها ليفيد منها والله وليّ التّوفيق.

١ - ورد في صفحة ١٨٠ منه كلمة ربيب بمعنى متربٍّ وهو: غير صحيح لغةً لأنّ الرّبيب ابن الزّوج من زوج آخر، كما ورد في الصّفحة ذاتها كلمة وريثة، والفصيح أن يقال: وريث لأنّه زنة

«فعيل» للصّيغة المشبّهة يستوي فيها المذكّر والمؤنّث. ومنه قوله تعالى: ؟ إنّ رحمة الله قريب من المحسنين ؟. أو قوله: ؟ وما يدريك لعلّ السّاعة تكون قريبًا ؟... وعلى هذا يكون الحكم هو: في قوله «الوليدة المطهّرة» ص ١٩، والحكمة الرّزينة.

أمّا الأيات الجليلة فاستعمال صحيح لأنّ التّأنيث فيه مراعاة للجمع. ولكن القول كما ذكرنا في قوله: حزينة أو البضعة الأمينة.

٢ - ص ٣٨ مرءى. الصحيح كتابتها: مرآى.

٣ - ص ٣٩ فمحمّد أباك وأخا ابن عمّك. الصّحيح: أبوك، وأخو ابن عمّك. إلاّ على لغة من يقصر فيعامل معاملة المقصور. ومنه قول الشّاعر:

إنّ أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

٤ - ص ٤٨ وأسقيتم. لمَ لا قلت: وسقيتم؟

٥ - ص ٥٦ أخرجتم: كان ينبغي أن يقال: أخرجتما.

٦ - ص ٥٧ بنا أبا حسن: كان الفصيح: بنى أبو حسن.

٧ - ص ٦٤ وجاءا عائدين زائرين. (هذا هو الصّحيح).

هذا ما عنَّ لي من تسجيل بعض الملاحظات السّريعة مع انشغال البال، وضعف الحال، والله وليّ الدّنيا والآخرة، وإليه المآل، وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين.

محمّد رضا آل صادق

النّجف الأشرف في ١٦/ربيع الثّاني ١٣٩٨هـ».

وقد قمت بالتّالي بتوجيه الشّكر والتّحيّة له بهذه الأبيات الّتي نظّمتها صباح يوم الخميس في ٢٣ رجب الحرام ١٣٩٨هـ، الموافق ٢٩ حزيران ١٩٧٨م. ومن ثمّ قدّمتها له في منزلي في النّجف الأشرف،

وبوجود ابن عمّي فضيلة الشّيخ عصمت عبّاس عَمرو وهي هذه الأبيات:

«٢ شراع الشّعر الجميل

فوق زورق القوافي

راح ينهب الأرض، والبحار،

يحرّك الأوتار

عند كلّ مطلع، وقصيد،

وبحر، ولحنٍ سعيد

وشعر طائر غرِّيد

لمحمّد جار الحرم العتيد

حرم إمام الأدب والتّوحيد

له شعر ونثر كالدُّرِّ النّضيد

جادت به الغريُّ

وخيرات القريض

❁ ❁ ❁

أنت أوّل ناقد أعجبه شعريَّ المنثور

فدبَّجت لي مقالاً

ألحقته بأشعار في كتاب «أبي تراب»

وفضل ولطف في كلّ باب

فأيُّ سجع ونثرٍ

وَشعرٍ وخيال

يَفي بحقّ صادق من آل صادق

دأبه الصّدق، والشّعر،

عجزت عن إيفائه

بعض حقّه

وشعري هذا خير... شاهد وناطق

لأخٍ عزيز

له في قلبي كريمُ الخصال»

❀ ❀ ❀

٢٤ ـ رسالة اليمن من الخطيب الفاضل الشّيخ أحمد السّاعديّ النّجفيّ إلى المصنّف:

فضيلة الخطيب الفاضل الشّيخ أحمد السّاعديّ النّجفيّ عرفته عن قرب في قريتنا المعيصرة في العشر الأوائل من شهر محرّم الحرام في عامي ١٩٩٣م، و١٩٩٤م بالفضل، والأدب، والخطابة، والاهتمام بالتّبليغ والدّفاع عن حياض الفكر الإسلاميّ، وصراط أهل البيت عليهم السلام.

وقد اختاره بعد ذلك مركز الكوثر الإسلاميّ في صنعاء في اليمن أستاذًا ومرشدًا للطّلاّب اليمنيين، وقد أرسل لي الرّسالة الآتية يشرح فيها لنا حُب أهل اليمن وتعلّقهم بأهل البيت عليهم السلام منذ صدر الإسلام، ومعاناة تلك البلاد من التّيارات الوهّابيّة بشكل عام، ومركز الكوثر الإسلاميّ بشكل خاصّ حيث قال:

«باسمه تعالى

الحمد لله ربّ العالمين وأفضل السّلام على نبيّه وآله الطّيبين الطّاهرين.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سماحة العلاّمة الفاضل الشّيخ يوسف محمّد عَمرو المحترم

نودّ أن تكونوا بخير وأفضل حال وحرسكم الله تعالى من كلّ سوء، وجعلكم من خَدمة شريعة سيّد المرسلين، وأخذ بيدكم إلى طاعته ونصرة دينه الحنيف. ونحن من اليمن نتوسّل إلى الله تعالى أن يُغدق عليكم نعمته وفضله ويدفع عنكم مكاره الدّنيا والآخرة.

أمّا بعد،

فإنّي في بلاد اليمن بلاد شيعة أمير المؤمنين الّذين سبقوا إلى ولاية أمير المؤمنين منذ صدر الإسلام، وقد حالت الظّروف الكثيرة دون استمرارهم على خطّ الولاية الأصيل، بل دخلت عليهم كثير من العقائد والمفاهيم الّتي نبعت من غير مذهب أهل البيت عليهم السلام، وتشتّتوا على غير هدى، حتّى وجدت الوهّابيّة والسّلفيّة وغيرها المنفذ لتسرق الشّيعة وتحرفهم عن ولاء آل محمّد بيد أنّ الله لا يترك دينه المتمثّل بآل محمّد دون رعاية، فقيّض جماعة من المؤمنين يتشرّفون بخدمته عسى أن يفلحوا في إعادة هذا البلد إلى منبعه الأصليّ ونحن الآن قد قدمنا منذ عدّة شهور إلى اليمن ونمارس التّدريس والإرشاد والتّوعية تحت رعاية مركز الكوثر الإسلاميّ الّذي نشأ حديثًا ليمارس دوره المناط به.

وإن كانت هذه المهمّة مشوبة بالمصاعب والمضايقات الكثيرة في ظلّ تجمّعات وتيارات كثيرة قد سبقتنا إلى السّاحة اليمنيّة، وهي ذات دعم قويّ في النّاحيتين الماديّة والسّياسيّة، بيد أنّ هذا لا يقف حائلاً دون تأدية الواجب الّذي توسّم به طلبة العلوم. وما توفيقنا إلاّ بالله العليّ العظيم.

فلا تنسونا من دعائكم وإن شاء الله نلتقي بكم في محرّم الحرام ـ شهر سيّد الشّهداء.

ونحن بدورنا نشاطركم الدّعاء لكم وللعائلة الكريمة الموقّرة ودمتم مؤيّدين.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولدكم الشّيخ — السّبت في ٦/رجب ١٤٢٠هـ.

أحمد النّجفيّ — العنوان: اليمن ـ صنعاء

هاتف وفاكس: ٤١٢٧٧٩ مركز الكوثر الإسلاميّ».

وفي رسالة أخرى من صاحب الفضيلة الشّيخ السّاعديّ (حفظه الله

تعالى)، أخبرني أنّ مركز الكوثر الإسلاميّ الآنف الذّكر قد اشترى مائة نسخة من كتابي «أبو تراب»، الطّبعة الرّابعة، لتوزيعها على المؤمنين في اليمن، فشكرته على ذلك ووعدته بإرسال مائة نسخة أخرى على نفقتي بواسطة دار المؤرّخ العربيّ في بيروت. ولكنّني لم أوفّق لذلك لغاية تأريخه، سائلاً الله تعالى أن يوفّقني لهذا في المستقبل إن شاء الله تعالى. والشّيء الّذي حدث في نهاية شهر أيلول سنة ٢٠٠١م، في اليمن، هو أنّ بعض التّيّارات السّلفيّة من أنصار المنشقّ السّعوديّ أسامة بن لادن قد وجّهت إليهم من قبل الحكومة اليمنيّة أصابع الاتّهام باحداث عدن، ممّا شغل تلك التّيّارات المشبوهة والحاقدة عن المؤمنين من الشّيعة الزّيديّة، والشّيعة الإماميّة من خلال ملاحقات السلطات اليمنيّة لها توطيداً للامن، ومحافظة على النظام العام.

٢٥ ـ مع العلاّمة الشّيخ عصام ضامن شمص (قده).

تربطني بفضيلة الأخ الحبيب العلاّمة المرحوم الشّيخ عصام ضامن شمص (قده) روابط كثيرة، وذكريات جميلة، عندما درس عندي في النّجف الأشرف، وأثناء عملنا معًا في خدمة بلاد جبيل وكسروان. وقد تكلّمت عنه في عدّة مواضع من الفصل الأوّل من الجزء الثّاني من هذا الكتاب. ولنقرأه (رحمه الله) يحدّثنا عن نفسه في كتاب «المسلمون في جبيل وكسروان» الصّادر عن المكتبة الإسلاميّة الجبيليّة ـ الطّبعة الأولى، في سنة ١٤٠٥هـ، الموافق لسنة ١٩٨٥م تحت عنوان: «مقابلة مع فضيلة العلاّمة الشّيخ عصام ضامن شمص» حيث قال (رحمه الله) في الصّفحات ١٤.١٥.١٦ ما يلي: «ج١: بسم الله الرّحمن الرّحيم والصّلاة والسّلام على سيّد الخلق أجمعين محمّد وعلى آله وأصحابه الطّيبين الطّاهرين. نعم أنّني من مواليد يحشوش قضاء كسروان، ولدت فيها وترعرعت في أجوائها منذ عام ١٩٥٣ ولغاية الثّلث الأوّل من العمر. وبعدها انتقلت إلى مدارس بيروت ومن ثمّ إلى مدينة جبيل إلى المرحلة الوسطى من العمر، وبعد ذلك انتقلت من أجواء البعد القسريّ عن الإسلام إلى ينبوعه العذب، ونهلت من نميره في معهد الدّراسات الإسلاميّة في صور، وقُمّ المُقدّسة، والنّجف الأشرف، وانتهت هذه المرحلة الإسلاميّة المباركة بالسّجن لمدّة عشرين يومًا في بغداد. وبعدها بدأت المرحلة التّطبيقيّة لما تلقفته من العلوم في المنطقة الجبيليّة والكسروانيّة الآنفة

الذّكر. وبدأت ذلك من خلال السّهرات اللّيليّة والمحاضرات في أغلب المناسبات الإسلاميّة وغيرها، وذلك لمدّة سبعة أشهر تقريبًا.... إلى أن قال: ولهذا أرادوا ضرب الإسلام من خلال منعهم لي ولغيري من علماء الدّين، وقد حدث ذلك عام ١٩٧٨م، يوم اختفاء الإمام السّيّد موسى الصّدر بالتّحديد! ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ! وحينئذٍ تركت منطقتي الّتي اعتبرها أمانة في عنقي وعنق كلّ إنسان يشعر بمسؤوليته الكاملة نحو إخوانه المستضعفين في كلّ بقاع الأرض، فضلاً عن تلك المنطقة المحرومة من أبسط حقوقها الدّينيّة والمدنيّة على حدّ سواء. وخلال فترة الحرب الأهليّة مورست الضّغوطات الخبيثة على أبنائها لأجل عدم التّظاهر بأيّ مفهوم إسلاميّ حتّى أنّ الأذان الشّريف الّذي يرفع أوقات الصّلاة قد حظّر عليهم حظّراً شديدًا، فمنع ذكر الله هناك، وكذلك الحجاب الإسلاميّ الّذي كان مسيحيًّا قبل أن يكون إسلاميًّا، فالسّلطة القائمة هناك تنكّرت لدينها المسيحيّ وأرادت من المسلمين أن يتنكّروا لدينهم كذلك، ولكن لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

س٢: ولماذا تركتم تلك البلاد مع حاجتها الشّديدة إليكم وإلى أمثالكم من أهل العلم والفضل؟

ج٢: ذكرت لكم الأسباب القسريّة الّتي أجبرتني على مغادرة تلك البلاد في الجواب الأوّل ولا حاجة للتّكرار».

وأمّا قصّة هذا الكتاب مع المرحوم العلاّمة الشّيخ عصام ضامن شمص (قده)، ومعنا فقد سبق أن تكلّمت عنها في الفصل الأوّل من الجزء الثّاني من هذا الكتاب تحت عنوان: حقوق الطّائفة الإسلاميّة الشّيعيّة في بلاد جبيل وكسروان. مشاركة فضيلة العلاّمة الشّيخ عصام ضامن شمص في الرّأي، وتأييده في إصدار كتاب: «المسلمون في جبيل وكسروان»، فراجع.

وممّا يجدر ذكره أيضًا أنّ الكتاب ـ الآنف الذّكر ـ قد نقل عنّي ثلاثة بحوث في الفقرة ب لفظًا بلفظ وهي البحوث الآتية:

١ ـ فتوح كسروان وبلاد جبيل وجود إسلاميّ أصيل، عن مجلّة الوحدة الإسلاميّة العدد ١٦١٧، صفر ١٤٠٥هـ، ٩ تشرين الثّاني ١٩٨٤م.

٢ ـ نظرة على ماضي وحاضر الشّيعة في بلاد جبيل وكسروان، عن مجلّة العرفان المجلّد ٧٢، الصّادر كانون الثّاني ١٩٨٤م.

٣ ـ حقوق الطّائفة الإسلاميّة الشّيعيّة في بلاد جبيل وكسروان، عن مجلّة العرفان العدد الثّاني، المجلّد ٧٢، محرّم ١٤٠٥هـ، تشرين أوّل ١٩٨٤م.

أمّا مواد الكتاب ـ الآنف الذّكر ـ الأخرى فكانت من الصّحف، ومن الأخبار الشّائعة والمشهورة بين المسلمين في داخل المنطقة حول تلك الأحداث، والّتي جرى توثيقها بعد دراستها جيّدًا، وتدوينها في ذلك الكتاب.

وقد فقدت بلاد جبيل وكسروان بشكل خاصّ والمقاومة الإسلاميّة بشكل عامّ علمًا من أعلامها برحيل شيخنا الشّيخ شمص المفاجئ من دار الفناء إلى دار البقاء في ١٣/ ١٢/ ١٩٨٩م، وقد كان له مأتم عظيم شارك فيه المؤمنون من جميع الأقضية اللّبنانيّة. وقد صلّى عليه آية الله العظمى السّيّد محمّد حسين فضل الله (دام ظلّه)، حيث دُفن في مقبرة حي السّلم العامّة ـ الشّويفات.

٢٦ ـ مع العلاّمة الدّكتور الشّيخ عليّ البهادليّ (قده) في المعيصرة.

تقدّم الكلام عن فضيلة الدّكتور الشّيخ عليّ نجل آية الله الشّيخ أحمد البهادليّ (قده) المتوفّى في ٢٠ حزيران ٢٠٠١م. في الفصل الأوّل من الجزء الثّاني من هذا الكتاب، في عدّة أماكن، وقد أفردت له رحمه الله، تحت عنوان: مع فضيلة الدّكتور الشّيخ عليّ البهادليّ (قده) والحوزة العلميّة لدراسة علوم أهل البيتعليهم السلام، كلامًا خاصّاً به (رحمه الله)، كما تكلّمت عنه أيضًا تحت عنوان: أضواء على تأريخ الإسلام من خلال رؤى الإمام الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر (قده).

وخلاصة ما خصّني به (رحمه الله)، للطّبعة الخامسة لكتابي «أبو تراب»، هو ما أوردته في الصّفحتين ٢٦٥و٢٦٦ وهو ما يلي: «وقد تفضّل علينا رئيس المنتدى الثّقافيّ العراقيّ في لبنان الأديب الأريب الأستاذ صاحب الفضيلة الشّيخ الفاضل عليّ الشّيخ أحمد البهادليّ النّجفيّ بهذه الأبيات وذلك يوم الجمعة في ٢٢ ربيع الأوّل ١٤٢١هـ، الموافق ٢٣ حزيران لسنة ٢٠٠٠م، بالأبيات الآتية:

أيُّها القاضي وقيتَ النُّوبا ... بكتاب نهجُه قد رُتِّبا

صُغتَ عنوانًا له من حيدر ... صفة تبعث زهوًا وإبا

إنّه روضة حبٍّ نشرتْ ... بأزاهير تنير الحُقبا

وائليُّ الجذر قد شُدّت لنا ... في أبي التُّرب ضمانًا طيّبا

سوف تلقى حيدرًا في جنَّة — وتنال الخير من أهل العبا
أيُّها النّشيء ألا فاغتنموا — فرصَةٌ في خير ما قد كُتبا
واستشفُّوا الطُّهر من أروقة — بعليّ بابُها قد رحُبا
بحرُ علم عبقت أطرافُه — من حروف (النّهج) روضًا خصبا
وانهلوا العلمَ عطاءً وافرًا — من هدى حيدر حرفًا ذُهَّبا
أفضل الزّاد عليّ بابُه — إنّه زادٌ ليوم سَغُبا»

وقد جاء في ترجمة شيخنا البهادليّ (قده) في الكتاب الّذي أشرفت على إصداره مع الأستاذ رامي كنعان وفضيلة الشّيخ محمّد مرتضى حسن بعد وفاته تحت عنوان: شقائق الوفاء كلمات من وحي رحيل الدّكتور عليّ البهادليّ، إعداد الحوزة العلميّة لدراسة علوم أهل البيت عليهم السلام، ما يلي: «عليّ البهادليّ (١٩٥٤ ـ ٢٠٠١م) كاتب وباحث عراقيّ، ولد في مدينة النّجف الأشرف وتلقّى فيها علومه الأكاديميّة حتّى نال إجازة في الفقه الإسلاميّ (بكالوريوس) من كليّة الفقه (النّجف الأشرف).

غادر العراق سنة ١٩٧٧م، متوجّهًا إلى الكويت، طاف بعدها على دول متعدّدة حتّى استقرّ به الأمر في لبنان في العام ١٩٨٦م، ولم يغادره حتّى وفاته.

*** في لبنان:**

. تابع دراسته الجامعية العليا، ونال شهادة الماجستير عن رسالته: «الحوزة العلميّة في النّجف: معالمها وحركتها الإصلاحيّة» (١٣٣٩. ١٤٠١هـ، ١٩٢٠ ـ ١٩٨٠م)

ـ أسّس المنتدى الثّقافيّ العراقيّ في لبنان، والحوزة العلميّة لدراسة علوم أهل البيت عليهم السلام ـ بيروت.

. عكف على إعداد أطروحة دكتوراه بعنوان: «ولاية الفقيه: الجذر الفقهيّ البعد السّياسيّ» غير أنّ المنيّة وافته قبل إتمام عمله.

ـ مارس الكتابة العلميّة، بحوثًا ودراسات، والأدبيّة، شعرًا ونثرًا.

*** صدر له في بيروت:**

١ ـ النّجف الأشرف جامعتها ودورها القياديّ.

٢ ـ خفقات للغد والحبيبة (ديوان شعر).

٣ ـ الحوزة العلميّة في النّجف: معالمها وحركتها الإصلاحيّة.

٤ ـ ومضات من حياة الإمام الخوئيّ.

٥ ـ أصول البحث العلميّ.

إضافة إلى الكثير من المقالات والأبحاث والقصائد والقصص الّتي نشرت في الصّحافة اللّبنانيّة والعربيّة.

توفي في منزله ببيروت مساء الأربعاء الواقع فيه ٢٨ ربيع الأوّل ١٤٢٢هـ، الموافق ٢٠ حزيران ٢٠٠١م[١].

---

(١) نُقل جثمانه الطاهر من قبل الجالية العراقية في لبنان وأصدقائه من روضة الشهيدين في الغبيري إلى حسينية أمير المؤمنين علي عليه السلام في المعيصرة ـ فتوح كسروان. قبل ظهر الأحد في ٢٤/حزيران/٢٠٠١ حيث صلّينا عليه، ودفنّاه في جبانة المعيصرة العامّة... وأقمنا العزاء عن روحه الطاهرة في المعيصرة، وفي منزلي في الغبيري. كما أقام له المجلس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى، مع الجالية العراقية في لبنان العزاء في مقر المجلس العام، وفي مسجد الامام المهدي عليه السلام في الغبيري، وفي حسينية اهالي بنت جبيل في حارة حريك كما أقيمت مجالس العزاء عن روحه الطاهرة في النجف الاشرف، وفي دمشق، وفي امستردام، وفي لندن وغيرها من مدن.

٢٧ ـ مع كتاب «أبو تراب» والسّيّد الخرسان:

خلال مدّة إقامتي القصيرة في بناية المرحوم الحاجّ محمّد ناصر الدّين وشركاه في شركة البنيان ـ الغبيري، وفّقني الله تعالى لمعرفة سماحة العلاّمة السّيّد محمّد باقر الخرسان (حفظه الله تعالى) صاحب مؤسّسة دار الكتاب الإسلاميّ، وللحضور في مجالسه الحسينيّة الّتي كان يدعو إليها سكّان البناية وأهل الفضيلة والإحسان. وذات ليلة من ليالي سنة ١٩٩٠م، زارني وطلب منّي رؤية ما عندي من مؤلّفات، فجئت له بثلاثة كتب مطبوعة قد نفدت من الأسواق ولم يبقَ منها إلاّ النّذر اليسير وهي:

١ ـ أبو تراب: الطّبعة الثّانية، منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٧م. على نفقة المرحوم الحاجّ محمود ياسين شمص، مختار الغبيريّ الأسبق.

٢ ـ فاطمة الزّهراء وقصائد أخرى، منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٧م. على نفقة المحسن الكريم السّيّد عليّ جواد.

٣ ـ المدخل إلى أصول الفقه الجعفريّ، قدّم له سماحة آية الله الشّهيد السّعيد السّيّد محمّد الصّدر (قده)، طباعة ومنشورات دار الزّهراء، بيروت، ١٩٨١م.

وبعد أن تفحّص تلك المطبوعات أعلن عن استعداده التّامّ بالقيام

بتجديد تلك المطبوعات وإعادة طباعتها على نفقته الخاصّة، فشكرته شكرًا كثيرًا.

وابتدأت بعدها بإعادة النّظر، وتحقيق الطّبعة الثّالثة من كتاب «أبو تراب»، حيث خرجت بحلّة جديدة حديثة، وبغلاف جلديّ جميل، وذلك سنة ١٩٩١م، الموافق لسنة ١٤١١هـ.

وقد تعرّض سماحة السّيّد الخرسان في سنتي ١٩٩١و١٩٩٢م، وما بعدهما إلى نكسات ماليّة خطيرة، بسبب مصادرة كتبه في السّعوديّة، ولغير ذلك من نكسات أتت على أيدي أصدقائه القدامى في الخليج ولبنان. فحاولت مساعدته بالكلمة الحسنة والدّعاء، ولم أستطع إفادته، لأنّ معظم المدّعي عليهم من قبل سماحته كانوا خارج الأراضي اللّبنانيّة، أمّا من بقيَ منهم داخل الأراضي اللّبنانيّة، فقد تكلّمت مع بعضهم في قضيّة الظّلم والحيف اللاّحقين بالسّيّد الخرسان، ولكنّني لم أجد آذانًا صاغية آنذاك.

وقد وفّقني الله تعالى لشراء مائة نسخة، أو أكثر من كتابي الآنف الذّكر، من ولده السّيّد صادق، وتوزيعه هدايا على الأصدقاء في حينه.

٢٨ ـ مع العلاّمة السّيّد عبّاس عليّ الموسويّ، وكتابه «علماء ثغور الإسلام»:

ب ـ شكر وتقدير لجهود المصنّف:

نتوجّه إليكم سماحة سيّدنا الحجّة السّيّد عبّاس عليّ الموسويّ، بالتّهنئة والمباركة للجهود المباركة الّتي بذلتموها في تأليف وتصنيف سفركم القيّم الجديد «علماء ثغور الإسلام في لبنان خلال نصف قرن»، حيث أحييتم به ميت البلاد، وأرّختم به لدوحة العلم والأدب والتّقوى والفضيلة والجهاد، ولمؤسّسيها الأبطال في ثغر من الثّغور المباركة في عصر الهزيمة والنّكسة العربيّة أمام العدو الصّهيونيّ الكافر، خلال تلك المدّة الزّمنيّة الّتي أرّختم لها.

لقد قام أولئك الأبطال العظام الّذين أرّختم لهم بإرساء قواعد الإسلام وآدابه وتعاليمه في نفوس النّاس، وإلقاء الحجّة عليهم بالكلمة والموعظة الحسنة، حتّى أصبح لبنان في أواخر القرن العشرين ـ بفضل الله تعالى، وجهادهم ـ منبرًا عالميًّا للدّعوة إلى الإسلام، والوحدة بين المذاهب الإسلاميّة، والوحدة الوطنيّة بين المسلمين والمسيحيين، وللأخلاق الفاضلة، وقاعدة حصينة في وجه العدوان الصّهيونيّ الغاشم.

وحتّى أنّ لبنان قد كبُر بهم، وأصبح من خلالهم وطن العلم والحريّة والمقاومة، لجميع العرب والمسلمين في العالم في نهاية القرن

العشرين، وبعد أن أرادت فرنسا والدّول الاستكباريّة في العالم من لبنان أن يكون مثل إمارة موناكو الفرنسيّة في الضّلال والفساد والإفساد. فبعض أولئك الأعلام الّذين أرّختم لهم كانوا كالنّجوم الّتي يهتدي بها المسافر في اللّيالي الظّلماء في القرن العشرين والقرن الّذي تلاه، كالإمام المصلح السّيّد محسن الأمين، والإمام المصلح السّيّد عبد الحسين شرف الدّين، وآية الله الشّيخ حبيب آل إبراهيم، وآية الله الشّيخ يوسف الفقيه، وآية الله الشّيخ محمّد جواد مغنيّة، وآية الله الشّيخ عبد الله نعمة، وآية الله السّيّد هاشم معروف الحسنيّ، والإمام الشّيخ محمّد جواد شرّيّ، والإمام السّيّد موسى الصّدر، والإمام الشّيخ محمّد مهديّ شمس الدّين، والمرجع الدّينيّ آية الله الشّيخ محمّد تقيّ الفقيه، والمرجع الدّينيّ آية الله السّيّد حسين يوسف مكّيّ، وآية الله الشّيخ حسين معتوق، وآية الله الشّيخ محمّد تقيّ صادق، وآية الله السّيّد عبد الرّؤوف فضل الله، وآية الله السّيّد عبد المحسن فضل الله، وآية الله الشّيخ عليّ الفقيه، وآية الله السّيّد عبد الصّاحب الحسنيّ، وآية الله الشّيخ حسين مغنيّة، وآية الله الشّيخ موسى عزّ الدّين، وآية الله السّيّد محمّد حسن فضل الله، وآية الّله الشيخ ابراهيم سليمان، والعلاّمة الشّيخ محمّد عيّاد، والعلاّمة الشّيخ رضا فرحات، والعلاّمة الشّيخ سليمان اليحفوفيّ، والعلاّمة المجاهد السّيّد عبد الأمير صفيّ الدّين، والعلاّمة المجاهد الشّيخ جعفر الصّائغ، والعلاّمة الزّاهد الشّيخ حسين عوّاد، والعلاّمة الزّاهد الشّيخ محمّد حسن القبيسيّ، والمجتهد العلاّمة الزّاهد الشّيخ موسى شرارة، والمفتيّ الجعفريّ الممتاز السّيّد حسين الحسينيّ، وآية الله القاضي الشّيخ حسين الخطيب، والعلاّمة الشّيخ محمّد حسين الزّين، والعلاّمة القاضي الشّيخ عبد الحسين نعمة، والعلاّمة القاضي الشّيخ خليل ياسين، والعلاّمة القاضي الشّيخ محمّد زغيب، والعلاّمة القاضي السّيّد فيصل أمين السّيّد، والعلاّمة القاضي الشّيخ عبد الله مديحليّ، والعلاّمة القاضي الشّيخ

إبراهيم الخطيب، والعلاّمة القاضي السّيّد نور الدّين شرف الدّين، والعلاّمة القاضي الشّيخ محمّد عليّ ناصر، والمفتي الشّيخ نجيب سويدان، والعلاّمة القاضي الشّيخ عليّ العسيليّ، والعلاّمة الشّهيد السّيّد عبّاس الموسويّ، وشيخ المجاهدين الشّهيد راغب حرب، والعلاّمة الشّهيد السّيّد عبد اللّطيف الأمين، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم ورحمهم برحمته الواسعة.

ومن أصحاب السّماحة الآخرين: آية الله العظمى المرجع الدّينيّ السّيّد محمّد حسين فضل الله، وآية الله الشّيخ حسن طراد، وآية الله الشّيخ محمّد جعفر شمس الدّين، وآية الله الشّيخ حسن العسيليّ، وآية الله الشّيخ محمّد مفيد الفقيه، وآية الله الشّيخ عبد الكريم شمس الدّين، وآية الله الشّيخ بدر الدّين الصّائغ، والعلاّمة حجّة الإسلام المفتيّ الجعفريّ الممتاز الشّيخ عبد الأمير قبلان، وحجّة الإسلام العلاّمة المفتي السّيّد محمّد عليّ الأمين، والعلاّمة المجاهد السّيّد حسن نصر الله، والعلاّمة الحجّة العلم الزّاهد السّيّد نجيب خلف، والعلاّمة الدّكتور السّيّد صدر الدّين فضل الله، والعلاّمة الشّيخ عبد اللّطيف برّي، والعلاّمة الشّيخ محمّد عليّ برّو، والعلاّمة الشّيخ عليّ كوراني، والعلاّمة المجاهد الشّيخ محمّد يزبك، والعلاّمة المجاهد الشّيخ عفيف النّابلسيّ، والعلاّمة القاضي السّيّد محمّد حسن الأمين، والعلاّمة القاضي السّيّد عبد الكريم نور الدّين، والعلاّمة القاضي السّيّد عبد الله شرف الدّين، والعلاّمة القاضي الرّئيس الشّيخ حسن عوّاد، والعلاّمة القاضي الشّيخ عليّ ضيا، والعلاّمة القاضي الشّيخ حسن عبد السّاتر، والعلاّمة القاضي الدّكتور الشّيخ محمّد جعفر المهاجر، والعلاّمة السّيّد فخر الدّين أبو الحسن، والعلاّمة السّيّد عليّ مهديّ إبراهيم (قده)، والعلاّمة القاضي السّيّد أحمد شوقي الأمين، والعلاّمة السّيّد هاني فحص، والعلاّمة السّيّد عبد الصّاحب فضل الله، والعلاّمة الشّيخ عبد المنعم مهنّا، والعلاّمة الشّيخ

عليّ العفيّ، والعلاّمة المفتي الشّيخ عبد الأمير شمس الدّين، والعلاّمة الشّيخ قاسم قبيسيّ، والعلاّمة الشّيخ عبد الله الأخرس، والعلاّمة الدّكتور الشّيخ محمود فرحات (قده)، والعلاّمة الشّيخ أحمد صادق، والعلاّمة الشّيخ أحمد قصير، والعلاّمة القاضي السّيّد عليّ فضل الله، والعلاّمة الشّيخ إبراهيم قصير، والعلاّمة السّيّد إبراهيم أبو الحسن، والعلاّمة السّيّد حيدر شرف الدّين، والعلاّمة الشّيخ حمزة اليحفوفيّ (قده)، والمفتي العلاّمة الشّيخ محمّد عسيران، والعلاّمة المجاهد الشّيخ محمّد كوثراني، والعلاّمة الشّيخ أحمد عسيليّ، والعلاّمة الشّيخ عليّ شحرور، والعلاّمة الشّيخ أحمد معتوق، والعلاّمة المفتي الشّيخ خليل شقير، والعلاّمة المجاهد السّيّد إبراهيم أمين السّيّد، والعلاّمة الشّيخ محمود كوثراني (قده)، والعلاّمة الشّيخ عليّ ياسين، والعلاّمة الشّيخ يوسف دعموش، والعلاّمة الشّيخ مصطفى زبيب، والعلاّمة الشّيخ أحمد كوراني، والعلاّمة الشّيخ زهير كنج، والعلاّمة الشّيخ عبد الحسين صادق، والعلاّمة المفتي الشّيخ عبد الحسين عبد الله، والعلاّمة الشّيخ محمّد جواد الفقيه، والعلاّمة الزّاهد الشّيخ محمّد رضا الفقيه، والعلاّمة الشّيخ حسين كوراني، والعلاّمة السّيّد حيدر الحسنيّ، والعلاّمة السّيّد جعفر مرتضى، والعلاّمة السّيّد مرتضى مرتضى، والعلاّمة السّيّد محمّد عليّ الحسنيّ، والعلاّمة السّيّد محمّد جواد الأمين، والعلاّمة السّيّد محمّد حسن ترحيني، والعلاّمة الشّيخ فهد مهديّ، والعلاّمة السّيّد هاشم نصر الله، والعلاّمة الشّيخ عبد المنعم الزّين، والعلاّمة السّيّد إبراهيم مرتضى، والعلاّمة السّيّد محمّد مرتضى، والعلاّمة السّيّد نسيم عطويّ، والعلاّمة المفتي السّيّد عليّ الأمين، والعلاّمة الشّيخ عدنان زلغوط، والعلاّمة القاضي الشّيخ أسد الله الحرشيّ، والعلاّمة القاضي الشّيخ محمّد سعيد سرور، والعلاّمة القاضي الشّيخ حسين درويش، والعلاّمة القاضي الشّيخ محمّد عليّ زغيب، والعلاّمة القاضي الشّيخ مهديّ اليحفوفيّ، والعلاّمة

القاضي الشّيخ عليّ الخطيب، والعلاّمة القاضي الشّيخ حسن مرمر، والعلاّمة القاضي الشّيخ معروف رحّال، والعلاّمة القاضي الشّيخ محمّد عليّ كنعان، والعلاّمة القاضي الشّيخ عبد الحليم شرارة، والعلاّمة القاضي الشّيخ عليّ المولى، والعلاّمة القاضي السّيّد بشير مرتضى، والعلاّمة الزّاهد السّيّد منير مرتضى، والعلاّمة القاضي الشّيخ جمال الفقيه، والعلاّمة الشّيخ محمّد رضا برّي، والعلاّمة الزّاهد الشّيخ عليّ البغداديّ، والعلاّمة الزّاهد الشّيخ محمّد المصريّ، والعلاّمة الشّيخ محمّد توفيق شهاب، والعلاّمة السّيّد نبيل عبّاس، والعلاّمة الشّيخ حسين قازان، والعلاّمة الشّيخ حسين سرور، والعلاّمة الشّيخ عبد الرّسول حجازيّ، والعلاّمة الشّيخ محسن عطويّ، والعلاّمة السّيّد محمّد كاظم فضل الله، والعلاّمة السّيّد عبد الكريم فضل الله، وشقيقه العلاّمة السّيّد عبد الله فضل الله، والعلاّمة السّيّد عليّ السّيّد محمّد حسين فضل الله، والعلاّمة الشّيخ محمّد خاتون، والعلاّمة المجاهد الشّيخ نعيم قاسم، والعلاّمة الشّيخ محمّد حسين عَمرو، والعلاّمة المجاهد الشّيخ خضر نور الدّين، والعلاّمة الشّيخ عليّ الخازم، والعلاّمة السّيّد سامي خضرا، والعلاّمة الشّيخ محمّد عليّ المقداد، والعلاّمة الشّيخ محمّد توفيق المقداد، والعلاّمة الشّيخ حسين غبريس، والعلاّمة المجاهد السّيّد هاشم صفيّ الدّين، والعلاّمة الشّيخ حسّان العبد الله، والعلاّمة الشّيخ يوسف سبيتي، والعلامة الشيخ علي شحيمي، والعلّامة التقيّ السَّيِّد محمد علي فضل اللّه، والعلّامة الشيخ عبد العزيز سلامة، والعلّامة الشيخ سليم صالح وسيّدنا المحقّق السّيّد عبّاس عليّ الموسويّ وزملائه وإخوانه في تجمّع العلماء المسلمين في لبنان وعلى رأسهم شيخ الأسرى في السّجون الإسرائيليّة الشّيخ عبد الكريم عبيد. وغيرهم من الأعلام والقادة الهداة من الأحياء والأموات.

إنّ عملكم الكريم هذا قد كشف الغطاء عن القادة والجنود الّذين

أرسوا قواعد الإيمان والتّقوى والجهاد والوحدة والمحبّة في ربوع لبنان خلال نصف قرن، وجعلوا من المقاومة الإسلاميّة في لبنان كوكبًا تستنير به الشّعوب العربيّة والإسلاميّة في العالم، فجزاكم الله تعالى عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

وبعد، فاسمحوا لي بإبداء الملاحظات الآتية حول بعض الأمور وهي:

ما جاء في مقدّمة الكتاب من الجزء الأوّل في الصّفحة العاشرة حيث قلتم الآتي: «بما أنّ كثيرًا من العلماء ـ ولا أقول الأكثر ـ ينتسبون شكلاً أو مضمونًا إلى محور من أحد ثلاثة محاور: المجلس الإسلاميّ الشّيعيّ الأعلى، حركة أمل، حزب الله، كان لا بدّ من إعطاء صورة موجزة للغاية لكلّ واحد منها، مع العلم أنّ كلّ واحدة تدّعي تمثيل الشّيعة وأنّها صاحبة ذلك الحقّ في التّمثيل».

وملاحظتنا الأولى:

حول ما أوردتموه أنّ هناك تتمّة وتكملة لتلك المحاور الشّريفة هي ثلاثة محاور كريمة أخرى:

أوّلاً: محور النّجف الأشرف، وأبرز قادته الأئمّة الثّلاثة وهم: الإمام السّيّد محسن الطّباطبائيّ الحكيم (قده) المتوفّى سنة ١٣٩٠هـ، الموافق لسنة ١٩٦٩م. والإمام السّيّد أبو القاسم الموسويّ الخوئيّ (قده) المتوفّى سنة ١٤١٣هـ، الموافق لسنة ١٩٩٢م. والإمام الشّهيد السّيّد محمّد باقر الصّدر (قده) المستشهد في سنة ١٤٠٠هـ، الموافق لسنة ١٩٨٠م. فإنّ ما يقرب من ستّين بالمائة من علمائنا الأعلام الّذين ترجمت لهم يرجعون إلى هذا المحور الشّريف بل إنّ أكثريّة رجالات المحاور اللّبنانيّة الثّلاث الّتي ذكرتموها تفتخر بالرّجوع إلى حوزة النّجف الأشرف، والانتهال من معينها الشّريف، عند الشّدائد.

كما أنّ ٧٥٪ من علمائنا الأعلام في لبنان ممّن تجاوز الخمسين عامًا يفتخرون باستقلاليّتهم التّامّة عن المحاور اللّبنانيّة الآنفة الذّكر، وبرجوعهم إلى النّجف الأشرف وإلى مراجعها الأعلام في أيّامنا هذه، وعلى رأسهم آية اللّه العظمى السّيّد عليّ الحسينيّ السّيستانيّ (دام ظلّه)، وآية اللّه العظمى السّيّد محمّد سعيد الطّباطبائيّ الحكيم (دام ظلّه).

كما نفتخر أنّنا من أبناء هذا الجيل المبارك، الّذي شرب حبّ النّجف الأشرف وإمامها (عليه أفضل الصّلاة والسّلام) وعلمائها الأعلام حتّى الثّمالة، وسماحتكم تفتخرون أيضًا بذلك.

ثانيًا: محور قمّ المقدّسة، وهو محور مستحدث، وأوّل من سلكه من اللّبنانيين وهاجر إليه طلبًا للعلم: العلاّمة القاضي السّيّد عبد الله شرف الدّين نجل الإمام السّيّد عبد الحسين شرف الدّين (قده). حيث تتلمذ على يدي الإمام الرّاحل السّيّد البروجورديّ (قده)، ثمّ زادت هجرة اللّبنانيين إلى قمّ بعد انتصار الثّورة الإسلاميّة على يدي الإمام الرّاحل السّيّد روح الله الموسويّ الخمينيّ (قده) سنة ١٩٧٩م، حتّى أصبح اللّبنانيون اليوم في قمّ وجهًا مميّزًا من وجوهها العلميّة والفكريّة والثّقافيّة.

ومعظم الفضلاء القمّيين من اللّبنانيين يرجعون في تقليدهم إلى مراجع قمّ المقدّسة، وأبرزهم الإمام الرّاحل السّيّد الخمينيّ (قده)، أو إلى خليفته حفظه اللّه تعالى السّيّد الخامنئي (دام ظلّه)، أو إلى مراجع النّجف الأشرف، أو إلى مراجع قمّ المقدّسة، والمرجعيّات الدّينيّة في قمّ المُقدّسة مستقلّة استقلالاً تامًا في شؤونها وشجونها وغير ذلك عن الحكومة الإسلاميّة في طهران، وكذلك وكلاؤها في لبنان.

ثالثًا: محور المرجعيّات الدّينيّة في لبنان، وقد ابتدأ هذا المحور المبارك على يدي الإمام المصلح المجدّد السّيّد محسن الأمين الحسينيّ العامليّ (قده) المتوفّى سنة ١٣٧١هـ، الموافق لسنة ١٩٥١م. حيث كان

أوّل مرجع للشّيعة الإماميّة من جبل عامل بعد قرون طويلة، وقد صنّف عدّة كتب فقهيّة لمقلّديه في لبنان، وسوريا، والعراق وإيران وغيرها، أهمّها: رسالته، الدّرّ الثّمين في أهمّ ما يجب معرفته على المسلمين، وقد علّق على هذه الرّسالة بعد ذلك الإمام السّيّد محسن الطّباطبائيّ الحكيم (قده)، لتكون مرجعًا لمقلّدي السّيّدين الحكيم والأمين، في سوريا ولبنان بشكل خاصّ. ومن الإصلاحات الّتي قام بها (رضوان الله تعالى) عليه تهذيب المجالس الحسينيّة، وضبط أحاديثها ورواياتها، وتحريمه للتّطبير، وغير ذلك، ممّا جعل علماء الشّيعة الإماميّة في لبنان، وسوريا، والعراق، وإيران ينقسمون ما بين مؤيّد ومعارض له.

كذلك رعايته لبعض المشاريع الخيريّة في سوريا، ولبنان، وأهمّها: بناء مقام السّيّدة زينب بنت عليّ (عليهما السّلام) في غوطة دمشق، وغيرها من مشاريع.

والمرجع الثّاني هو آية الله السّيّد حسين يوسف مكّي الحسينيّ العامليّ (قده)، المتوفّى سنة ١٣٩٧هـ، الموافق لسنة ١٩٧٧م. انتدبه أستاذه الإمام السّيّد الطّباطبائيّ الحكيم (قده) ليحلّ في دمشق الشّام ليقوم مقام الإمام السّيّد محسن الأمين (قده)، حيث حلّ في دمشق سنة ١٩٥٤م. وقد كان نِعْمَ المرجع الدّينيّ والرّوحيّ للشّيعة بعد السّيّد الأمين في سوريا ولبنان، تصدّى للمرجعيّة الدّينيّة بعد وفاة أستاذه الإمام السّيّد الطّباطبائيّ الحكيم (قده) سنة ١٩٦٩م، حيث علّق على رسالة منهاج الصّالحين.

والمرجع الثّالث هو آية الله الشّيخ محمّد تقيّ الفقيه العامليّ (قده) المتوفّى سنة ١٤١٩هـ، الموافق لسنة ١٩٩٩م. حيث تصدّى للمرجعيّة بعد وفاة أستاذه الإمام السّيّد الطّباطبائيّ الحكيم (قده) سنة ١٩٦٩م. وكان نَعْمَ المرجع بعد السّيّد الحكيم (قده)، وقد صنّف لمقلّديه عدّة رسائل

وكتب فقهيّة أهمّها: عمدة المتفقّه، ومناهج الفقيه، ومناسك الفقيه. كانت ترد لمكتبه الشّرعيّ في صور، بواسطة البريد والفاكس، أسئلة المغتربين اللّبنانيين وغير اللبنانيين من أمريكا وأوروبا وأفريقيا، وسائر الدّول العربيّة والإفريقيّة، واستفتاءاتُهم الكثيرة، كما كان له بعض الوكلاء الشّرعيين في تلك البلاد.

والمرجع الرّابع هو آية الله العظمى السّيّد محمّد حسين فضل الله (دام ظلّه)، المولود في النّجف الأشرف في ١٩ شعبان ١٣٥٤هـ، الموافق لسنة ١٩٣٦م. وقد تفوّق (دام ظلّه) على المراجع اللّبنانيين الثّلاث الّذين تقدّموه في طروحاته الفقهيّة، والفكريّة، والثّقافيّة، والجهاديّة. وفي إنشاء الحوزات الدّينيّة لدراسة العلوم الشّرعيّة، والمؤسّسات الثّقافيّة والعلميّة والخيريّة في لبنان وسوريا، وغيرهما من دول، وفي رعايته للمقاومة الإسلاميّة في لبنان وفلسطين، وفي مرجعيّته لبعض الحركات الإسلاميّة في العالم، حتّى أضحت مرجعيّته العلميّة موضع إعجاب واحترام وتقدير من سائر المذاهب الإسلاميّة الأخرى، ومن غير المسلمين. وقد كتبتم عنه في الجزء الثّاني من سفركم الكريم خير كتابة فجزاكم الله تعالى عنه، وعن الإسلام خير الجزاء.

٢٩ ـ مع القاضي
الدّكتور الشّيخ مصطفى الرّافعيّ رحمه الله:

كانت معرفتي بصاحب السّماحة القاضي الدّكتور مصطفى الرّافعيّ (رحمه الله)، في مكتب شيخنا آية الله الأستاذ الشّيخ عبد الله نعمة (قده) في مبنى المحكمة الجعفريّة العليا، في بيروت في أوائل سنة ١٩٨٥م. وقبيل صدور المرسوم الجمهوريّ بتعيين القضاة الجدد السّبعة الّذي عُيّنت به قاضيًا لمحكمة جبيل الشّرعيّة الجعفريّة العليا ـ مرسوم: رقم ٢٤٩٧ الصّادر في ٥/ ٦/ ١٩٨٥م، وعُيّن به زميلي سماحة العلاّمة الشّيخ حسين درويش قاضيًا في طرابلس. إذ جاء الدّكتور الرّافعيّ آنذاك شاكيًا لسماحة الشّيخ عبد الله نعمة، من الفراغ الكبير الحاصل في القضاء الشّرعيّ الجعفريّ في طرابلس، إذ أنّ قاضي طرابلس الجعفريّ العلاّمة الشّيخ عبد الله مديحليّ (قده) كان منذ بداية الأحداث اللّبنانيّة في نيسان ١٩٧٥م، قد ترك محكمة طرابلس تقريبًا، وكان يمارس عمله من خلال محكمة صور الجعفريّة بالانتداب ـ على ما أظنّ ـ، بسبب الأوضاع الأمنيّة، وضعفه وشيخوخته وعدم استطاعته السّفر إلى طرابلس، عن طريق بعلبك الهرمل. والقضيّة الّتي أتى بها (رحمه الله)، مع أحد الأشخاص من طرابلس هي إثبات اعتناق المذهب الجعفريّ لأحد أصدقائه المتوفّين لقيام البيّنة الشّرعيّة على ذلك وشهادة سماحته له على ذلك، وبالتالي طلب إثبات وفاة وحصر إرث شرعيّ على المذهب الشّرعيّ الجعفريّ لصديقه الآنف الذّكر.

وكان جواب سماحة الشّيخ نعمة له هو الموافقة على الطّلب، وإحالته إلى أقرب محكمة شرعيّة لطرابلس، وهي محكمة الهرمل الشّرعيّة الجعفريّة للنّظر في الطّلب الآنف الذّكر.

وقد لاحظت إكرام سماحة الشّيخ نعمة له، واحترامه الشّديد له أثناء ذلك اللّقاء.

وقد عرّف (رحمه الله) نفسه لي، من خلال معرفتي به عن قُرب، وفي مناسبات كثيرة التقيته بها، ومن خلال كتبه الإسلاميّة، والفقهيّة بما يلي: أنّه ينحدر من سلالة علميّة كلّها قُضاة، وأنّ جدّه القديم هو الخليفة عمر بن الخطّاب (رض) الّذي كان قاضيًا عند الخليفة أبي بكر (رض)، وكذلك كان جدّه الثّاني عبد الله بن عمر بن الخطّاب (رض)، وهكذا إلى المرحوم والده والّذي كان قاضيًا في طرابلس، وأنّه تخرّج من جامعة الأزهر الشّريف ثمّ تابع دراسة الدّكتوراه في جامعة السّوربون في فرنسا، وأنّه عُيّن قاضيًا شرعيًّا في محكمة بيروت الشّرعيّة السُّنّيّة، ثمّ انتدب بعد مدّة طويلة، ليكون مُلحقًا ومُستشارًا ثقافيًّا للسّفارة اللّبنانيّة في القاهرة أيّام الرّئيس الرّاحل جمال عبد النّاصر، ثمّ عاد إلى وظيفته الشّرعيّة في بيروت بعد أن طلب منه سماحة مفتي الجمهوريّة اللّبنانيّة الرّاحل الشّيخ محمّد علايا، ورئيس القضاء الشّرعيّ السُّنّيّ في لبنان منه ذلك مع بعض زملائه القضاة.

وأنّ جميع مصنّفاته فقهيّة ومنها أطروحته الدّكتوراه في السّوربون. كان بها موضوعيًّا، وكان يرى فضل المذهب الجعفريّ على المذاهب الأربعة، ويأخذ بأحكام هذا المذهب لا لشيء إلاّ دفاعًا عن الحقيقة العلميّة، وللأدلّة الشّرعيّة الّتي يأخذ بها فقهاء هذا المذهب، من خلال القرآن الكريم، والسّنّة الشّريفة، ولأنّ الإمام جعفر بن محمّد الصّادق (عليهما السّلام) كان أستاذًا للإمام أبي حنيفة، وللإمام مالك بن أنس،

ولغيرهما من أئمّة الفقه، ولأنّ الإمام الصّادق هو من أهل البيت عليهم السلام.
ومناصرة الدكتور الرافعيّ للمذهب الجعفريّ تلك، جعلته يعيش غريبًا عند الشّيعة، والسُّنّة، إلاّ من بعض العلماء الأعلام الّذين قدّروا جهود الرّجل وحياته العلميّة.

وقد زارني (رحمه الله) في محكمة طرابلس الشّرعيّة الجعفريّة مع صديقه فضيلة الأستاذ الشّيخ عليّ عزيز إبراهيم قبل ظهر يوم الخميس في الرّابع من شهر رمضان ١٤١٣هـ، ٢٥/ ٢/ ١٩٩٣م، ولم أكن بعد قد حضرت إلى طرابلس فتركا لي رسالة بذلك. وذلك لأنّي كنت في شهر رمضان المبارك أسافر إلى طرابلس بعد الظّهر محافظة على صيامي، ولأنّ السّفر بعد الزّوال لا يضرّ بالسّفر.

وذات مرّة أتى إلى محكمتي الشّرعيّة الجعفريّة في طرابلس زوج سُنّيّ قد ابتلى بطلاق زوجته السُّنّيّة بثلاث تطليقات بمجلس واحد، وقد راجع علماء طرابلس ومحاكمها الشّرعيّة فلم يجد جوابًا، غير التّحريم ووجوب أن تنكح زوجًا آخر غيره، بعد انتهاء عدّتها الشّرعيّة منه، وقد ساء وجه الزّوج ذلك الجواب فلم يجد مناصًا من مراجعتنا في ذلك! فقلت له: إنّ جواب علماء طرابلس صحيح حسب ما قرّره الأئمّة الأربعة، وغير صحيح على مذهب أهل البيت عليهم السلام حيث لا يثبت إلاّ تطليقة واحدة فقط لا غير، اللهمّ إن ثبتت تلك التّطليقة الواحدة حسب أصول الطّلاق، المرعيّة الإجراء في مذهبنا، وذلك مصداقًا لما جاء في القرآن الكريم في سورة الطّلاق وللأحاديث الشّريفة والصّحيحة في هذا الباب.

ونحن لا نستطيع أن نبطل الطّلاق الحاصل بينك وبين زوجك شرعًا وقانونًا إلاّ باعتناقك المذهب الجعفريّ مع زوجك عن قناعة وهداية!!

فأجاب: إنّي مقتنع بما ذكرت، ولكن ليطمئنّ قلبي أطلب إرشادي

إلى عالم سُنّيّ يُرشدني لصحّة ما تكلمتم به. قلت له: عليك بسماحة القاضي الأسبق الدّكتور الشّيخ مصطفى الرّافعيّ، فذهب إليه وأخبره بذلك. وكانت مفاجأة الرّجل قول الدّكتور الرّافعيّ له: اذهب، ونفّذ ما قاله الشّيخ عَمرو دون تردّد. فجاء الرّجل ومعه زوجه وهما يريدان الرّجوع إلى بعضهما على كتاب الله تعالى، وسُنّة رسوله محمّد ﷺ، وهدى أهل البيت عليهم السلام، وهكذا عادت الأفراح إلى بيت ذلك الرّجل من جديد.

ولسماحة الشّيخ الرّافعيّ (رحمه الله) مواقف علميّة محمودة ومشهورة في الوحدة الإسلاميّة، وفي التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة، وفي نُصرة المقاومة الإسلاميّة في جنوب لبنان، والجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، يطول الحديث عنها، وأفضل تلك الذّكريات هي الّتي زاملته فيها، بالتّدريس بحوزة الرّسول الأكرم ﷺ، في حارة حريك، في عامي ١٩٩٣و١٩٩٤.

٣٠ ـ مع سماحة المفتي
الشّيخ عبد الحسين عبد الله والعادات النّجفيّة

حافظ النّجفيّون على عاداتهم الحسينيّة... ومنها طبخ «القيمة» عن روح أهل البيت (عليهم السلام) في المناسبات الدّينيّة في حسينيّاتهم، ونواديهم، وجمعيّاتهم، وفي منازلهم في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، وسوريا، ولبنان، وسائر البلاد العربيّة والإسلاميّة، وفي البلاد الأوروبيّة، والأمريكيّة. وهذه العادات حافظ عليها أيضًا طلاّب النّجف الأشرف وخرّيجي الجامعة النّجفيّة أينما كانوا أو حلّوا، ولنضرب مثالاً على ما تقدّم سماحة حجّة الإسلام العلاّمة المجاهد الشّيخ عبد الحسين عبد الله مفتي مرجعيون وحاصبيا الجعفريّ، فإنّه منذ عودته من النّجف الأشرف إلى جنوب لبنان ما زال يقيم ذكرى استشهاد الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين (عليهما السّلام) أواخر شهر محرّم الحرام من كلّ عام في حارة صيدا في البدء، ومن ثمّ في مدينته الخيام بعد التّحرير في ٢٥ أيّار ٢٠٠٠م. ويطعم القيمة لأهالي جبل عامل حيث يأتي بالأرز العراقيّ مع الطبّاخين العراقيين من دمشق إلى لبنان لأجل هذا الغرض. وقد حضرت مجلسه الشّريف في حسينيّة الخيام ظهر يوم الأحد الواقع في ٢٨ محرّم ١٤٢٢هـ، الموافق ٢٢ نيسان ٢٠٠١م، بصحبة صديقي العزيز الأستاذ الحاجّ حامد الخفاف. وقد التقيت مع زملائي الكرام أيّام النّجف الأشرف، وفي زيارة عاشوراء في كربلا الأولى وعلى رأسهم أخي سماحة العلاّمة المجاهد الشّيخ يوسف دعموش وسواه من الأخوة

الكرام. وقد خصّنا المفتي الشّيخ عبد الله (حفظه الله تعالى) مع زملائنا الكرام الآنفي الذّكر بالدّعوة إلى منزله القريب من الحسينيّة لشرب الشّاي والقهوة والنّرجيلة، جزاه الله تعالى خير الجزاء، آمين. وما ذكرناه عن سماحة المفتي (حفظه الله تعالى) نقوله أيضًا عن مفتي النّبطيّة الجعفريّ سماحة العلاّمة الجليل الشّيخ عبد الحسين آل صادق (حفظه الله تعالى)، وعن سائر العلماء الأعلام اللّبنانيين من أبناء النّجف الأشرف أو من طلبتها دون استثناء والوارد ذكرهم بعد قليل ضمن أسماء العائلة اللّبنانيّة الواحدة.

كما أنّ سماحة المفتي الشيّخ عبد الّله يمتاز بأمور كثيرة، وصفات أخلاقية نبيلة جعلت منه مرجعاً للإصلاح بين ذات البين، لعائلات منطقة حاصبيا ومرجعيون بشكل عام، ولعائلات الخيام بشكل خاص.

٣١ ـ العائلة اللّبنانيّة الواحدة:

أيّام النّجف الأشرف الّتي أمضيتها مع إخواني طلبة العلوم الدّينيّة اللّبنانيين والّذين تجاوز عددهم المائتي طالبًا، من شهر شعبان ١٣٩١هـ الموافق لشهر أيلول ١٩٧١م، ولغاية خروجي من العراق في شهر صفر ١٣٩٩هـ الموافق لشهر تشرين الثّاني ١٩٧٨م، قضيناها كعائلة واحدة، نتقاسم بها شظف العيش ولقمة الخبز، والتّعاون مع بعضنا البعض على البرّ والتّقوى، وفي السّرّاء والضّرّاء.

وشيوخ هذه العائلة كانوا خيرة الشّيوخ في الأخذ بيد الطّالب الضّعيف نحو التّحصيل العلميّ، وفي الإصلاح ما بين ذات البين، وفي طلب المساعدة الماليّة أو المعنويّة من مراجعنا الأعلام لمن يحتاجها من الطّلاّب، وفي استقبال بعض زوّار العتبات المقدّسة من اللّبنانيين، وفي إقراء الضّيف وإطعام الطّعام، وإفشاء السّلام.

وشيوخ هذه العائلة الذين أدركتهم وتعاونت معهم من الّذين كانوا الكهف الحصين الّذي يلتجئ إليهم الطّالب هم:

١ ـ آية الله السّيد محمّد جواد فضل الله (قده).

٢ ـ آية الله الشّيخ محمّد مفيد الفقيه (دام ظلّه).

٣ ـ آية الله الشّيخ محمّد جعفر شمس الدّين (دام ظلّه).

٤ ـ آية الله الشّيخ حسن طراد دام ظلّه.

٥ ـ آية الله الشّيخ جعفر الصّائغ (قده).

٦ ـ آية الله السّيّد عليّ مكّيّ (دام ظلّه).

٧ ـ آية الله الشّيخ عليّ ضيا (دام حفظه).

٨ ـ حجّة الإسلام الشّيخ عبد الحسين عبد الله (دام حفظه).

٩ ـ حجّة الإسلام الشّيخ يوسف الفقيه (قده).

١٠ ـ حجّة الإسلام المجاهد الشّهيد السّيّد عبّاس الموسويّ (قده).

١١ ـ حجّة الإسلام الشّيخ مصطفى زبيب (دام حفظه).

١٢ ـ العلاّمة الأديب الشّاعر السّيّد عليّ بدر الدّين (قده).

١٣ ـ حجّة الإسلام الشّيخ عليّ العفّي (دام حفظه).

١٤ ـ حجّة الإسلام الشّيخ محمّد يزبك (دام حفظه).

١٥ ـ حجّة الإسلام السّيّد محمّد جواد الأمين (دام حفظه).

١٦ ـ حجّة الإسلام الشّيخ عبد الأمير شمس الدّين (دام حفظه).

١٧ ـ حجّة الإسلام السّيّد عليّ الأمين (دام حفظه).

١٨ ـ حجّة الإسلام الشّيخ عليّ شمس الدّين (قده).

١٩ ـ حجّة الإسلام الشّيخ عبد الحسين صادق (دام حفظه).

٢٠ ـ حجّة الإسلام الشّيخ يوسف دعموش (دام حفظه).

٢١ ـ حجّة الإسلام السّيّد عبّاس عليّ الموسويّ (أبو عليّ) (دام حفظه).

٢٢ ـ حجّة الإسلام السّيّد عبد الصّاحب فضل الله (دام حفظه).

٢٣ ـ حجّة الإسلام السّيّد إبراهيم أمين السّيّد دام حفظه.

٢٤ ـ حجّة الإسلام الشّيخ عليّ ياسين (دام حفظه).

٢٥ ـ العلاّمة المجاهد الشّيخ زهير كنج (دام حفظه).

٢٦ ـ العلاّمة المجاهد الشّيخ محمّد رضا برّي (دام حفظه).

٢٧، ٢٨ حجّة الإسلام السّيّد عبد الكريم فضل الله. وشقيقه العلاّمة السّيّد عبد الله فضل الله (حفظهما الله تعالى).

٢٩، ٣٠ العلاّمة المجاهد الشّيخ محمّد جواد الفقيه وشقيقه العلاّمة الشّيخ محمّد رضا الفقيه (حفظهما الله تعالى).

٣١ ـ حجّة الإسلام الشّيخ عفيف النّابلسيّ (دام حفظه).

٣٢ ـ العلاّمة المجاهد الشّيخ محمّد توفيق شهاب (دام حفظه).

٣٣ ـ العلاّمة التّقيّ الشّيخ أحمد العسيليّ (دام حفظه).

٣٤ ـ حجّة الإسلام السّيّد إبراهيم مرتضى العامليّ (دام حفظه).

٣٥ ـ حجّة الإسلام السّيّد منير مرتضى البعلبكيّ (دام حفظه).

٣٦ ـ حجّة الإسلام الشّهيد الشّيخ طالب الخليل (قده).

٣٧ ـ حجّة الإسلام السّيّد نجيب يوسف خلف (دام حفظه).

٣٨ ـ حجّة الإسلام الشّيخ حسين سرور (دام حفظه).

٣٩ ـ حجّة الإسلام الشّيخ إبراهيم قصير (دام حفظه).

٤٠ ـ حجّة الإسلام الشّيخ أسد الله الحرشيّ (دام حفظه).

٤١ ـ العلاّمة الأديب الشّيخ حسين زين الدّين (دام حفظه).

٤٢ ـ العلاّمة المجاهد السّيّد حيدر الحسنيّ (دام حفظه).

٤٣ ـ العلاّمة التّقيّ الشّيخ مرتضى حسن (دام حفظه).

٤٤ ـ العلاّمة التّقيّ الشّيخ محمّد عليّ طراد (دام حفظه).

٤٥ ـ العلاّمة الشّهيد الشّيخ عليّ جعفر (قده).

٤٦ ـ ٤٧ العلاّمة الشّيخ محمّد سعيد سرور وشقيقه العلاّمة الشّيخ عليّ سرور (حفظهما الله تعالى).

٤٨ ـ العلاّمة التّقيّ الفاضل الشّيخ حسين قازان (دام حفظه).

٤٩ ـ العلاّمة التّقيّ الشّيخ مصطفى طراد العامليّ (قده).

٥٠ ـ العلاّمة الشّهيد السّيد عبد اللّطيف الأمين (قده).

٥١ ـ العلاّمة الفاضل الشّيخ موسى اليحفوفيّ (دام حفظه).

٥٢ ـ العلاّمة الفاضل الشّيخ محمّد مراد (دام حفظه).

٥٣ ـ العلاّمة الفاضل الشّيخ حسين كنعان (دام حفظه).

٥٤ ـ العلاّمة المجاهد الشّيخ عليّ شحرور (دام حفظه).

٥٥ ـ العلاّمة التّقيّ السّيّد حيدر شرف الدّين (دام حفظه).

٥٦ ـ العلاّمة التّقيّ الشّيخ أحمد صادق (دام حفظه).

٥٧ ـ العلاّمة الأديب الشّيخ حسين أحمد شحادة (دام حفظه).

٥٨ ـ العلاّمة التّقيّ الشّيخ عبد الرّسول حجازيّ (دام حفظه).

٥٩ ـ العلاّمة الزّاهد الشّيخ سليم صالح (دام حفظه).

٦٠ ـ العلاّمة الزّاهد الشّيخ حسن محمّد حسن قبيسيّ (دام حفظه).

٦١ ـ العلاّمة السّيّد كاظم السَّيِّد علي مهديٍّ إبراهيم (دام حفظه).

٦٢ ـ العلاّمة الشّيخ فهد مهديّ (دام حفظه).

٦٣ ـ العلاّمة الشّيخ جمال فقيه (دام حفظه).

٦٤ ـ العلاّمة الشّيخ غالب الشّيخ حسن عسيليّ (دام حفظه).

٦٥ ـ حجّة الإسلام الشّيخ عبد الله العبد الله (دام حفظه).

٦٦ ـ حجّة الإسلام الشّيخ المجاهد محسن عطويّ (دام حفظه).

٦٧ ـ حجّة الإسلام الشّيخ حسن عبد السّاتر (دام حفظه).

٦٨ ـ العلاّمة الشّيخ يوسف عبد السّاتر (دام حفظه).

٦٩ ـ العلاّمة الشّيخ مرتضى عيّاد (دام حفظه).

٧٠ ـ العلاّمة الشّيخ راشد دهينيّ (قده).

٧١ ـ العلاّمة السَّيِّد محسن فضل الله (دام حفظه).

٧٢ ـ حجّة الإسلام الشّيخ محمّد عليّ المقداد دام حفظه.

٧٣ ـ حجّة الإسلام المجاهد الشّيخ محمّد توفيق المقداد (دام حفظه).

٧٤ ـ الشّيخ يوسف محمّد عَمرو مصنّف هذا الكتاب والّذي كان يرجع إليه طلاّبه بشكل عامّ، وطلبة العلوم الدّينيّة من أبناء قضاءي جبيل وكسروان بشكل خاصّ.

وزعامة أولئك العلماء وغيرهم مما نسيت ذكر اسمائهم الشريفة فكانت من خلال سعيهم لقضاء حاجات الطّلاّب لدى مراجعنا الأعلام، ومن خلال استقبالهم لزوّار العتبات المقدّسة من اللّبنانيين وقضاء حوائجهم كما تقدّم من كلام، ومن خلال إقامة مجالس العزاء الّتي كانوا يقيمونها في منازلهم في بعض المناسبات مع إطعامهم الطّعام عن روح أهل البيت عليهم السلام، بل كان بعضهم يقيم هذه المجالس مع إطعام الطّعام مرّة في الأسبوع طوال العام كسماحة حجّة الإسلام الشّيخ عبد الحسين صادق، والّذي ورث هذه السُنّة الحسنة عن جدّه المرجع الدّينيّ آية الله الشّيخ محمّد تقيّ آل صادق (قده)، وعن أبيه مفتي النّبطيّة حجّة الإسلام الشّيخ جعفر آل صادق (قده).

٣٢ ـ مع سماحة الأمين العام
السّيّد حسن نصر الله نصره الله تعالى:

معرفتي بسماحة الأمين العام السّيّد حسن نصر الله (حفظه الله تعالى) تعود لأيّام النّجف الأشرف، إذ كان من صفوة التّلامذة المقرّبين إلى قلب صديقي وأخي الشّهيد السّعيد حجّة الإسلام السّيّد عبّاس الموسويّ (قده) في المدرسة الأزريّة، وهو بعد دون العشرين من عمره الشّريف. وفي أوائل عام ١٩٧٨م، عندما قامت أجهزة مخابرات النّظام العراقيّ السّابق بمهاجمة الكثير من طلاّب أستاذنا الإمام الشّهيد السّعيد السّيّد محمّد باقر الصّدر (قده)، واعتقالهم مع تلامذتهم، كان على رأس المطلوبين من المخابرات سماحة السّيّد عبّاس الموسويّ (قده) وطلاّبه الّذين هاجروا إلى لبنان، مقتدين بالإمام الحسين عليه السلام الّذي هاجر من مكّة إلى كربلاء، مؤسّسين حوزة الإمام المهديّ (عج) في بعلبك، في أصعب الظّروف والأحوال الّتي مرّت على لبنان، حيث حكت لنا هذه الحوزة منذ فجرها الأوّل ولغاية تأريخه حكاية كربلاء بثوبها الجديد في مطلع القرن الخامس عشر الهجريّ، وفي دعوتها الدّائمة لتحرير تراب الجنوب والبقاع الغربيّ الطّاهر من رجز الاحتلال.

وقد تابع السّيّد حسن قسماً من دراسته على أستاذه الشّهيد في بعلبك لغاية التحاق أستاذه بركب مولانا الإمام الحسين عليه السلام في شهر شباط عام ١٩٩٢م. فاختاره بعدها زملاء الشّهيد وطلاّبه ورفاقه بالإجماع

أمينًا عامًّا لحزب الله في أواخر شباط عام ١٩٩٢م.

كما زادت معرفتي بسماحته من خلال والده الفاضل السّيّد عبد الكريم السّيّد يوسف آل نصر الله الحسينيّ، حيث كان جارنا في الشّياح عندما كنت أسكن في شارع المصبغة، ومن خلال عمل والده الإنسانيّ والخيريّ التّطوعيّ في لجنة إمداد الإمام الخمينيّ (قده) وتفقّده للقرى المستضعفة في بلاد جبيل وفتوح كسروان وشمال لبنان بصحبة الأخ الفاضل الحاجّ عليّ زريق (حفظهما الله تعالى). كما زادت معرفتي بوالده الفاضل أيضًا من خلال طلبه لنجله السّيّد محمّد كريمة ابن عمّنا الأخ محمّد مصطفى فندي عَمرو. حيث قمت بعقد قرانهما تلبية لدعوة السّيّد وابن عمّنا (حفظهما الله تعالى).

وخلاصة ما نريد إيجازه في هذه العجالة ما يلي:

أوّلاً: إنّ موقف سماحة السّيّد نصر الله (حفظه الله تعالى) اتجاه منطقة بلاد جبيل وفتوح كسروان هو المحافظة على الوجود الإسلاميّ بها كوجود حضاريّ ثقافيّ يؤمن بالحوار الإسلاميّ المسيحيّ، وبالتّعاون على أعمال البرّ والإحسان، وعلى الوحدة الوطنيّة في وجه الدّعوات الطّائفيّة والتّقسيميّة.

ثانيًا: الدّعم المعنويّ والماديّ للمدرسة الرّسميّة في منطقتنا المحرومة، ولجميع الطّروحات الإنمائيّة لقرانا المحرومة، والّتي من شأنها دعم تشبّث النّاس بأرضهم وعدم هجرتهم إلى بيروت وضاحيتها الجنوبيّة، وتبنّي طروحات المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان الإنمائيّة والخيريّة.

ثالثًا: رفض التّدخّل في الانتخابات النّيابيّة أو الاختياريّة أو البلديّة من قبل سماحته على الرّغم من زيارات المرشّحين له عدّة مرّات، وفي مناسبات كثيرة، وطلبهم منه التّدخّل لمصلحتهم.

رابعًا: رفض سماحته افتتاح مكاتب لحزب الله داخل المنطقة، أو

رفع الشّعارات والصّور الّتي تستفزّ الآخرين، حرصًا منه على إبعاد المسلمين في منطقتنا عن الصّراع اللّبنانيّ اللّبنانيّ، أو الصّراع الشّيعيّ الشّيعيّ، إيمانًا من سماحته أنّ معركة اللّبنانيين الكبرى هي مع العدو الإسرائيليّ وطروحاته الطّائفيّة والتّقسيميّة.

خامسًا: لقد كان ممثلو سماحته في بلاد جبيل وشمال لبنان خير إخوان صدق على البرّ والتّقوى، ونخصّ منهم بالذّكر والشّكر سماحة الشّيخ محمّد خاتون، وفضيلة السّيّد عليّ الموسويّ، والأستاذ الحاجّ محمّد صالح، وفضيلة الشّيخ حسين زعيتر جزاهم الله تعالى خير الجزاء، آمين.

ونضيف إلى ما تقدّم أنّ سماحة السّيّد حسن وبعد الانتصارات العديدة الّتي سجّلها في تأريخ الصّراع العربيّ الإسرائيليّ، مع إخوانه المجاهدين في حزب الله، أضحى زعيمًا وطنيًّا يحبّه جميع اللّبنانيين على مختلف مذاهبهم وأحزابهم ويحترمونه، ويفتخرون به وبانتمائه للتّراب اللّبنانيّ أمام جميع أشقّائهم العرب.

٣٣ ـ رسالة آية الله القاضي
الشّيخ محمّد مهديّ آرام الحائريّ إلى المصنّف حول حقوق الزّوجة، وقضايا الطّلاق في الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران

تقدّم الكلام عن زيارتي للجمهوريّة الإسلاميّة في إيران مع العائلة في صيف سنة ١٩٩٥م في الفصل الأوّل من الجزء الثّاني من هذا الكتاب تحت عنوان: السّفر مع العائلة إلى الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران لزيارة الإمام الرّضا عليه السلام. وعن معرفتي وصداقتي لآية الله القاضي الشّيخ آرام الحائريّ (حفظه الله تعالى)، وعن قيامي بصحبته بزيارة رئيس مجلس القضاء الأعلى في محافظة خراسان آية الله الشّيخ عليّ زاده. وعن الحفاوة والتّكريم الّذي لاقيته من سماحته. وقد تطرّق الحديث بيننا حول حقوق الزّوجة الشّرعيّة، وقضايا الطّلاق. وإضافة الفقهاء في الجمهوريّة الإسلاميّة شروطاً أخرى على ذلك. وزيادة في الإيضاح طلبت منه كتابة ذلك لنا بالتّفصيل حتّى نرجع إلى ذلك عند السّؤال أو الاحتجاج!

فكتب سماحته (دام ظلّه) الرّسالة الآتية والّتي تصرّفت في بعض ألفاظها حتّى تصبح واضحة للقارئ العربيّ، وهي على الشّكل الآتيّ:

«فضيلة الأخ حجّة الإسلام الشّيخ يوسف محمّد عَمرو،

نقدم لكم بعد السّلام والتّحيّة بعض التّعديلات في سندات الزّواج المطبوعة والرّسميّة في إيران.

شروط في صالح النّساء في الأكثر، منها إنّ الزّوج إذ اعتاد على

المخدّرات، لمدّة خمس سنوات، أو إذا ترك النّفقة على زوجته لمدّة ستة أشهر فما فوق، أو ترك الحياة الزّوجيّة من دون دليل إلخ، يحقّ للمرأة أن تأخذ الطّلاق من الزّوج. وإذا استنكف الزّوج عن الطّلاق فالحاكم يطلّق.

ومنها إذا أراد الزّوج أن يطلّق زوجته من دون دليل ومبرّر، فاللاّزم أن تُقسّم الثّروة الّتي حصّلها أثناء الحياة الزّوجيّة بينه وبين زوجته.

وهذه الشّروط يجب أن تذكر وتُفهّم للطّرفين حين العقد، أو أنّ العقد يبنى عليها، أو تذكر هذه الشّروط في ضمن عقد خارجيّ مُلزم شرعاً للطّرفين. وليست شروطاً ابتدائيّة، بل تكون في ضمن العقد، وإذا لم يقبل الزّوج بهذه الشّروط أو ببعضها فله الحريّة في ذلك، ولا يجبر عليها.

وكثير من الأزواج يمتنعون عن قبول كلّ هذه الشّروط، أو بعضها كما للزّوج الحقّ في أن لا يقبل تقسيم الثّروة أيضًا.

وأخيرًا صدر قانون عن مجمع تشخيص مصلحة النّظام المصدر الوحيد لإصدار قوانين وأحكام ثانويّة في ظروف استثنائيّة كالحرج، والسّفر، واختلال النّظام. وجاء في هذا القانون: إنّ أيّ رجل قام بتطليق زوجته اعتباطاً من دون سبب ومبرّر كسوء الخلق، وعدم التمكّن، وغيره، يحقّ للمرأة أن تطالبه بأجرة العمل الّذي زاولته في أيّام الزّوجيّة، وحتّى لو كان قصدها التّبرّع بعملها في حياتها الزّوجيّة، وليس أخذ الأجرة. وهذا من العناوين الثّانويّة، وهذا غير جائز في الأحكام الأوليّة، ولكن إجازة المجمع المذكور في ظروف استثنائيّة، والسّلام عليكم.

٢٦/٤/٧٤ شمسيّ هجريّ

محمّد مهديّ آرام الحائريّ»

وتعليقاً على ما تقدّم نقول: لقد أصبحت المرأة في ظلّ الجمهوريّة

الإسلاميّة في إيران، ومن خلال اجتهادات الفقهاء على المذهب الجعفريّ، المرأة الأولى في عالمنا اليوم الّتي تتمتّع بالضّمانات الشّرعيّة والقانونيّة، وفي المحافظة على كرامتها وحريّتها، كشقيقة للرّجل في بناء المجتمع الإسلاميّ الصّالح.

٣٤ ـ مع الأخ الدّكتور السّيّد حسين الحكيم رئيس تحرير مجلّة «نور الإسلام» في رسالة باريس

في أول شهر آب من سنة ١٩٧٥م، الموافق ٢٣ رجب ١٣٩٥هـ، وعندما كنت في قريتي المعيصرة مع عائلتي لتمضية العطلة الصّيفيّة في لبنان، جاء إلى قريتي فضيلة الخطيب السّيّد محمّد المدرّسيّ إمام قرية الحصين ليخبرني بوفاة أستاذي المرحوم سماحة آية الله السّيّد محمّد جواد فضل الله (قده) في منزله ليلاً إثر نوبة قلبيّة، وانطلاق موكب التّشييع من حسينيّة أسرة التّآخي ـ النّبعة ـ برج حمود إلى مدينة بنت جبيل بُعيد الاستماع لهذا النّبأ الحزين قمت باستئجار سيّارة ابن خالي المرحوم الحاجّ وفيق عليّ عَمرو، حيث رافقنا في تلك الرّحلة الحزينة كلّ من المرحوم والدي وفضيلة الشّيخ عصمت عَمرو ووالده المرحوم الحاجّ عبّاس عَمرو، وفضيلة السّيّد المدرّسيّ، إلى حسينيّة أسرة التّآخي في برج حمود ـ النّبعة، ومن ثمّ شيّعنا الجثمان الطّاهر مع سماحة شقيق الرّاحل آية الله السّيّد محمّد حسين فضل الله (دام ظلّه)، وآلاف المشيّعين إلى مدينة بنت جبيل، حيث أمّ تلك الجماهير الحزينة والد أستاذنا الرّاحل سماحة آية الله العظمى السّيّد عبد الرّؤوف فضل الله (قده) بالصّلاة على الجثمان الطّاهر.

وقد استرعى انتباهنا آنذاك فضيلة الخطيب الحسينيّ الكبير السّيّد عليّ الحكيم الّذي قام بدعوتنا مع وفد المعيصرة ـ الآنف الذّكر ـ للغداء في منزله، وبترحيبه بضيوفه وإكرامه لهم. وقد التقينا في منزله ببعض

وجهاء بنت جبيل وبسماحة آية الله السّيّد الشّهيد محمّد رضا الحكيم، وسماحة آية الله الشّهيد السّيّد محمّد باقر الحكيم (قده). وهما نجلا المرحوم الإمام السّيّد محسن الطّباطبائيّ الحكيم (قده)، وقد تكرّر لقاؤنا بعد ذلك بفضيلة الخطيب السّيّد عليّ الحكيم في ذكرى إسبوع، أستاذنا الرّاحل الكبير (قده).

ومعرفتي للأخ العزيز الدّكتور السّيّد حسين نجل فضيلة الخطيب السّيّد عليّ الحكيم كانت من خلال معرفتي بمنبته الطّيّب الطّاهر ووالده الفاضل (حفظه الله تعالى)، ومن خلال صديقي الأستاذ السّيّد عبد الله الحسينيّ، وصديقي الأستاذ الحاجّ عبد الله شرارة.

وعندما كان السّيّد (حفظه الله تعالى) في باريس سنة ١٩٨٦م، كتب لي رسالة بواسطة الأستاذ عبد الله شرارة، يعلن فيها عن عزمه على كتابة أطروحة الدّكتوراه حول (الدّور الفقهيّ للمرجعيّة الشّيعيّة في أيّام الشّيخ مرتضى الأنصاريّ (قده)، ولغاية أيّامنا هذه طالبًا منّي بيان بعض المسائل الأصوليّة وتأريخها.

وأهمّها: مسألة حكومة الأدلّة، لدى الشّيخ الأنصاريّ (قده)، ومسألة التّرتّب، لدى السّيّد الميرزا الشّيرازيّ(قده)، ومسألة إدخال حساب الاحتمالات ضمن أصول الفقه على يد الشّهيد السّعيد محمّد باقر الصّدر (قده).

فأجبته ببعض الأجوبة اللّصيقة الصّلة بتلك المواضيع، وزوّدته بنسخة من كتابي المدخل إلى أصول الفقه الجعفريّ، معتذرًا عن الدّخول في تفاصيل تلك المباحث لضيق الوقت، وندرة المصادر الموجودة لديّ.

وقد وفّقه الله تعالى بعد تلك المدّة الطّويلة لكتابة أطروحة أخرى تحت عنوان: «تطوّر علم الأصول عند الشّيعة الإماميّة» نال عليها درجة الدّكتوراه في سنة ١٩٩٩م. كما وفّقه الله تعالى لتأسيس «مؤسّسة الإمام

الحسين عليه السلام الخيريّة ـ الثّقافيّة» ولإصدار مجلّة نور الإسلام في سنة ١٩٨٨م، وهي في طليعة المجلاّت الإسلاميّة الصّادرة في بيروت والعالم العربيّ.

وقد شاركت في الكتابة بها إذ أعطيتهم المحاضرة الّتي ألقيتها في مؤتمر الجماعة الإسلاميّة في طلسا أكلهوما في الولايات المتّحدة الأمريكيّة في ٢٧/ ١٢/ ١٩٨٨م، وهي تحت عنوان: رسول الله صلى الله عليه وآله والوحدة الإسلاميّة.

حيث قاموا بنشرها في العدد المزدوج ١٥و١٦ الصّادر في شهري أيّار وحزيران ١٩٩١م.

كما للسّيّد الدّكتور حسين الحكيم (حفظه الله تعالى) أعمال ثقافيّة وخيريّة أخرى كثيرة في لبنان، وفرنسا، وسائر بلاد الاغتراب يلحظها كلّ قارئ لمجلّة «نور الإسلام» جزاه الله تعالى عن الإسلام، وفّقه أهل البيت عليهم السلام خير الجزاء.

٣٥ ـ الشّيخ محمّد حسين عَمرو

قال سماحة العلاّمة المحقّق السّيّد عبّاس عليّ الموسويّ في كتابه: «علماء ثغور الإسلام»، الطّبعة الأولى، الصّادر عن دار المرتضى في بيروت، ٢٠٠٠م، الآتي:

«الشّيخ محمّد حسين عَمرو المتولّد سنة ١٩٦١م: وُلد الشّيخ محمّد حسين عَمرو في بلدة المعيصرة التّابعة لقضاء فتوح كسروان سنة ١٩٦١ ميلاديّة، فهو قلب الجبل الّذي كان بتأريخه شيعيًّا إلى زمن قريب، لا يزال يتابع دراسته الجامعيّة في «الجامعة اللّبنانيّة»، في بيروت، إلى هذا اليوم الّذي أخذنا ترجمته منه وهو سنة ١٩٩٣م.

تلقّى المقدّمات في معهد الشّهيد الأوّل على يد كلّ من الشّيخ محمّد جعفر شمس الدّين، والشّيخ عبد الأمير شمس الدّين، والشّيخ حسن عبد السّاتر.

وتلقّى دروس السّطوح من الكفاية وإخوتها في المعهد الشّرعيّ الّذي أنشأه السّيّد محمّد حسين فضل الله على السّيّد الأمين والشّيخ إبراهيم الدّماونديّ.

وهو الآن يدرس دروس الخارج على السّيّد محمّد حسين فضل الله ويداوم في الجامعة اللّبنانيّة.

والشّيخ محمّد عَمرو دَرَّسَ في المدارس الرّسميّة حصص الدّين بتكليف من جمعيّة التّعليم الدّينيّ الإسلاميّ، كما تسلّم مجلّة الوحدة

الإسلاميّة فترة سنتين، وعمل ولا يزال يعمل في حقل التّبليغ والإرشاد في منطقة جبيل وكسروان من خلال «المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان» الّتي تضمّ الشّيخ يوسف محمّد عَمرو، والشّيخ جمال كنعان، والشّيخ رضوان المقداد، والشّيخ أيمن همدر، والشّيخ عصام شمص، والشّيخ محمّد العيتاويّ، والشّيخ عصمت عَمرو. والّتي يترأسها الشّيخ محمّد عَمرو ـ المترجم له ـ فعلاً»

إلى أن قال: «وفي سنة ١٩٩٩م أصبح المدير العام لمجلّة البلاد التّابعة لتجمّع العلماء المسلمين»، ج٢، ص ٤٠٧ و٤٠٨. هذا وقد ورد ذكر فضيلة أخينا الحبيب، وابن خالتنا العلاّمة الشّيخ محمّد حسين عَمرو في عدّة موارد في فصول هذا الكتاب وفي أجزائه الثّلاث. فراجع.

٣٦ ـ الشّيخ عصمت عَمرو

قال سماحة العلاّمة المحقّق السّيّد عبّاس عليّ الموسويّ في كتابه: «علماء ثغور الإسلام»، الطّبعة الأولى، الصّادر عن دار المرتضى في بيروت، ٢٠٠٠م.

«الشّيخ عصمت عَمرو المتولّد سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م: هو الشّيخ عصمت بن عبّاس بن عليّ آل عَمرو وُلد في بلدة المعيصرة في فتوح كسروان سنة ١٩٤٨م.

تلقّى علومه الابتدائيّة في بلدته، ثمّ في سنة ١٩٦٦م أكمل دراسته في بيروت إلى الشّهادة الثّانية.

ابتدأ بطلب العلم الدّينيّ سنة ١٩٧٣م في المعهد الشّرعيّ التّابع للسّيّد محمّد حسين فضل الله في برج حمود ـ حي النّبعة، فاستمرّ فيه لسنة واحدة درس خلالها على الشّيخ عبد المنعم مهنّا والشّيخ أحمد كوراني.

ثمّ انتقل إلى صور إلى معهد الدّراسات الإسلاميّة الّذي أسّسه السّيّد موسى الصّدر فدرس على السّيّد محمّد عليّ الأمين.

وفي أوائل سنة ١٩٧٥ كانت هجرته إلى النّجف الأشرف حيث التحق بجامعتها الدّينيّة ودخل مدرسة دار الحكمة الّتي أسّسها المرجع الأعلى السّيّد محسن الحكيم، فدرس على السّيّد محمّد حسين الحكيم

نجل السّيّد محسن الحكيم والسّيّد علاء الحكيم والشّيخ عبّاس المطراويّ.

ثمّ انتقل إلى المدرسة اللّبنانيّة ودرس على السّيّد عبد المجيد الحكيم كتاب اللّمعة الدّمشقيّة، وعلى الشّيخ يوسف عَمرو قسمًا من الألفيّة، وأكمل القسم الآخر على الشّيخ طالب الخليل.

ولمّا ابتدأ بالمكاسب عند الشّيخ زهير كنج ترك النّجف وعاد إلى وطنه لبنان، وذلك أوائل سنة ١٩٨٠، فأكمل دراسته على السّيّد نجيب خلف.

ثمّ حضر درس الخارج على الشّيخ محمّد تقيّ الفقيه، وقد كان صهرًا للشّيخ محمّد تقيّ على ابنته.

ومن ثمّ التحق شيخنا المترجم له بمنطقته وأخذ يدرّس في المدارس الرّسميّة حصص الدّين من قبل جمعيّة التّعليم الدّينيّ الإسلاميّ في المعيصرة، وزيتون، وعلمات، ومشّان، وكفرسالا.

ثمّ من بعد سنة ١٩٨٥م استغرقت جلّ وقته المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان الّتي تهتمّ بشؤون المساجد والحسينيّات والخدمات الاجتماعيّة من المستوصفات والرّعاية الدّينيّة. مع العلم أنّ شيخنا المترجم له لم يتخلّ عن هذه المنطقة في أصعب الظّروف وأشدّها قساوة، بل بقيَ يقيم واجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ويؤمّ النّاس في صلاته كما يهتمّ بتوجيههم وهدايتهم». ج٢، ص ٦١٦ و٦١٧.

هذا وقد ورد ذكر فضيلة أخي الحبيب وابن عمّنا فضيلة العلاّمة الشّيخ عصمت عبّاس عَمرو في عدّة موارد في أجزاء هذه التّذكرة فراجع.

٣٧ ـ مع فضيلة الشّيخ محمّد عليّ الحاجّ، وجمعيّته «الرّابطة الثّقافيّة الاجتماعيّة»:

لقد كان لي اللّقاء الأوّل مع أخي في الله صاحب الفضيلة الأستاذ الشّيخ محمّد عليّ الحاجّ في عام ١٩٩٨م، إذ زارني مع بعض زملائه الكرام في الحركة الإسلاميّة الثّقافيّة، في منزلي في الغبيريّ، طالبًا مشاركتي في إعطاء الرّأي، والكتابة حول موضوع الاستنساخ عند الإنسان، ورأي الإسلام في ذلك. وكان ذلك بعد الضّجّة الكبيرة الّتي أحدثتها ولادة النّعجة «دولّلي» في إحدى مختبرات إدينمبورغ في بريطانيا، في شباط سنة ١٩٩٧م.

وذلك بهدف إخراج أوّل كتاب لمركزالدراسات والابحاث الاسلامية ـ المسيحية، يجمع به أبرز الآراء، والفتاوى لعلماء المسلمين بمختلف مذاهبهم، مع آراء علماء النّصارى في لبنان، حول هذه المسألة المستحدثة، فوافقت على الطّلب، مختارًا الجواب على بعض الأسئلة الّتي وجّهت إليّ دون الأخرى، تحرُّزًا من الجواب دون علم.

وقد أتى **كتابه الأوّل**: الاستنساخ بين الإسلام والمسيحيّة الصّادر في بيروت عن دار الفكر اللّبنانيّ في تمّوز ١٩٩٩م، فريدًا في بابه، قفزة نوعيّة في الحوار الإسلاميّ المسيحيّ في لبنان، من النّاحية العلميّة التّشريعيّة لتلك المسألة المستحدثة.

وكذلك **كتابه الثّاني**: الحوار الإسلاميّ المسيحيّ واقعه وخطوات

تفعيله، الصّادر عن دار المحجّة البيضاء، في حارة حريك ـ بيروت، مطلع سنة ٢٠٠١م. والّذي نتج عن ندوة أقامتها الحركة الإسلاميّة الثّقافيّة، لمناسبة تزامن ذكرى ولادة الإمام المهديّ (عج) مع ولادة السّيّد المسيح (، في مركز الإمام الخمينيّ الثّقافيّ في حارة حريك، والّتي كان لي الشّرف الكبير في المشاركة بها.

كما كان لي الشّرف الكبير في المشاركة في كتابين آخرين سوف يصدران عن مركز الدراسات والأبحاث الاسلامية ـ المسيحية الآنف الذّكر إن شاء الله تعالى. وهما، تحت الطّبع، أوّلهما **الكتاب الثّالث**: وهو: حول الإجهاض بين الإسلام والمسيحيّة، ثانيهما **الكتاب الرّابع** وهو: ندوة أقامها سماحة الشّيخ على مدرّج جامعة القدّيس يوسف في بيروت عن الإمام الحسين عليه السلام في منتصف شهر أيّار سنة ٢٠٠٠م، إذ طلب منّي كتابة مقدّمة لتلك البحوث، فكتبتها شاكرًا له هذا الطّلب المبارك.

هذا وقد تقدّم الكلام آنفًا عندما تكلّمنا حول علاقتي بالرّئيس اللّبنانيّ الرّاحل الأستاذ شارل حلو وعن سبب تلك الزّيارة، وأنّ فضيلة الشّيخ كان وراء ذلك. وعن مقدّمة الطّبعة الخامسة لكتاب «أبو تراب» الّتي كتبها الرّئيس حلو في ٥/ ١/ ٢٠٠٠م، وعن زيارتنا للرّئيس حلو مع فضيلته ومع وفد من أهالي المعيصرة في ٢٦/ ١/ ٢٠٠٠م، وعن نعيه للرّئيس حلو على الصّفحة الأولى من جريدة النّهار البيروتيّة، ووضعه لصورتي وإيّاه والرّئيس حلو، أثناء زيارتنا للرّئيس الأنفة الذّكر، وذلك في عدد النّهار الصّادر في ٨/ ١/ ٢٠٠١م، تحت عنوان «ذكرياتي مع الرّئيس شارل حلو».

كما تقدم الكلام عن فضيلته عندما تكلّمت، عن كتابي «المسيح الموعود والمهدي المنتظر عليهما السلام» في طبعته الثانية. وتقديم سيادة المطران جورج صليبا لتلك الطبعة.

كذلك فقد تقدّم الكلام عن فضيلته عندما تكلّمت، عن كتابي الموجز في علم الدّراية والحديث، وحول الإجازات في تحمّل الرّواية والحديث وتحت عنوان: مع حملة الإجازات العلميّة. وعندما تكلّمت أيضًا عن فضيلة الدّكتور الشّيخ عليّ البهادليّ (قده)، والحوزة العلميّة لدراسة علوم أهل البيت عليهم السلام.

كما قام (حفظه الله تعالى) ـ أيضًا ـ بكتابة مقدّمة لكتاب: المهديّ المنظر في عقيدة العلويين، لفضيلة الشّيخ عبد القادر المقدّم أرجع فيها لمن يريد الاطّلاع، والمزيد من المعرفة إلى كتابي «المسيح الموعود، والمهديّ المنتظر » والمطبوع في بيروت ٢٠٠٠م.

كما قام (حفظه الله تعالى)، كذلك بالكتابة في جريدة النّهار تحت عنوان: «المجلس الإسلاميّ الشّيعيّ الأعلى: وجهات نظر رئيس غير حزبيّ». في العددين الصّادرين في ٢٥و٢٦ نيسان سنة ٢٠٠١م. رشّحني فيها لرئاسة المجلس الإسلاميّ الشّيعيّ الأعلى بقوله: «٨ ـ القاضي الشّيخ يوسف عَمرو (٥٣ عامًا) مؤسّس الحالة الإسلاميّة في بلاد جبيل وكسروان. كان أستاذًا في حوزة الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الآن أستاذ في الحوزة العلميّة لدراسة علوم أهل البيت عليهم السلام، لديه ثمانية مؤلّفات، وهو من العلماء الّذين يعملون بصمت، ذو أخلاق عالية، يشرف على عدد من المؤسّسات الصّحيّة، والتّربويّة، والثّقافيّة والدّينيّة في منطقته».

وبعد، فإنّ صاحب الفضيلة الأستاذ الشّيخ محمّد عليّ الحاجّ، هو إمامٌ للمركز الإسلاميّ في سد البوشريّة في منطقة ساحل المتن الشّماليّ. وهو يتابع دراسته الشّرعيّة في مرحلة السّطوح، ودراسته الأكاديميّة في جامعة القدّيس يوسف. وهو يحظى بثقتي، وثقة كبار العلماء في لبنان به، وبثقة سماحة آية الله العظمى السّيّد محمّد حسين فضل الله (دام ظلّه)، وبثقة النّائب الأوّل لرئيس المجلس الإسلاميّ الشّيعيّ الأعلى في

لبنان سماحة المفتي الجعفريّ الممتاز، العلاّمة الشّيخ عبد الأمير قبلان (حفظه الله)، وذلك لما عرفوا عنه من تقوى، وطهارة، وحبّ للأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، وشغفه بالحوار بين اللّبنانيين، والحوار بالكلمة، والموعظة الحسنة.

أمّا الحديث عن حركته «الحركة الإسلاميّة الثّقافيّة في لبنان» وعن مركزه، مركز الدّراسات والأبحاث الإسلاميّة المسيحيّة، وعن طلاّبه الكرام من خلال حوزته الصّغيرة في منزل والده في رأس النّبع - بيروت، والّتي أطلق عليها اسم «حوزة الإمام الباقر عليه السَّلام»، وعن علاقاته بالسّياسيين، وبعلماء الفرق والمذاهب الإسلاميّة والمسيحيّة في لبنان، فيحتاج إلى كتابة فصلٍ خاصّ. ولكن حسب هذا الشّيخ فخرًا أنّه اتّخذ من علمه، ومعرفته، وعلاقاته مع النّاس، وسيلةً للتّقرّب إلى الله تعالى، ولإعلاء كلمة الحقّ، والصّدق، والمحبّة بين النّاس.

وممّا يجدر ذكره أيضًا أنّه وبناءً على طلبي، وطلب بعض الأصدقاء منه، أطلق على اسم حركته الآنفة الذّكر اسم «الرّابطة الثّقافيّة الاجتماعيّة»، وقدّم أوراقه لوزارة الدّاخليّة اللّبنانيّة ـ مصلحة الشّؤون السّياسيّة والإداريّة بهذا الاسم. وقد قدّم أسماء ثلّةٌ مباركة من زملائه الكرام كأعضاء مؤسّسين بالإضافة إلى اسمه وهم السّادة: عصام حمزة، وباسم جمعة، ورامي كنعان، ونزار حمادة، سائلاً الله تعالى التّوفيق لهم جميعًا لكلّ خير، وأن يدفع عنهم كلّ شرّ، إنّه سميع الدّعاء، حميدٌ مجيد، آمين.

٣٨ ـ رسالة شكر من سماحة العلاّمة الشّيخ فضل غزال (قده) إمام اللاّذقيّة الجعفريّ إلى المصنّف:

تعرّفت على صديقنا العزيز الأخ الفاضل العلاّمة الشّيخ فضل غزال (رحمه الله تعالى) في النّجف الأشرف في السّبعينيّات من القرن الماضي، إذ كان يسكن في المدرسة الأزريّة في منطقة خان المخضر حيث كان يتابع دراسة البكالوريوس في كليّة الفقه مع بعض الأخوة الفضلاء من المسلمين الشّيعة العلويين من السّاحل السّوريّ حيث كان (رحمه الله تعالى) أنبههم وأفضلهم علمًا وعملاً.

وبعد هروبي من سلطات نظام الطّاغوت في العراق في أواخر عام ١٩٧٨م إلى لبنان، وهربه مع زملائه إلى سوريا انقطعت أخباره عنّا إلاّ من خلال بعض الأخوة من طلبة العلوم الإسلاميّة من أبناء السّاحل السّوريّ في الحوزات الدّينيّة في بيروت وضاحيتها الجنوبيّة. كما رأيته على شاشات التّلفزيون العالميّة عندما أمّ المصلّين في الصّلاة على الشّهيد باسل الأسد نجل الرّئيس السّوريّ الرّاحل حافظ الأسد. إذ قام الرّئيس السّوريّ بالطّلب من سماحة الشّيخ فضل غزال التّقدّم للصّلاة بصفته إمامًا لمسجد السّيّدة ناعسة في مدينة القرداحة ولمسجد الإمام جعفر الصّادق عليه السلام في اللاّذقيّة.

وقد طلب منّي أحد طلبة العلوم الدّينيّة من السّوريين التّوسّط لدى

سماحته أن يساعده في التّبليغ الدّينيّ في بعض القرى السّوريّة من خلال توجيهات سماحته (رحمه الله تعالى).

فأرسلت لسماحته رسالة تعريف بهذا الطّالب مع نسخة هديّة له من كتابي «المسيح الموعود والمهديّ المنتظر عليهما السّلام»، ونسخة أخرى من كتاب للدّكتور التّيجانيّ السّماويّ حول (أهل السُّنّة) أو لمؤلف آخر؟

فأرسل لي هذا الجواب المفعم بالمحبّة والولاء لأهل البيت عليهم السلام ولشيعتهم. الرّسالة الآتية:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم

أخي في الله فضيلة العلاّمة الجليل الشّيخ يوسف محمّد عَمرو وفّقه الله، السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وبعد:

حمدت الله أن ألقى إليّ كتابكم الكريم متألّقًا بما يُبهج النّفس من أخبارك، ويوهج الخاطر من مودّتك وإخائك، وسألت الله عزّ وجلّ أن يجعل مستقبل حياتك خيرًا ممّا مضى، مؤيّدًا بتوفيقه منتصرًا بالجهاد في سبيله.

وقد وصلني الكتاب في لحظة حزن وأسى لوفاة من هي بمثابة الأمّ وقد انتقلت إلى رحمة الله وأرجو دعائكم لروحها وسندفنها في هذا اليوم الخميس ٣٠/ ١٢/ ١٩٩٩م ومع ذلك فقد حملت نفسي على الكتابة شاكرًا حنانك الأخويّ. وقد وصلت الهديّة كتابين هما: (أهل السُّنّة والمسيح الموعود). فبارك الله بك وأدام الله بالخير بقاءك وأرجو أن يوفّقنا الله للّقاء في ظلال الولاية، وأن يشملنا برضوان منه وتأييد من لدنه وأن يحفظكم لخدمة الدّين الحنيف والشّرع الشّريف. وبالنّسبة للأخ

طالب أحمد حسن فسأكون عند حسن الظّنّ إن شاء الله تعالى راجيًا له التّوفيق للسّير في طريق الولاية القويم.

وختامًا: سلّمكم الله ذخرًا وفخرًا للإخاء، وزادكم فلاحًا ونجاحًا في العمل الصّالح والخير الدّائم، والسّلام عليكم ورحمة الله.

أخوكم: فضل غزال

اللاّذقيّة في: ٣٠/١٢/١٩٩٩م.

٣٩ ـ آية الله الشّيخ محمّد جواد الشّرّيّ (قده)

وهو أوّل عالم من العلماء الشّيعة الإماميّة الاثنيّ عشريّة يستوطن الولايات المتّحدة الأمريكيّة في سنة ١٩٤٩م بطلب من الجالية الشّيعيّة اللّبنانيّة في ولاية ميتشغن. وكان ذلك بسعي الزّعيم العامليّ المرحوم الرّئيس عادل بك عسيران عندما زار الجالية اللّبنانيّة قبل مدّة واطّلع على شؤونهم الاجتماعيّة والدّينيّة ووعدهم بالسّعيّ والتّكلّم مع سماحة الشّيخ الشّرّيّ بهذا الموضوع. وقد استجاب الشّيخ (رحمه الله) لهذا الطلب بعد أن درس الإنكليزيّة في لبنان قبيل ذهابه للولايات المتّحدة الأمريكيّة.

لقد اطّلعت على بعض أخبار الشّيخ (رحمه الله) في النّجف الأشرف من صديقه آية الله الشّيخ جعفر الصّائغ (قده) عندما سألته عنه وعن التزامه الشّرعيّ والإسلاميّ؟

كما اطّلعت على أخباره أيضًا من صديقه ورفيق دربه آية الله الشّيخ محمّد جواد مغنيّة (قده)، في النّجف الأشرف في عام ١٩٧٦م عندما سألته عنه فأجابني (رحمه الله) بالجواب الشّافي أيضًا، وأنّ الشّبهات الّتي أثيرت حول الشّيخ كان دافعها الحسد، وحكى لي بعض الحكايات حول ذلك.

وأوّل مرّة التقيت بسماحته كان في مؤتمر الوحدة الإسلاميّة في طهران في أواخر سنة ١٩٨٢م، وقد تكلّمت عن ذلك في الفصل الأوّل من الجزء الثّاني من هذا الكتاب. والمرّة الأخرى الّتي التقيته بها كانت

في رحلتي الأمريكيّة عندما زارني (رحمه الله) في المنزل الّذي حللت فيه في ديربورن، ثمّ لمّا زرته عدّة مرّات في المركز الإسلاميّ في ديترويت عندما أقام لي مأدبة تكريميّة في المركز، وكذلك عندما خصّص يوم الأحد لجمع التبرّعات والمساعدات لمنطقة جبيل وكسروان، ودعاني للتّكلّم في المؤمنين بعد الانتهاء من خطابه (قده) وذلك في ٢٠/١١/١٩٨٨م.

ومن أهمّ إنجازاته رحمه الله في الولايات المتّحدة الأمريكيّة الآتي:

١ ـ تأسيس أوّل مركز إسلاميّ للشّيعة الإماميّة الاثنيّ عشريّة في اميركا الشمالية وافتتاحه، في ٢٠/٩/١٩٦٣م.

٢ ـ إلقاء مئات المحاضرات والكلمات باللّغتين العربيّة والإنكليزيّة عن عقائد الشّيعة الإماميّة الاثنيّ عشريّة وتاريخهم، وعن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ولا سيّما إحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السّلام)، وردّ الشّبهات عن التّشيّع، منذ حلوله في الولايات المتّحدة في سنة ١٩٤٩م من خلال الصّحف، ومنابر الجمعيّات والنّوادي العربيّة والأمريكيّة وغيرها، ولغاية مرضه الأخير (رحمه الله)، أي في عام ١٩٩٢م والّذي أقعده الفراش وذلك لمدّة تفوق الأربعين عامًا تقريبًا.

٣ ـ قيامه بعدّة زيارات للجاليات الشّيعيّة في الولايات المتّحدة، وكندا، وأفريقيا الغربيّة وتفقّد أوضاعهم الدّينيّة.

٤ ـ قيامه بزيارة مصر ومقابلته لإمام الأزهر الشّيخ محمود شلتوت، وللرّئيس جمال عبد النّاصر، والاتّفاق معهما على تدريس المذهب الجعفريّ في جامعة الأزهر الشّريف. وبالتّالي الاعتراف بالمذهب الجعفريّ والمساواة ما بينه وبين المذاهب الأربعة، وقد تبرّع الرّئيس جمال عبد النّاصر بمبلغ تسعين ألف دولار أمريكيّ

لبناء مركز إسلاميّ للشّيعة الإماميّة في ديترويت برعاية الشّيخ الشّرّيّ ولكن المبلغ الّذي وصل للشّيخ الشّرّيّ هو سبعة وأربعون ألف دولار فقط لا غير، والقيمة الباقية حصل عليها الاتّحاد الإسلاميّ في الولايات المتّحدة!!!

٥ ـ التّوسّط ما بين الإدارة الأمريكيّة وحكومة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة أيّام قضيّة الرّهائن في طهران، فقد دُعي الشّيخ الشّرّيّ إلى البيت الأبيض في عهدي الرّئيسين فورد وكارتر للإستئناس برأيه حول قضيّة الرّهائن الأمريكيين في طهران، وكذلك دُعي من قبل وزارة الخارجيّة الأمريكيّة ووسائل الإعلام الأمريكيّة في نيويورك بهذا الصّدد. كما قام الرّئيس كارتر بتكليفه زيارة الإمام السّيّد روح الله الموسويّ الخمينيّ (قده) في قضيّة الرّهائن، وقد قام الشّيخ الشّرّيّ بزيارة الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران عدّة مرّات وقابل الإمام الخمينيّ والمسؤولين في الجمهوريّة الإسلاميّة بهذا الشّأن.

٦ ـ ترك (رحمه الله تعالى) عدّة آثار وكتب باللّغتين العربيّة والإنكليزيّة أهمّها:

* الخلافة في الدّستور الإسلاميّ.
* عمل المسلم.
* التّعاليم الإسلاميّة.
* استنطاقات حول الإسلام.
* الإمام الحسين سيّد الشّهداء.
* أخو النّبيّ محمّد ﷺ (بالإنكليزيّة).
* أمير المؤمنين.

* الشّيعة في قفص الاتّهام.

* الإستعلام عن الإسلام (بالإنكليزيّة).

وغيرها من كتب ومحاضرات مسجّلة على أشرطة الفيديو، وأهمّها دروس في تفسير القرآن الكريم باللّغة الإنكليزيّة، ومجلّته الّتي كانت تصدر عن المركز وهي تحت عنوان: أصول الدّين وفروعه.

وأخيرًا فلقد كان (رحمه الله تعالى) الأب والمرشد لمعظم علماء الشّيعة وطلبتهم في الولايات المتّحدة وكندا، وشموله لهم برعايته ونصائحه وإرشادهم للّتي هي أحسن، لمدّة تفوق الأربعين عامًا.

انتقل (رحمه الله تعالى) في يوم الجمعة في ١١ تشرين الثّاني سنة ١٩٩٤م إلى (رحمة الله تعالى)، في مدينة بليموت، بعد مرض طويل، ودفن في الجبّانة الإسلاميّة هناك، وقد أقيمت له عدّة احتفالات تأبينيّة في الولايات المتّحدة، وفي كندا، وفي لبنان وقد أقام المجلس الإسلاميّ الشّيعيّ الأعلى في لبنان احتفالاً تأبينيّاً كبيرًا بهذه المناسبة شاركت فيه.

ذكريات عن الراحل

ومن ذكرياتنا الجميلة عنه (رحمه الله تعالى):

أ ـ ما حدث معه في سيراليون، غرب أفريقيا: فقد أخبرني (رحمه الله تعالى) أنّه عندما زار الجاليات اللّبنانيّة في أفريقيا الغربيّة سنة ١٩٥٩م لتفقّد أمورها الدّينيّة والشّرعيّة، ولجمع التّبرّعات لبناء أوّل مركز إسلاميّ للشّيعة الإماميّة الاثنيّ عشريّة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وقد راعه حالة الغنى والبزخ والتّرف الّذي يتمتّع به معظم أبناء الجالية في سيراليون من جهة، وحالة الفقر والجوع المسيطر على السّواد الأعظم من أبناء سيراليون، وكانت آنذاك مستعمرة إنكليزيّة!

فخاطب أبناء الجالية بقوله: إنّ ما أنعم الله تعالى به عليكم به من أموال فهو من خيرات هذه البلاد وكدح أبنائها الّذين يعملون في خدمتكم كموظّفين وخدم، فمن واجبكم الدّينيّ والإنسانيّ أن تقدّموا شيئاً لأهل هذه البلاد يبقى لكم ذكره في الدنُّيا والآخرة، وهو بناء مستشفى كهديّة لأبناء هذه البلاد، أو نحو ذلك! وإن لم تقوموا بذلك فسوف ينقلب الأمر عليكم بعد سنوات، ويثور أهالي هذه البلاد ضدّكم ويطردونكم منها!

وقد استجاب أبناء الجالية لطلبه، وجمعوا التّبرّعات لهذا الغرض النّبيل وباشروا ببناء المستشفى اللّبنانيّ في سيراليون. وقد علم بذلك الحاكم البريطانيّ في سيراليون، وكان من أبناء تلك البلاد فطلب من الشّيخ الشّرّيّ (قده) اللّقاء به، وقد ذهب الشّيخ الشّرّيّ (قده) للّقاء به، فخاطبه الحاكم البريطانيّ بقوله: إنّني باسم أهالي البلاد أتوجّه بالشّكر لسماحتكم، لأنّك أوّل زائر يزور هذه البلاد، ويهتمّ بشؤون أهلها ويسعى لمساعدتهم، ويفكّر بهم كبشر وأنّهم من بني آدم ويقوم بشيء لمصلحة المواطنين! وأمّا سواك يا سماحة الشّيخ فإنّه يأتي إلى هذه البلاد ليأخذ ولا يعطي شيئاً!

فأجابه الشّيخ الشّرّيّ (قده): إنّ ما قمت به هو من واجبنا الدّينيّ والإنسانيّ والتّاريخيّ، إذ إنّ أسلافنا الفينيقيين الّذين أتوا إلى شواطئ هذه البلاد قبل ثلاثة آلاف عام قدّموا لها وللعالم القديم الأحرف الأبجديّة، كما أنّ الإسلام قد فرض علينا هذا الشّعور الإنسانيّ.

مع الرئيس كارتر.

كما أخبرني (رحمه الله) أنّه عندما استدعاه الرّئيس الأمريكيّ الأسبق جيمي كارتر للتّشاور معه في قضيّة الرّهائن الأمريكيين في طهران، طالباً منه التّوسّط في ذلك واللّقاء مع الإمام الخمينيّ،

والحكومة في الجمهوريّة الإسلاميّة في طهران، وبعد خروجه من اللّقاء مع الرّئيس كارتر كان هناك قرابة الخمسمائة صحافيّ بانتظاره ليطرحوا عليه أسئلتهم حول الإسلام وإيران والثّورة الإسلاميّة والشّيعة ونحو ذلك؟

فابتدأهم بالسّؤال الاستفهاميّ الآتي: قبل أن أجيبكم على أي سؤال فسوف أطرح عليكم السّؤال الآتي: ما الّذي تقولونه بالشّيخ محمّد جواد الشّرّيّ؟

أجاب بعضهم: إنّ الإمام الشّيخ محمّد جواد الشّرّيّ هو مواطن أمريكيّ شريف، وإنسان صالح عمل للخير وللأخذ بأيدي مواطنيه الأمريكيين المسلمين نحو التّكافل الاجتماعيّ، والإلتزام بالأخلاق الفاضلة، ونهاهم عن ارتكاب الجرائم والموبقات، وتعاطي المخدرات إلى آخر كلامهم الّذي أثنوا فيه على مواقف الشّيخ الإنسانيّة منذ أن وطأت أقدامه أراضي الولايات المتّحدة الأمريكيّة في سنة ١٩٤٩م، ولغاية سنة ١٩٧٩م.

فأجابهم: إنّ ما تقولونه بالشّيخ محمّد جواد الشّرّيّ قولوه أيضاً بالإمام الخمينيّ وبعلماء إيران، بل بجميع علماء المسلمين الشّيعة في العالم، لأنّنا على مذهب واحد وطريق واحد، فأنا منهم وهم منّي! فسكت القوم ولم يجيبوه، أو يطرحوا عليه سؤالاً بعد ذلك!

كما كان (رحمه الله) معجباً ببعض القضايا الإيجابيّة في النّظام الأمريكيّ والّتي قادهم إليها العقل السّليم، وقد سبقتهم إليها الشّريعة الإسلاميّة منذ أربعة عشر قرنًا، ولكن الدّول والشّعوب الإسلاميّة قد أهملتها وتناستها، ومنها: حريّة التّعبير عن الرّأي لكلّ مواطن مهما كان رأيه وشعوره، فقد أخبرني أنّه في احتفال جرى في البيت الأبيض وقد نقله التّلفزيون الأمريكيّ، حيث أنّ الرّئيس الأمريكيّ نيكسون أراد منح أوسمة لبعض رجال العلم والفكر في الولايات المتّحدة، وعندما ابتدأ

بتعليق هذه الأوسمة على صدور مستحقّيها، وأراد تعليقه على صدر امرأة من المستحقّين فإذ بها ترفض ذلك الوسام!

فسألها الرّئيس نيكسون عن سبب رفضها؟

أجابت: إنّي أرفض قبول هذا الوسام من رئيس كذّاب! فما كان من الرّئيس نيكسون إلاّ أن ابتسم لها، وأكمل عمله بتعليق باقي الأوسمة على صدور مستحقّيها دون أن يصدر منه أي تعليق أو عقاب لتلك المرأة الّتي أهانته أمام الرّأي العام الأمريكيّ، واتّهمته بالكذب!

ويضيف الإمام الشّرّيّ (رحمه الله) بقوله: لو أنّ هذه المرأة كانت مواطنة مسلمة في أيّ بلد إسلاميّ وصدر منها هذا الرّفض اتجاه رئيس هذا البلد، فما يكون عقابها؟!

ومنها أيضاً: محاربة حكومة الولايات المتّحدة للفقر والجوع بوسائل كثيرة منها إعطاء المواد الغذائيّة والضّروريّة لحياة كلّ أسرة أمريكيّة فقيرة محتاجة دون مقابل!! وقد أخبرني أنّ الحكومة قد استأجرت مخازن كبيرة قرب مركزه الإسلاميّ بإيجار سنويّ قدره ثلاثمائة ألف دولار أمريكيّ، لإيداع هذه المواد، وبالتّالي توزيعها على من يستحقّها من الفقراء والمحتاجين كل شهر!

هذا وقد علمت في ما بعد أن السّواد الأعظم من العائلات اللّبنانيّة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة يحصلون على ما يحتاجونه من المواد الغذائيّة مجاناً كل شهر.

وممّا يجدر ذكره أيضاً أنّي قد تكلّمت عنه (رحمه الله) في الفصل الأوّل من الجزء الثّاني من هذا الكتاب، وعن رسالته لغبطة البطريرك صفير، وعمّا جاء في تلك الرّسالة حول المسلمين الشّيعة في بلاد جبيل وكسروان، فراجع.

٤٠ ـــ آية الله الشّيخ
عبد الكريم شمس الدين دام حفظه.

تكلّمت في الجزء الثاني من كتابي: «التذكرة أو مذكرات قاضٍ» تحت عنوان «الحثّ على طلب العلوم الدّينيَّة»، عن سماحة آية الله الشّيخ عبد الكريم شمس الدين (حفظه الله تعالى)، وعن حثّه لي لطلب العلوم الدينيَّة، وعن دراستي عليه في منزله في الشّياح، الجزء الأوّل من منهاج الصالحين في العبادات للإمام السّيِّد محسن الطّباطبائي الحكيم(قده) في عامي ١٩٦٥و١٩٦٦ تقريباً. وعن مشاركتي مع ثلة من طلابه ومريديه أثناءها في تأسيس" الجمعيَّة الخيريَّة الثقافيَّة" في الغبيري[١].

لقد ترك الشّيخ شمس الدين (أطال الله تعالى بعمره الشريف) في نفسي، ونفوس طلابه ومريديه أجمل الأثار وأفضلها من محبة الله تعالى وخوفه والتوكل عليه في السَّراءِ والضَّراءِ، ومحبة أهل البيت (عليهم السَّلام) ومودتهم والاعتصام بحبلهم. وحمل أفعال المؤمنين على الأحسن، وترك الغيبة والبهتان والغمز واللمز. إذ أنَّ مجالسه الشريفة في منزله القديم في الشّياح . شارع أسعد الأسعد، أو في مسجد الإمام الحسين عليه السلام القريب من منزله كانت تسودها روحانيَّة شيخنا وآدابه

---

(١) راجع «التذكرة أو مذكرات قاضٍ» ج٢ ص: ٢٥٥.

العاليَّة، إذ كنا نشعر في مجالسه بمحبته الأبوية لنا، وبسعة صدره أمام أسئلتنا وإستفساراتنا الكثيرة. واستشهاداته الكثيرة في أجوبته وفي كلامه بالقرآن الكريم، وبالسُنَّة الشريفة، وبهدي أهل البيت ﷺ، وبالشعر العربيّ، وبقصائده التي أنشدها في مناسبات كثيرة.

وخلاصة ما جاء في ترجمته التي كتبها ولده سماحة مفتي بلاد جبيل وكسروان العلاّمة الجليل الشّيخ عبد الأمير شمس الدين، وما جاء في كتاب «علماء ثغور الإسلام» للسّيِّد الموسويّ مع بعض الزيادات والتنقيحات التي أضفناها ما يلي:

* هو الشّيخ عبد الكريم بن الشّيخ عبَّاس بن الشّيخ أمين شمس الدين من ذريَّة الشّهيد الأوّل الإمام شمس الدين مُحمَّد بن مكيّ الجزينيّ العامليّ (قده). المستشهد في عام٧٨٦هـ. الموافق لعام ١٣٨٤م.

* وُلِدَ في بلدة قبريخا قضاء مرجعيون عام ١٩٠٦م. ولما بلغ ثلاث سنوات توفيت والدته، فتولّت تربيته جدته لأبيه. قرأ القرآن الكريم على والده الشّيخ عبَّاس، والتحق بمدرسة النبطية التي كان يديرها المرحوم الشّيخ مُحمَّد رضا الزين (رحمه الله تعالى)، كما درس كتاب: «قطر الندى» على الشّيخ مُحمَّد نجيب مروة (قده)، وكتاب «ألفية ابن مالك» على الشّيخ حسن شمس الدين (قده).

* هاجر إلى النَّجف الأشرف لطلب العلوم الدينية في عام١٩٣٠م من أساتذته في النجف الأشرف في تفسير القرآن الكريم آية الله العظمى الشّيخ مُحمَّد حسين كاشف الغطاء (قده)، وفي الفقه والأصول آية الله العظمى السّيد محمود الشاهرودي (قده)، وآية الله العظمى السّيِّد محسن الطباطبائي الحكيم (قده).

* عاد إلى بلدته قبريخا عام ١٩٤٧م فاقام بها إماماً ومرشداً وواعظاً

إلى أن عاد ولبى طلب كبار العائلات في منطقة الشّياح ـ الغبيري حيث إستقرَّ بها عام ١٩٥٥م إماماً ومرشداً. ولا زال لغاية تأريخه على الرغم من تجاوزه للتسعين من السنين منارة يستضيء به أهالي هذه المنطقة.

* أولاده الذكور: ١ ـ آية الله الشّيخ مُحمَّد مهدي (قده) الرئيس السابق للمجلس الإسلاميّ الشيعي الأعلى في لبنان. ٢ ـ آية الله الدكتور الشّيخ مُحمَّد جعفر. ٣ ـ العلاّمة المفتي الجعفريّ الشّيخ عبد الأمير. ٤ ـ الحاج مُحمَّد حسين. ٥ ـ الحاج مُحمَّد باقر.

* من تلامذته: ١. العلاّمة الشّيخ حسين محسن (قده). ٢. العلاّمة الشّيخ حسين قازان. ٣. العلاّمة الشّيخ عبد الرسول حجازي. ٤. العلاّمة الشيخ مرتضى حسن. ٥. العلاّمة المفتي الشّيخ عبد الحسين عبد الله. ٦. القاضي الشّيخ يُوسف مُحمَّد عَمرو والمرحوم فضيلة الشيخ عدنان الحركة وغيرهم.

* من مشاريعه:

١ ـ إعادة ترميم وتأهيل وتوسعة مسجد الإمام الحسين (عليه السَّلام) في الطيونة.

٢ ـ بناء «مؤسسة أهل البيت عليهم السلام» قرب المسجد ـ الآنف الذكر ـ وهو مؤلف من أربع طبقات إنتهى من بنائه في عام ١٩٨٣.

وهو يضم حسينية للرجال، وأخرى للنساء، مع مكتبة عامة، ومنزل للعالم الديني، مع وقف خمسة دكاكين يعود ريعها لهذه المؤسسة. كما أنَّ طلاب الحوزة العلمية معهد الشّهيد الأوّل (قده) مع أساتذتهم، قد إنتقلوا مؤقتاً إلى هذه المؤسسة.

٣ ـ حثّ المترجم له المحسن الكريم السّيِّد يوسف الموسويّ وولديه

على بناء مسجد برج البراجنة الكبير.

٤ ـ كما وحث المؤمنين على بناء مشروع إسلامي كبير في منطقة تل الزعتر الدكوانة مؤلف من حسينية ومسجد ومكتبة عامة ونحو ذلك، وشراء عقار آخر خُصص لبناء ثانوية عليه، وذلك برعاية نجليه آية الله الشّيخ مُحمَّد مهدي (قده)، والعلاّمة المفتي الشّيخ عبد الأمير (حفظه الله تعالى).

٥ ـ رعايته وعنايته لطلبة العلوم الدينيَّة وحثّهم على الاجتهاد في طلب العلم، وتقوى الله تعالى، وعلى التبليغ الديني في قراهم ومناطقهم، وقد عرفت ذلك من رعايته لي ولسماحة العلاّمة الشّيخ عبد الرسول حجازي عندما كان إماماً لقرية مشّان في أوائل السبعينات من القرن الماضي.

٦ ـ رعايته وعنايته للهيئة العامّة الأولى للجمعيَّة الخيريَّة الثقافية في الغبيري في عامي ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦. توجيهاً، وإرشاداً، وتدريساً.

٧ ـ لسماحته بعض المخطوطات والكتابات التي لم تُطبع بعد. كما له ديوان شعر جميل لم يُطبع لغاية تأريخه، ولقد نشرت بعضُ قصائد ديوانه في مجلات إسلامية وأدبية عديدة.

٤١ ـ العلاّمة المجاهد
السّيّد عبد الأمير صفيّ الدّين (قده)

قالت عنه مجلّة الموسم الصّادرة في أمستردام ـ هولندا، في الصّفحة ٢٤٧ من عددها المزدوج (٣٣و٣٤)، الصّادر سنة١٩٩٨م: «من علماء لبنان ونشطاء العلماء العاملين، درس في النّجف الأشرف بالعراق، وكتب عدّة كتب نشر منها كتاب (محنة العراق). أسّس في أوائل السّتينات، حركة عسكريّة دينيّة في لبنان، تحت اسم «فتيان عليّ» وكان هدفها المطالبة برفع الحيف والظّلم الّذي طال الطّائفة الشّيعيّة في لبنان، ولإثبات دور الطّائفة عسكريّاً أمام الميليشيات السّائدة، وهذه الحركة هي نواة لحركة أمل الشّيعيّة الّتي رعاها الإمام المغيّب السّيّد موسى الصّدر.

بعثه الإمام الصّدر إلى لندن فأسّس مركز أهل البيت بالاشتراك مع الشّهيد السّيّد مهديّ الحكيم، والسّيّد محمّد بحر العلوم، وارتحل إلى أمريكا ومنها إلى كولومبيا، فأسّس في الأخيرة مؤسّسة لنشر فكر أهل البيت عليهم السلام، ثمّ رجع إلى أمريكا وبها توفي في ١٨/١١/١٩٩٧م ونقل جثمانه إلى النّجف الأشرف ودفن بها.

أعقب ستّ بنات وأربعة أولاد، هم: السّيّد أحمد والسّيّد يوسف، والسّيّد صفيّ الدّين، والسّيّد هاشم، وقد رثاه الحاجّ عليّ الغول أبو وفيق بالقصيدة التّالية:

يا سَيِّداً أَودَى بطَلْعَته الدَّهْر   رَثَاكَ وَعَزَّ يَوْمَ مَأْتَمِكَ الفِكْرُ

وَأبدَتْ عَلَيْكَ المَكْرُمَاتُ تأسُّفًا ... وأحْيَتْ لك الذِّكرَى، وأبَّنَكَ الشِّعْرُ
فَخُذْ إنْ عَلِمْنَا بِارْتِحَالِكَ بَغْتَةً ... تَمَلَّكَنَا الإِرْبَاكُ وانْتابَنا الذُّعْرُ
فَيا ليتَهُ قد كان أمهَلَكَ الرَّدى ... ولَم يحزن الأهلونَ أو مسَّك الضُّرُّ
ويا راحلاً عن هذه الدّار فجأةً ... عليك سيبقى الحُزنُ ما بقيَ الدَّهرُ
فواعجبًا يغدُر بك الموتُ هكذا ... وأنت الّذي مَن لا يليقُ به الغدرُ
وواأسفًا يخطُف لك الموتُ بغتةً ... وفي خطفه الأبرارَ ليس له عذرُ
بكتك سماء الله حزنًا وحسرةً ... وناح عليك الأفقُ والأنجُمُ الزُّهْرُ
نعاك مُرشِدُنا الكريمُ إلى الورى ... وروعهُ هذا التّباعد والهجرُ
ويا سيِّدًا هام الفؤادُ بحبِّه ... سليلُ رسول الله والعترةُ الطُّهرُ
كفاك انتسابًا للرّسول وآله ... وآل صفيِّ الدّين السّادةُ الغُرُّ»

وممّا يجدر ذكره أيضًا أنّني قد التقيت بالعلاّمة المجاهد السّيّد صفيّ الدّين (قده) أكثر من مرّة أثناء رحلتي للولايات المتّحدة الأمريكيّة في مدينة ديربورن في الاحتفالات الدّينيّة الّتي كان يقيمها المجمّع الإسلاميّ الثّقافيّ وغيره في منازل لوجهاء الجالية اللّبنانيّة في مدينة ديربورن، وفي منزل المرحوم الحاجّ أحمد أمين، فوجدت به العالم المجاهد الّذي صرف حياته في الدّعوة إلى الله تعالى، والأعمال الصّالحة. ولا أغالي إن قلت عنه: إنّ جميع الجاليات الشّيعيّة المنتشرة في مدن أمريكا الشّماليّة، والوسطى، والجنوبيّة، وفي أوروبا الغربيّة، وغرب أفريقيا، وجنوبها، وشرقها، وفي قارة أوقيانيا تعرف السّيّد عبد الأمير صفيّ الدّين إمامًا ومرشدًا وموجّهًا لهم، لا يطلب منهم شيئًا سوى الرّجوع إلى الله تعالى، والتّمسّك بالشّريعة الإسلاميّة، وبمحبّة أهل البيت عليهم السلام، والتّعاون على البرّ والتّقوى بإقامة المجالس الحسينيّة، والمؤسّسات الدّينيّة والتّربويّة الّتي تحفظهم وتحفظ أبناءهم من الذّوبان. بل إنّ نشاطه لم يقتصر على تلك الجاليات فقط بل ذهب لدعوة سكّان أمريكا القدامى المعروفين بالهنود الحمر في جمهوريّة كولومبيا إلى الإسلام!!

وقد نجح في ذلك حيث اعتنق العشرات منهم الإسلام. وكان يخبرنا (رحمه الله) عنهم، وعن ترحيبهم بالدّعوة الإسلاميّة وعن عاداتهم وتقاليدهم، ويتحسّر على فقده للمال الّذي يقوم بنفقات التّبليغ للقيام بهذا العمل النّبيل.

كما كان لي شرف المشاركة في أربعين فقيدنا الكبير في بلدته دير قانون النّهر، في قضاء صور، وذلك في تشرين الثّاني من سنة ١٩٩٧م والّتي أقامها له شقيقه المحسن الكريم السّيّد محمّد صفيّ الدّين.

وكلمتي الأخيرة عن العلاّمة العلم السّيّد صفيّ الدّين (قده)، إنّ الله تعالى قد أعطاه بسطة في الجسم، والعلم، والخلق الجميل فهو طويل أبيض الوجه جميل المحيا أشبه العلماء بآية الّله السّيّد موسى الصّدر في طلعته البهيّة، وفي أعماله، وأخلاقه، واهتمامه بشؤون الجاليات الشّيعيّة في العالم.

٤٢ ـ الشّيخ المجاهد خليل بزّي (قده)

وهو أول مُبلّغ ديني مُسلم شيعيّ وطأت أقدامه الولايات المتّحدة الأمريكيّة في سنة ١٩١٣م، حيث قام (رحمه الله تعالى) بخدمة أبناء الجالية اللّبنانيّة الشّيعيّة في ولاية ميتشغن وفي سائر الولايات الّتي دُعي إليها تقرّباً إلى الله تعالى ودون مقابل، وكان يعمل بتجارة الخضار والفاكهة وغيرها، وكانت أعماله الدّينيّة تنحصر بالقيام بتغسيل الموتى وتكفينهم والصّلاة عليهم ودفنهم على الطّريقة الإسلاميّة، وبإقامة صلاة عيدي الفطر والأضحى، وإقامة مجالس عاشوراء، وتعليم القرآن الكريم والأحكام الشّرعيّة لكلّ طالب. وتشجيع المؤمنين على أداء فريضتي العمرة والحجّ، وفي إجراء عقود الزّواج ونحو ذلك. وقد أخبرني بعض المؤمنين أنّه في أثناء سفره عن منزله القديم في ميتشغن جمع بعض أبناء الجالية اللّبنانيّة ثمن سيارة له وقاموا بتقديم السّيارة لزوجه وذلك لمعرفتهم بحاجة شيخهم إليها. وعندما عاد الشّيخ (قده) من سفره وجد السّيارة في منزله فسأل زوجه عنها؟ فأخبرته بخبرها فغضب غضباً شديدا وأمرها بإرجاع السّيارة إلى أصحابها أو يقوم بإجراء صيغة طلاقها الشّرعيّ منه! عندها اضطرّت زوجه لإرجاع السّيارة إلى المتبرّعين! كما قبل المتبرّعون بإرجاع الهبة حتى لا يغضبوا شيخهم الطّاهر.

التقيت به (رحمه الله) في جوار مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في النّجف الأشرف في سنة ١٩٧٦م تقريباً، حيث كنت أصلّي

قربه وبعدما انتهيت من الصّلاة سلّمت عليه وسلّم عليّ وصافحني وأخبرني عن نفسه.

وقد رأيت فيه (رحمه الله) صورة الدّعاة الأوائل من أصحاب النّبيّ والأئمّة عليهم السلام، الّذين حملوا إلى مشارق الأرض ومغاربها شهادة: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، والتّمسّك بكتاب الله تعالى وسنّة نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله، والاعتصام بالأئمّة الاثنيّ عشر من أهل البيت عليهم السلام.

وتشاء الصّدف أن أشارك في ذكرى أربعين وفاة شيخنا (رحمه الله) الّذي أقامه المجمّع الإسلاميّ الثّقافيّ في ديربورن يوم الأحد في ١٣/١١/١٩٨٨م بكلمة من وحي هذه الذّكرى العطرة لأب كريم مؤسّس من آباء هذه الجالية.

٤٣ ـ العلاّمة المجاهد
الشّيخ عبد اللّطيف برّي

وهو (حفظه الله تعالى) من قرية تبنين في قضاء بنت جبيل وهو نجل حجّة الإسلام الشّيخ موسى برّي (رحمه الله)، ومن مواليد النّجف الأشرف في سنة ١٩٤٨م. ومن خرّيجين الأوائل لكليّة الفقه في النّجف الأشرف في سنة ١٩٦٩م، ومن طلاّب الإمام السّيّد أبو القاسم الموسويّ الخوئيّ (رحمه الله). وبعد حضوره إلى لبنان بناء على طلب الجالية اللّبنانيّة في ولاية ميتشغن وديربورن استقرّ في مدينة ديربورن في سنة ١٩٨١م، وقد أسّس المجمّع الإسلاميّ في أمريكا متّخذًا من هذه المدينة مركزاً له. وقد قدّمت البلدية في هذه المدينة أرضًا بشكل مؤقّت لهذا المجمّع (بمنطقة DEX) لإقامة الصّلاة وإحياء المناسبات الدّينيّة، ثمّ استأجر (حفظه الله تعالى) مكانًا آخر، إلى أن وفّقه الله تعالى مع أبناء الجالية لبناء مركز حديث لهذا المجمّع، يضمّ قاعة محاضرات، ومسجد، ومكتبة عامّة، وغرف دراسيّة للطّلاّب، ومكاتب.

وقد قام سماحة الشّيخ برّي (حفظه الله تعالى) على رأس ثلّة كريمة من المؤمنين اللّبنانيين التفّت حوله بتحقيق إنجازات كثيرة في الولايات المتّحدة وكندا، ومن أهمّ هذه الإنجازات الّتي لمستها أثناء وجودي في ضيافة تلك الثّلّة الكريمة وضيافته هي:

١ ـ نشر تعاليم الإسلام واللّغة العربيّة وتقريب الإسلام إلى الشّعوب

الأمريكيّة من خلال سلوك العاملين للإسلام والأخلاق الإسلاميّة الفاضلة، والدّعوة للحوار وقد اهتدى إلى الإسلام على يدي سماحته الكثير من غير المسلمين.

٢ ـ تفقيه المسلمين بأمور دينهم، والاهتمام بالأسرة المسلمة، وبالأطفال والنّاشئة بتدريسهم يوم الأحد اللّغة العربيّة، والقرآن الكريم، وأحكام الصّلاة ونحو ذلك وشراء عقار كبير لبناء ثانويّة حديثة عليه.

٣ ـ الاهتمام بشؤون العلماء والخطباء الزّائرين لمدينتي ديربورن وديترويت في شهري رمضان، ومحرّم الحرام من كلّ عام، وبإقامتهم، وتكريمهم، ووضع برامج لهم لتستفيد منهم الجاليات اللّبنانيّة في هاتين المدينتين وغيرها من المدن. وممّا يجدر ذكره أيضًا أنّ جميع العلماء والخطباء اللّبنانيين أو العراقيين أو الإيرانيين الّذين زاروا سماحته قد حظوا منه ومن مجمّعه بالاحترام والتّقدير والعناية بشؤونهم، بل بإقامة احتفالات تكريميّة مع عشاء ودعوة أبناء الجالية لتلك الاحتفالات. وكان نصيبي من هذا التّكويم خلال أكثر من أربعين يومًا قضيتها في ضيافة المرحوم الحاجّ أبو عبد أحمد أمين وأولاده الكرام حصّة الأسد جزاهم الله تعالى خير الجزاء، آمين.

٤ ـ الاهتمام بشؤون لبنان بشكل عامّ، وبجنوبه بشكل خاصّ وعقد عدّة لقاءات واجتماعات، وندوات بهذا الشّأن، وجمع التّبرّعات العينيّة والماديّة وإرسالها إلى لبنان.

٥ ـ تأسيس حوزة علميّة دينيّة حديثة للشّباب المسلم من أبناء الجاليات الشّيعيّة في الولايات المتّحدة وكندا في المجمّع الإسلاميّ الثّقافيّ. وقد التقيت بطالبين من طلاّبها وهما صاحب

الفضيلة الشّيخ محمّد حمّود وهو لبنانيّ من أبناء جبل عامل، والشّيخ هشام الحسينيّ وهو عراقيّ، وهما يتمتّعان بثقة أستاذهما سماحة الشّيخ برّي وثقة الجاليتين اللّبنانيّة والعراقيّة.

٦ ـ الإطلالة كلّ أسبوع على الجاليات الإسلاميّة في ولاية ميتشغن من خلال تلفزيون ديربورن المحلّيّ في خطب الجمعة، وفي إحياء الشّعائر الدّينيّة والحسينيّة.

٧ ـ مشاركة سماحة الشّيخ برّي في معظم الأعمال الخيريّة، والثّقافيّة، والمؤتمرات الإسلاميّة في الولايات المتّحدة، وكذا وإلقاء المحاضرات والتّوجيهات.

٨ ـ نشر الكتاب الإسلاميّ الشّيعيّ في شمال أمريكا، والاهتمام بالطّلاّب المسلمين والمساعدة في حلّ مشاكلهم وتزويدهم بالكتب والمنشورات الإسلاميّة.

٩ ـ تشجيع الحوار والتّعايش، وقيم الخير والعدل بين الإسلام والمسيحيّة وردّ الشّبهات عن الإسلام، وعن الشّيعة والتّشيّع.

١٠ ـ الاحتياط الشّديد في نقل سماحته لفتاوى العلماء، وفي الأموال الشّرعيّة، وفي الشّروط الشّرعيّة للطّلاق وغير ذلك من قضايا شرعيّة.

هذا وقد تكلّمت عنه (حفظه الله تعالى)، وعن دعوته لي بزيارة الولايات المتّحدة الأمريكيّة في الفصل الأوّل من الجزء الثّاني من هذا الكتاب، فراجع.

وممّا يجدر ذكره أيضًا أنّ سماحة الشّيخ يتمتّع بصفات أخلاقيّة عالية، وبعلم غزير وبأدب رفيع.

وكلّ من يجتمع ويلتقي به يلمس ذلك منه كما يمتاز (حفظه الله تعالى) بروح أدبيّة شاعريّة جيّدة وله قصائد عصماء ومميّزة.

من آثاره ومؤلّفاته:

١. سرّ التّربية النّاجحة.

٢. ولاية أهل البيت عليهم السلام.

٣. الإمام عليّ (لمحة عامّة).

٤. دراسة حول الله والمادّة.

٥. النّبيّ الأعظم.

٦. الزّواج المنقطع (عربيّ ـ إنكليزيّ).

٧. دراسة التّعارض بين العلم والدّين.

٨. أصول العقيدة الإسلاميّة عند الشّيعة الإماميّة.

٩. الصوّم والتّحوّلات الرّوحيّة والاجتماعيّة (في مجلّدين).

١٠. أسئلة حول الإسلام.

كما أنّه يقوم بتصنيف قاموس المفاهيم القرآنيّة. وهو تفسير موضوعيّ للقرآن الكريم مرتّب حسب حروف المعجم في عشرين مجلّدًا (تقريبًا) وقد صدر منه الجزء الأوّل في حرف الألف[١].

---

(١) وفي شهري أيار وحزيران من عام ٢٠٠٥م وفقّني الله تعالى للقيام مع سماحته (حفظه اللّه تعالى)، وثلة كريمة من أهل العلم والفضل للإنطلاق بجمعية «اللقاء الإسلاميّ الثقافيّ» لتهيئة الأمور ولإعداد الخطط العامة لبعض الدراسات العلميَّة والإسلامية، والثقافية والتي سوف تصدر تباعاً عن هذه الجمعية المباركة التي يقوم بها إبن شقيقته العلّامة الفاضل الشيّخ أسعد جواد حفظه اللّه تعالى. وأول دراسة سوف تصدر عنها في نهاية العام ٢٠٠٥ إن شاء اللّه تعالى هي لنا، تحت عنوان: «المهديّ المنتظر بين الحقيقة والخيال». وهي دراسة مقارنة لعقيدة اليهود والنصارى والمسلمين حول المُخلّص الموعود، بأسلوب علميّ حديث.

٤٤ ـ العلاّمة المجاهد
الشّيخ محمّد عليّ برّو

وهو (حفظه الله تعالى) من قرية عين الغوبية في أعالي بلاد جبيل ومن مواليد سنة ١٩٥٠م هاجر إلى النّجف الأشرف لطلب العلوم الدّينيّة في عام ١٩٦٦م. من أساتذته العلاّمة الزّاهد الشّيخ حسين عوّاد (قده). ثمّ هاجر إلى قمّ المقدّسة في عام ١٩٦٩م وتابع دراسته لمرحلتيّ السّطوح والخارج بها على كبار أساتذتها وجهابذتها، وقد لمع اسمه في قمّ بين اللّبنانيين، وطلبة العلوم الدّينيّة من البلاد العربيّة حتّى أصبح يُشار إليه بالبنان لنبوغه وتفوّقه في التّدريس حتّى كان مقرّبًا إلى مراجع قمّ وعلى رأسهم آية الله العظمى السّيّد محمّد رضا الكلبيكاني (قده)، وقد تحدّثت عنه في الفصل الأوّل من الجزء الثّاني في هذا الكتاب عندما تكلّمت عن زيارتي لإيران في عام ١٩٧٦م، وفي عام ١٩٨٠م، وحلولي في ضيافته كما تكلّمت عنه أيضًا أثناء ذكرياتي عن الدّراسة في النّجف الأشرف، وحلوله في ضيافتي، وعن فكرة تأسيس المؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان، وانطلاق بعض أهدافها المباركة من خلال اجتماعاتنا في النّجف الأشرف عندما كان يزورنا سماحته (حفظه الله تعالى) ونلتقي مع إخواننا من أبناء جبيل وكسروان وهم: فضيلة الشّيخ المرحوم عصام ضامن شمص (قده)، وفضيلة الشّيخ المرحوم أيمن محمود همدر (قده)، وفضيلة الأديب العراقيّ المرحوم الشّيخ جعفر الشّيخ

حسين همدر (قده)، وفضيلة السّيّد عليّ محمّد الحسينيّ، وفضيلة الشّيخ عصمت عبّاس عَمرو.

بناءً على طلب الإمام الشّيخ محمّد جواد الشّرّيّ (قده)، وأعضاء المركز الإسلاميّ في ديترويت من سماحة الشّيخ برّو النّيابة عن الإمام الشّرّيّ (قده) في إدارة المركز فقد سافر سماحته إلى ديترويت واستقرّ بها في سنة ١٩٨٧م، حيث كان موضع ثقة الشّيخ الشّرّيّ، وأبناء الجالية هناك ومحطّ أمالهم.

وعندما زرت الولايات المتّحدة الأمريكيّة، كان (حفظه الله تعالى) نازلاً في ضيافة نسيبه الوجيه الكريم الحاجّ محمّد أوزة حيث كان دائمًا يزورني في منزل مضيفي المرحوم الحاجّ أحمد أمين (أبو عبد)، ويساعدني في التّعرّف على أبناء الجالية اللّبنانيّة وفي جمع الحقوق الشّرعيّة والتّبرّعات منهم للمؤسّسة الخيريّة الإسلاميّة لأبناء جبيل وكسروان، وفي إنشاء صندوق للقرض الحسن تابع لهذه المؤسّسة. كما قام (حفظه الله تعالى) بدعوتي عدّة مرّات إلى المركز الإسلاميّ في ديترويت حيث كان يخطب ويقدّمني للمؤمنين ويدعونني للكلام. كما قد دعاني أيضاً لزيارة أصدقائه في مدينة لوس أنجلوس في ولاية كاليفورنيا، حيث قمت بهذه الزّيارة وكان أولئك الأصدقاء (حفظهم الله تعالى)، وعلى رأسهم الحاجّ عليّ حراجليّ في استقبالي حيث حللت في ضيافتهم قرابة أسبوع.

وقد حدث في سنة ١٩٩٠م تقريبًا خلاف ما بين سماحته وما بين أعضاء المركز الإسلاميّ في ديترويت حيث قدّم على إثر هذا الخلاف استقالته للإمام الشّرّيّ (قده). وبالتّالي قيامه بتأسيس المجلس الإسلاميّ في أمريكا في مدينة ديربورن. وسبب هذا الخلاف أنّ سماحة الشّيخ برّو قدّم طلبًا للإمام الخوئيّ (قده) في النّجف الأشرف بواسطة مؤسّسة الإمام

الخوئيّ الخيريّة فرع نيويورك لإنشاء مدرسة إسلاميّة لأبناء الجالية الإسلاميّة الشّيعيّة في ولاية ميتشغن، وقد صدرت موافقة الإمام الخوئيّ (قده) على هذا الطلب وتبنيه المشروع على نفقة مؤسّسته الخيريّة، شرط أن تكون هذه المدرسة تابعة لمؤسّسة الإمام الخوئيّ الخيريّة. وقد اعترض بعض أعضاء المركز الإسلاميّ على هذا الجواب طالبين أن تكون هذه المدرسة بولاية المركز الإسلاميّ وتابعة له!

وكان الشّيخ برّو يؤيّد جواب الإمام الخوئيّ (قده) وطرحه الآنف الذّكر ومؤسّسته الخيريّة ـ فرع نيويورك بينما كان موقف غالبيّة أعضاء المركز الإسلاميّ مناقضاً لهذا الطّرح!

وبعد فإنّ سماحته (حفظه الله تعالى) من العلماء المجاهدين الأتقياء العاملين في سبيل الله تعالى، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا تأخذه في الله تعالى لومة لائم.

في صيف سنة ١٩٨٩م قام الشّيخ برّو بزيارتي في منزلي القديم في الغبيريّ حيث قام بوقف العقار الوحيد الّذي يملكه في قريته عين الغوبية قضاء جبيل وهو ميراثه عن المرحوم والده الحاجّ عليّ برّو لبناء مركز إسلاميّ عليه يتألّف من حسينيّة ومسجد ومكتبة عامّة ونحو ذلك. وقد وفّقه الله تعالى بعد ذلك بالتّعاون مع آل برّو في الولايات المتّحدة الأمريكيّة وفي لبنان ومنهم: النّقيب المتقاعد الحاجّ حسين برّو، والمحاميّ الأستاذ الحاجّ حسن مرعي برّو، وببعض المساعدات العينيّة الأخرى من جمعيّة المبرّات الخيريّة مع إشراف هندسيّ من الجمعيّة الآنفة الذّكر، ومن بعض المحسنين الكرام لتأسيس هذا المركز وافتتاحه في أواخر التّسعينيّات من القرن العشرين. وسماحة الشّيخ محمّد عليّ برّو مؤرّخ محقّق في السّيرة النّبويّة الشّريفة، وفي دراساته للكتاب المقدّس في عهديه القديم والحديث، وخطيب بليغ يشدّ إليه قلوب سامعيه بعظاته

وتوجيهاته، وفي مواقفه المباركة، وله مؤلّفات كثيرة منها: المخطوط، وبعضها مطبوع، من أهمّها:

١. الكتاب المقدّس في الميزان.

٢. صراع الحضارات على أرض عاملة.

٣. أين دفن رسول الله ﷺ؟

٤. الكتب السّماويّة والعلم.

مصادر البحث

* **القرآن الكريم.**

١) أبو تراب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام، للمؤلف، الطبعة الخامسة ـ قدَّم له شعراً آية الله الشّيخ حسن طراد العامليّ، دام ظله. والرئيس اللبنانيّ الراحل شارل حلو. دار المؤرخ العربيّ ـ بيروت ـ ٢٠٠١م.

٢) الوحدة الإسلاميَّة في مواجهة التحديات ـ النجف الأشرف نموذجاً ـ الطبعة الأولى ـ دار المنهل اللبنانيّ ـ بيروت ٢٠٠٤م.

٣) بلدان جبل عامل للشّيخ إبراهيم سليمان ـ مؤسسة الدائرة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٤) تلامذة الإمام الشهيد السّيِّد مُحمَّد باقر الصدر(قده) للسّيِّد مُحمَّد الغرويّ ـ دار الهادي ـ الطبعة الأولى ـ بيروت عام ٢٠٠٢م.

٥) تجارب الشّيخ مُحمَّد جواد مغنية، بقلمه. الطبعة الأولى ـ دار الجواد ـ بيروت ـ ١٩٨٠م.

٦) تجمع العلماء المسلمين في لبنان ـ تجربة ونموذجاً، للشّيخ علي خازم. منشورات تجمع العلماء المسلمين ـ بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧.

٧) ثورة الإمام الحسين عليه السَّلام. منشورات مؤسسة الإمام الحسين

عليه السَّلام ـ الطبعة الأولى ـ قم ـ إيران ـ ١٤١٧هـ.

٨) التذكرة أو مذكرات قاضٍ، للمؤلف الطبعة الأولى ـ المؤسسة اللبنانيَّة للإعلان ـ بيروت ٢٠٠٤م.

٩) جبل عامل في التاريخ لآية الله الشّيخ مُحمَّد تقي الفقيه العامليِّ. الطبعة الثانية.١٩٨٦م. دار الأضواء. بيروت.

١٠) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ـ لمحبِّ الدين الطبريّ ـ دار المعرفة بيروت ـ عام ١٩٧٤م.

١١) الحسين مهاجراً وثائراً لآية الله الشّيخ حسين معتوق، جمع وتحقيق ولده الشّيخ أحمد معتوق.

١٢) حل وترحال للسّيِّد حسن الأمين ـ منشورات رياض الريس ـ بيروت ـ الطبعة الأولى .١٩٩٩م.

١٣) حزب الدعوة الإسلاميَّة ـ حقائق ووثائق، السّيِّد صلاح الخرسان ـ المؤسسة العربيَّة للدراسات والبحوث الاستراتيجيّة ـ دمشق ـ الطبعة الأولى ـ دمشق.١٩٩٩م.

١٤) شهيد الأمة وشاهدها ـ القسم الأوّل ـ ط. قم ـ إيران ـ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٥) شقائق الوفاء . كلمات من وحي رحيل الدكتور علي البهادليّ(قده). الطبعة الأولى ٢٠٠١ المؤسسة اللبنانيَّة للإعلان ـ بيروت.

١٦) مقدّمة العلاّمة إبن خلدون ـ نوبليس ـ بيروت ـ تحقيق لجنة من العلماء. دار الفكر ـ بيروت. عام ٢٠٠٠م.

١٧) مستدركات أعيان الشيعة للسّيِّد حسن الأمين. الطبعة الأولى٢٠٠٢. دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.

١٨) المسيح الموعود والمهديّ المنتظر عليهما السَّلام ـ للمؤلف ـ قدَّم له المطران جورج صليبا. الطبعة الثانية ـ دار المؤرخ العربيّ ـ بيروت ـ ٢٠٠٢م.

١٩) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، للدكتور الشّيخ مُحمَّد هادي الأمينيّ ـ الطبعة الثانية١٩٩٢بيروت.

٢٠) مُحمَّد مُحمَّد صادق الصدر ومرجعية الميدان ـ عادل رؤوف ـ الطبعة الأولى ـ المركز العراقي للإعلام ـ دمشق ـ ١٩٩٩م.

٢١) علماء ثغور الإسلام. للسّيِّد عبّاس علي الموسويّ ـ الطبعة الأولى عام٢٠٠٠م. ـ دار المرتضى ـ بيروت.

٢٢) النجف الأشرف إسهامات في الحضارة الإنسانيَّة ـ طبع بالتعاون مع المركز الإسلاميّ في لندن ـ مركز كربلاء للبحوث والدراسات. لجماعة من المؤلفين ـ الطبعة الأولى ـ عام ٢٠٠٠م.

الدوريات:

١) مجلة «البلاد» الصَّادرة عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان ـ العددان: ٤٤٠.٤٤١.

٢) مجلة «الحكمة» الصَّادرة عن الجمعيَّة الخيريّة الإجتماعيَّة ـ الشّياح العدد: ١٨.

٣) صحيفة «العهد» الصّادرة في بيروت ـ يوم الجمعة في:٨/ ٤/ ١٩٩٤م.

٤) مجلة «العرفان» الصَّادرة في بيروت ـ المجلدات ـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٠.

٥) مجلة «الموسم» الصَّادرة في هولندا ـ امستردام ـ العددان: ٣٥ـ ٣٦.

٦) مجلة «الوحدة الإسلاميَّة» الصَّادرة عن تجمع العلماء المسلمين في لبنان، الأعداد: ١٧ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٣.

٧) مجلة «النور» الصَّادرة في لندن الأعداد: ١٤٨.١٤٦.١١٠.

*** وهناك مراجع أخرى ورد ذكرها في الهوامش.**

كتب للمؤلف

أولاً: كتب مطبوعة

١ ـ **أبو تراب**: الطّبعة الخامسة ـ دار المؤرّخ العربيّ ـ بيروت ـ ٢٠٠١م قدَّم له شعراً سماحة آية الله الشّيخ حسن طرَاد العامليّ دام ظلّه، والرّئيس اللّبنانيّ الرّاحل شارل حلو.

٢ ـ **فاطمة الزّهراء وقصائد أخرى**. مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات ـ بيروت ١٩٧٧م

٣ ـ **المدخل إلى أصول الفقه الجعفريّ** ـ قدَّم له سماحة آية الله الشّهيد السّيِّد مُحمَّد الصّدر (قده) ـ دار الزّهراء ـ بيروت ١٩٨١م الطبعة الثانية دار المنهل اللبناني ـ بيروت ـ ٢٠٠٦م.

٤ ـ **أضواء على المسلمين في بلاد جبيل وكسروان** بالاشتراك مع الدّكتور أحمد محمود سويدان، تقديم الدكتور سلمان عيتاوي. المؤسّسة الخيريَّة الإسلاميَّة لأبناء جبيل وكسروان ـ بيروت ـ ١٩٨٧م

٥ ـ **مسرحيّة عن دعبل بن عليٍّ الخزاعيّ** صدر قسم منها في العدد التّاسع والعاشر من مجلّة القصب الأدبيّة العراقيّة وفيها أخطاء كثيرة بيروت ١٩٩٧م ١٤١٨هـ، وأعادت دار الصّفوة في بيروت طباعتها مصحّحة منقّحة مع ملحقين لها قدَّم لها وأخرجها الأستاذ رامي أحمد كنعان ـ سنة ٢٠٠٢م

٦ ـ **المسيح الموعود والمهديُّ المنتظر**عليهما السلام الطّبعة الثّانية ـ قدَّم لهذه

الطّبعة سيادة المطران جورج صليبا دار المؤرّخ العربيّ ـ بيروت ـ سنة ٢٠٠٢م

٧ ـ **الموجز في علميّ الدّراية والحديث** ـ دار المؤرّخ العربيّ ـ بيروت ٢٠٠١م

٨ ـ **سنابل الزّمن** وهي القسم الأوّل من الدّيوان البرزخيّ وهي أراجيز من الشّعر المنثور في العقيدة، والمنهج، والحياة، دار الصّفوة ـ بيروت سنة ٢٠٠٢م

٩ ـ **الوحدة الإسلاميَّة في مواجهة التّحديات النّجف الأشرف نموذجاً** ـ منشورات دار المنهل اللّبنانيّ ـ بيروت ـ سنة ٢٠٠٤م

١٠ ـ **التّذكرة أو مذكّرات قاضٍ** وهي ثلاثة أجزاء منشورات المؤسّسة اللّبنانيّة للأعلام ـ بيروت ـ سنة ٢٠٠٤م

١١ ـ **علماء عرفتهم** منشورات دار المحجَّة البيضاء ـ بيروت ٢٠٠٦م.

١٢ ـ **المدخل إلى علم الحديث في السُّنَّة النبويَّة الشريفة** ـ منشورات دار المنهل اللبنانيّ ـ بيروت ٢٠٠٦م.

١٣ ـ **صفحات من ماضي الشيعة وحاضرهم في لبنان** ـ منشورات دار المحجَّة البيضاء ـ بيروت ـ ٢٠٠٦م.

١٤ ـ **المهديّ المنتظر بين الحقيقة والخيال** ـ منشورات دار المحجَّة البيضاء ـ بيروت ـ ٢٠٠٦م.

١٢ ـ **مجموعة كلمات ومحاضرات وبيانات متفرّقة** في مجلاّت الوحدة الإسلاميّة، والعرفان، والبلاد، ونور الإسلام، والعهد، واللّواء، ونداء الوطن، والشّرق الصّادرة في بيروت ومجلّة المرشد الصّادرة في دمشق، ومجلّة آفاق حسينيّة والّتي يشرف عليها والّتي كانت تصدر من دمشق سابقًا، مع ثلاثة كتيبات تدعو للوحدة الإسلاميّة بالاشتراك مع زملائه في التّجمّع صادرة عن تجمّع العلماء المسلمين في بيروت، كما شارك أيضًا في تصنيف ثلاثة كتب صادرة عن مركز

الدّراسات والأبحاث الإسلاميّة المسيحيّة في بيروت تحت العناوين الآتية: ١ الاستنساخ بين الإسلام والمسيحيّة ٢ الحوار الإسلاميّ المسيحيّ واقعه وخطوات تفعيله ٣ الإجهاض بين الإسلام والمسيحيّة كما قام بكتابة مقدّمة للكتاب الرّابع الصّادر عن المركز الآنف الذّكر تحت عنوان: الإمام الحسينعليه السلام وعاشوراء في الفكر الإنسانيّ. كما شارك في مؤلفات أخرى حديثة صادرة عن المركز الآنف الذكر وقام بكتابة مقدّمة لأطروحة فضيلة الشّيخ أحمد قيس حول التوسل، وكتابة مقدمة أخرى لكتاب سماحة الشيّخ علي عزيز الابراهيم حول الشيعة والتشيع في طرابلس وبلاد الشام في العصور الوسطى.

ثانياً: مخطوطات قيد الاعداد

١ ـ **الإبداع في مؤلفات القاضي الشيخ يوسف محمد عمرو**، تقديم الدكتور عاطف حميد عوَّاد

٢ ـ **الطريق إلى الإسلام.**

فهرست المحتويات